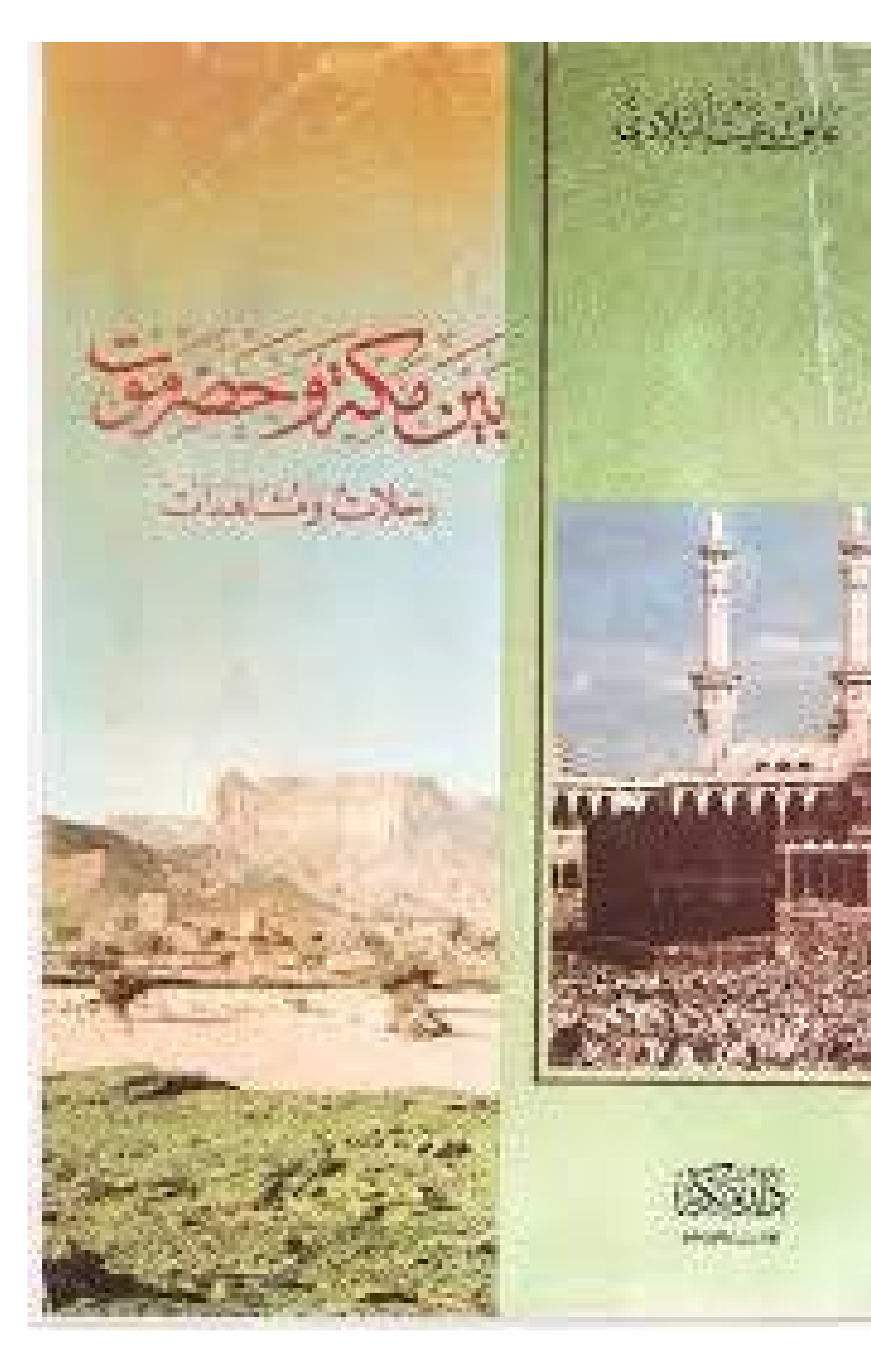

بين مكة وحضرموت
رحلات ومشاهدات

بين مكة وحضرموت

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدم: عاتق بن غيث البلادي





الطبعة الأولى
١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

دار مكة
للطباعة والنشر والتوزيع
مكة المكرمة - ساحة إسلام
هاتف: ٥٤٢٧٤٦٨
ص.ب: ٢٩٩٢
برقيا: دام

المقـدّمة

الحمد لله مولى النعم، وصاحب المقال ، وأصدق من قال : ﴿ أَوَ لَمْ يَسيرُوا في الأرض فينظُروا كيف كان عاقبةُ الذين من قبلهم ﴾[1]، والصلاة والسلام الدائمان إلى يوم الجزاء والحساب، على خير من بلّغ الرسالة، وأدّى الأمانة ونصح لله وللأمة، فتركها على محجة بيضاء ليلها كنهارها .

أما بعد : فمنذ سنوات وأنا أجتمع بين حين وآخر- إلى أخوة أعزاء يعملون في منطقة نجران ، وكانوا يوجهون إليَّ الدعوة لزيارة مدينتهم، وكنت أَعِدُهم - دائماً - أنني أفكر في رحلة إلى هناك ، وعندما تيقنوا من عزمي على هذه الرحلة، أخذ بعضهم يحثني على أن أدوّن مشاهداتي، فتكونت عندي فكرة أن أكتب عن نجران، وأن أقصر كتابة هذه الرحلة عليه .

ومن أمثالنا : « الكلام يجر بعضه بعضاً » وبقدر ما يصدق هذا المثل، فإنك تستطيع أن تقول : « الكتابة يجر بعضها بعضاً ! » .

فعندما بدأت رحلتي في الثالث من شعبان، سنة ١٤٠٠ هـ الموافق الثامن عشر من حزيران - يونيه سنة ١٩٨٠ م رأيت أن أبدأ بوصف الرحلة، وجر هذا اتباع بعض المعالم والقبائل بالبحث، وعندما رجعت إلى تاريخ نجران المدوّن فوجئت بضخامته، مع إيماني بأن المدون منه أقل من الحد الأدنى .

---

(١) فاطر ٤٤ .

ففي سيرة الهادي ما يزيد عن مائة صفحة ـ اخترمنا معظمها ـ تدون تأريخ نجران في حقبة قصيرة جداً؛ هي أواخر القرن الثالث . وقد تعاقبت الحقب والعهود بعد ذلك الإمام ، وظلت نجران بين كر وفرّ، حتى استقرت استقرارها الميمون ضمن وحدة المملكة العربية السعودية. وأجزم أن تأريخ نجران لو استقصي لملأ مجلدات ضخاماً .

ورغم أن هذا الكتاب كان رحلة، وأن الرحلة قوامها المشاهدات والانطباعات ، إلا أن الكتابة جر بعضها بعضاً، فإذا أنا أمام كتاب ما كنت أظن أن رحلتي تكون نصفه، ولكن أملي أن هذه الزيادات ـ غير المتوقعة ـ آتت أُكُلاً طيباً ، وسدَّت فراغاً كنا نشعر به، فالمنطقة ما أُولِيت استقصاء منصفاً، ولا أدَّعي أنا شيئاً من ذلك، ولكن أرجو أن اكون قد أسهمت في بناء مادة تأريخ هذه المنطقة، وقد أبقيت أنا ومن كان قبلي الكثير لمن يجيء بعدنا. وبعد :

فما أنا إلا رجل بذل ما يستطيع من جهد، فإن أصبت فمن توفيق الله ومنه وكرمه، وإن أخطأت فأرجو العفو من الله العلي القدير .

وآخر دعواهم أنِ الحمدُ لله رب العالمين .

المؤلف

اليوم الأول ٣ شعبان سنة ١٤٠٠ هـ
الموافق ١٨ حزيران يونيه سنة ١٩٨٠

كان الخروج من مكة بعد صلاة المغرب، فأخذت طريق كديّ، ثم المفجر الأسفل (بين ثور وسدير) ، فمررت في حي جميل قام حديثاً بالمفجر، وما كان له وجود قبل عام .

وما أن أفضت من المفجر حتى تشابكت الطرق الحديثة، فتفرقت وتلاءمت في تشابك عجيب. وجسور طويلة عالية ، حتى ضللت طريقي وكأني لست من أهل مكة، ولا رأيت هذه الارض قبلاً .

وبعد لأي عرفت طريقي إلى عرفة، ثم إلى نعمان ، وكانت القرى والمنشآت تتلألأ إضاءة تتوهج بين أبيض وأصفر ، حتى ليخيل إليك أنك تسير في مدن لا في قرى كان بعضها لا وجود له قبل سنة .

والحقيقة أن النهضة التي حدثت في المملكة العربية السعودية بين عامي **١٣٩٥** و**١٤٠٠** للهجرة لا يستطيع أن يتصورها إلا من يعرف هذه المملكة في السبعينات، ثم يراها اليوم، فقد حدث فيها ما يشبه الأساطير، فعمت السيارات بيوت البادية والحاضرة. وأنيرت القرى، وشربت المياه المعقمة بالصنابير، ووصلت إلى كثير منها طرق معبدة، ولم تبق قرية ليست فيها مدرسة ومسجد يصلى فيه. وهذا أمر لم يدخل حتى في عِداد الأحلام سنة **١٣٧٥** / مثلاً !

وكان وادي نعمان من الأودية شحيحة المياه، وزراعته قليلة، ولكن في

الأونة الأخيرة حفرت فيه آبار، وظهر ماؤها غزيراً عذباً، وزرعت عليه زراعة حسنة، وتكاثر سكانه، فصار ليله كنجوم السماء لما تناثر فيه من أضواء .

ثم صعدت جبل كرا، وهو أيضاً من حسنات هذا العهد، وكان عسراً شاقاً لا تصعده الجمال إلا بمشقة، وكانت في أماكن منه تحبو حبواً على الركب، وكانت مدربة على ذلك. فكان الجمَّال يقول لجماله : (حُبَوْهْ . . حُبَوْهْ) ، فتبرك بركبها فتظل تحبو حتى تجتاز ذلك المكان ! وكان لسلاطين مكة محاولات لتسهيله وتذليله، إلا أن امكاناتهم غير إمكاناتنا اليوم؛ فالعلم قد تقدم وجاء بفالقات الصخر، وطاحنات الحصى، وجاء بالقار والاسمنت والحديد المطاوع، كل هذا والثروة الحديثة ساعد على تذليل هذا الجبل، حتى صارت السيارة تسير فيه بالسرعة التي يستطيعها سائقها .

ومن هذا الجبل الشامخ ذي المياه العذبة والأودية التي تكوِّن نواشغ نعمان تظهر على (الهدأة) ذات الجو البديع والخضرة النضرة، وهي من منابع وادي نخلة اليمانية، وأهلها ثقيف، كما أن أهل نعمان وكل روافده هذيل .

وكانت الهدأة مزارع وقرى، حتى جاءت النهضة الحديثة ومرَّ فيها طريق كرا المزفّت سنة ١٣٨٥ هـ ، فتحولت إلى مدينة، فيها كل ما في المدن من خصائص، وتعتبر الهدأة من المصايف الجميلة، ومياهها عذبة، غيز انها شحيحة، وأغرى أهلها الارتفاع الهائل الذي حدث في أسعار الأراضي، فأخذ كثير منهم يبيع أرضه، فتحولت بعض المزارع الى مبان. وقد أوفيت الحديث عن الهدأة ونعمان في (معجم معالم الحجاز) . . ومن الهدأة إلى الطائف ، المسافة ١٨ كيلاً فقط، وجو الطائف تغني شهرته عن ذكره، وهي مدينة لطيفة محببة إلى النفس .

بين الطائف وبلجرشي

خرجت من الطائف باتجاه الجنوب الشرقي فمررت بلية : واد ذي شهرة، وتأريخ أهله ثقيف، ثم عتيبة، ثم عدوان في أسفله، ولرمانه شهرة لا تضاهى، ويبعد عن الطائف خمسة عشر كيلاً .

عبرت لية ووادي السِّرّ بليل. فوصلت الى (قهاوي السوطة)على ٢٥ كيلاً من الطائف، وهذا الطرف الجنوبي الغربي لسهل(جلدان) المذكور في كتب المتقدمين، وقد ذكر في الشعر كثيراً، ففيه يقول حسن بن إبراهيم الشيباني :

وجِلدان العريض قطعنَ سوقاً   يطرْنَ بأجرعَيْهِ قَطاً سكونا
تخال الشمسَ، إن طلعت عليها   لناظرها، علاليَ أو حصونا

وقال أمية بن الأسكر :

أصبحت فرداً لراعي الضأن يلعب بي   ماذا يريبك مني راعيَ الضأنِ ؟
إعجبْ لغيرِيَ ، إني تابع سلفي   أعمامَ مجدٍ وإخوانٍ وأخدانِ
وانعقْ لِضأنك في أرض تطيف بها   بين الأصافر، وانتجها بجلذان

وهو يذكر بالذال المعجمة والمهملة، وقد استوفيت الحديث عنه في المعجم . في هذا اليوم لم أشرب القهوة العربية ، ومنذ وقت شعرت بصداع شديد ، وما أن وصلت إلى إحدى المقاهي الجميلة على هذا الطريق حتى حططت الرحال بها ، وسألت المقهوي : هل هناك قهوة ؟ فأجاب بالايجاب . وسرعان ما جاء بدلة مهيَّلة ، كانت (كغرض أبي عيسى) !

بلدة الجبوب

غادرت قهاوي السوطة على طريق الجنوب، وعلى قرابة ستين كيلاً من تلك القهاوي وصلت إلى بلدة الجبوب، قلت: بلدة، ذلك انها كانت مجرد مقاهٍ على هذا الطريق، ثم انتعشت فتقدمت تقدماً ملحوظاً حتى أصبحتْ ذات دارات أنيقة ومساكن حديثة مزخرفة وغير مزخرفة. وتقع الجبوب على الطرف الجنوبي من وادي ضَرَاء، وهو وادٍ أفيح واسع يبلغ عرضه عند الجبوب قرابة عشرة أكيال، وهي في ديار بني الحارث بن كعب: قبيلة من الأزد، وسوف نتحدث عنها ضمن قبائل الأزد، مستقبلاً، ويبدو ان اسم الجبوب معروف قديماً، وهذا العَطّاف العُقيلي، يقول:

إذا كَلَّ حاديها من الإنس أو وَنَى ... بعثنا لها من وُلْد إبليسَ حاديا

فلن ترتعي جنبي ضَرَاء ولن ترى ... جبوب سليل ما عددت اللياليا

والجبوب -لغة- الأرض الطينية الحَسِكَة شديدة التماسك.

وصلت الى الجبوب في الثانية عشرة ليلاً، وكان النعاس قد اقترب من جفني، وكان هناك عدد من سيارات المسافرين قد انتشرت في هذا الخَبْت الواسع، فأخذت لي مكاناً بينهم، فوقفت سيارتي جانباً، وكان حر مكة قد أنساني اللحاف، وكانت ليلة باردة ذكرتني بليالي الشتاء.

يوم في السراة الخضراء

اليوم الثاني للرحلة

٤ شعبان ١٤٠٠ هـ

استيقظت مبكراً. فواصلت سفري جنوباً، فمررت بوادٍ فحل قد خدَّ سيله الأرض وعلى طرفه مقاهٍ وبئر للاستقاء، هذا هو وادي (بُوَاء) وهو لبلحارث أيضاً، وسيله يأتي من بلاد بجيلة (بني مالك اليوم). ثم يتجه شرقاً حتى يصب في وادي تربة، فهو ووادي ضَرَاء ووادي عَرَدة من روافد تربة التي تأتيها من سراة بجيلة، وفي رأس بواء قرية لبني مالك بهذا الاسم، ومن روافده وادي شوقب لبلحارث أيضاً، يبعد بواء (١٠٤) أكيال جنوب الطائف.

وعلى بعد (١٦٠) كيلاً صعد الطريق عقبة هائلة كأداء ما كانت السيارات تروم منعتها، حتى اختط طريق الجنوب في الثمانينات، فجعل لها جسراً معلقاً إذا رآه المسافر قبل أن يصل إليه داخله خوف، هذه العقبة هي عقبة شُمْرُخ، وهي أول سراة غامد وزهران، وما كان قبلها من الأرض يشبه النجد، وما بعدها سراة خضراء عالية، بردها في نهار القيظ كبرد تهامة في ليل الشتاء! ومن على ظهر شمرخ ترى غربك جبل بَثَرَة أشمخ سراة بجيلة، فيه المياه الشلالة والاشجار الخضراء مثمرة وغير مثمرة.

ويبعد جبل (بَثَرة) قرابة ١٧٠ كيلاً جنوب الطائف، ويرتفع عن سطح البحر (٢٥٩٥) متراً، ويسمى جبل إبراهيم، تنقسم مياهه إلى شرقية، في ربة، وغربية، في الليث.

وما أن تجاوزت تلك العقبة حتى بدت السراة ذات مناظر خلابة، وقرى متقاربة، والطرق تفترق يميناً وشمالاً وكل طريق يحمل اسم القرية أو القبيلة التي يوصل اليها، فهذا طريق المندق (قاعدة زهران) وهذا طريق عدوان، وغير ذلك .

قريش الحَسَن

وعلى ١٧٨ كيلاً من الطائف مررت بقرية تضم قرى كثيرة حتى تخالها مدينة، هذه قرية (قريش الحَسَن) أهلها قريش، سميت بهم، وكثير من قرى الجنوب تسمى بأسماء القبائل التي تسكنها، وكانت قريش إفترقت في العهد الأول للاسلام وسكنت كثيرا من البلاد، ودخلت كل فرقة في القبيلة التي سكنت معها، وهؤلاء ذكرهم الهمداني في جزيرة العرب، حيث قال : « . . . والمراغة، واكثر ساكني المراغة قريش، بها حصنان أحدهما (القرن) مخزومي، والثاني (البُرْقة) سَهْمى » .

ولم يذكر الاستاذ علي السلوك المراغة في معجم بلاد غامد وزهران، ولعل الاسم قد اندثر وغلب عليه اسم القبيلة .

وهذه البلدة فيها حركة تعمير ظاهرة وبها قصور حديثة البناء بالاسمنت المسلح .

الأطاولة

وعلى أربعة أكيال من قريش الحَسَن وصلت الى بلدة عامرة أم القرى التي حولها، هذه بلدة « الأطاولة » وهي أيضاً لقريش، ويسمون أرضها (القَرَى) لأنها على ظهر السراة، والعرب تسمي ظهر الحرة أو الجبل المنقاد (قَرَى) بالفتح .

ويقول الاستاذ علي السلوك: هي المركز الرابع في سراة غامد وزهران، وتأتي بعد الباحة ، وبلجرشي، والمندق؛ وبها مشيخة قبيلة قريش، وتبعد شمال الباحة ب (٣٥) كيلاً .

وهي متقدمة عمرانياً وزراعياً، وشوارعها معبدة ، وبها مدارس وشرطة ومحكمة، وكل مرافق الدولة. والبيوت الحديثة ذات الطوابق المتعددة تغلب على بنائها، وبها ورش للسيارات، غير أن أحداً منهم لم يستطع إصلاح سيارتي المرسيدس التي بدا فيها الخلل منذ أن صعدت عقبة شمرخ، فقد قل عزمها وكثر دخانها، ولكن المصلحين هنا قالوا: إنه لا يوجد مهندس مرسيدس !

رغدان

وعلى ٢٠٨ أكيال من الطائف هبط الطريق « وادي رَغْدان » وادٍ ذو غابات جميلة وقرى عديدة متشابكة، ذات دارات حسنة الهندسة والبناء، ويبعد عن الباحة مسافة تقرب من ٦ أكيال ، أهلها بنو خثيم من غامد، وفي رغدان شركة كهرباء الباحة وضواحيها، وبها سوق أسبوعي (يوم الأحد) ، ويقدر سكانها بألفي نسمة. وكانت مقر قائم مقامية تتبعْ لواء عسير في سنة ١٣٢٠ هـ ١٩٠٢ م . كذا قال علي السلوك في « بلاد غامد وزهران » ، وهذه أول ديار غامد أو قريب من ذلك، وغامد وزهران قبيلتان اختان من قديم الزمن، وأمارتهما واحدة، وهي اليوم في الباحة ، وتقرنان معاً فيقال: (غامد وزهران) كما يقال في اليمن (حاشد وبكيل) ، أو يقال : (ربيعة ورفيدة) .

الباحة

قاعدة إمـارة غامد وزهران، انتقلت اليها من بلجرشي سنة ١٣٨٣ هـ وتبعد عن الطائف ٢١٥ كيلاً، وفي كتاب (بلاد غامد وزهران) (٢٣٠) كيلاً . يهبط

إليها الطريق من رغدان في واد يسمى « الأزرق » يخترق المدينة، وهي مدينة ناهضة تشبه الطائف، الا أنها أصغر منه؛ وفيها جميع مرافق الدولة، وبها بنوك وفنادق، وورش كثيرة، وحركة تجارية نشطة .

واسم الباحة مشتق من صفتها، فهي باحة متسعة نوعاً ما بين تلال عالية في وسق السراة .

والباحة بلدة قديمة ذكرها الهمداني في صفة جزيرة العرب، ولكنه ذكر أن أهلها من بني مالك بن شهر، الا ان في بلاد الحجر وادياً يسمى « وادي الباحة » فلعله ما ذكره الهمداني .

بلجرشي

قبائل الأزد تختصر (بني فلان) فتقول: بلفلان، مثل : بلأسمر وبلحمر، وبلحارث، وأصلها: بنو الأسمر وبنو الأحمر وبنو الحارث . . الخ . وبلجرشي(بنو الجرشي) : قبيلة من غامد تقع ديارها جنوب الباحة، وبها سميت مدينة بلجرشي، وكانت قاعدة إمارة غامد وزهران، وكانت قبلها في بلدة الظفير، ثم نقلت منها سنة ١٣٧١ هـ إلى بلجرشي . وصلت إلى بلجرشي على مسافة تقرب من ٣٣ كيلاً، وهي مدينة جميلة بين تلال خضر، وحركة العمران فيها نشطة، وهي ثاني مدينة في بلاد غامد. ويقول صالح السلوك في (بلاد غامد وزهران) :

«تقع بلجراشي جنوب الباحة على ٣٥ كيلاً، وتتكون من القرى الآتية :

١ ـ الركية ـ ٢ ـ الغازي . ٣ ـ العِوذ ـ بكسر العين ـ ٤ ـ السلمية . وكانت هذه القرى تعرف بـ (دار السوق) حتى عام ١٣٧١ هـ فنقلت الدوائر الحكومية

اليها من الظفير، فأطلق عليها اسم بلجرشي». وقال علي السلوك: إن سكان بلجرشي قرابة ٥٠٠٠ نسمة.

والظفير تجاور بلجرشي من الجنوب، وكانت قاعدة المنطقة في العهود القديمة، فكانت فيها- فيما ذكر علي السلوك -: إمارة تتبع آل عائض في عسير، ثم إدارة للأتراك، ثم إدارة للأدارسة عندما شملت إمارة هذه المنطقة، ثم مقراً للإدارة السعودية بين عامي ١٣٥٣ هـ - ١٣٧١ هـ، ثم خلت مكانها لبلجرشي. وللظفير ذكر قديم في كتب المتقدمين ؛غير أن الهمداني الذي أوفى البحث عن السراة لم يذكر الظفير، وهي واقعة في بلاد بني عبد الله من غامد. وقد ذكر الاستاذ علي السلوك بلدتين غيرها تسمى كل منهما بالظفير: إحداهما في بلاد بني كبير من غامد، والأخرى في بلاد غامد الزناد من تهامة.

وعلى ٢٧٣ كيلاً من الطائف، هبطنا وادي شرى: واد عميق يهبط الطريق إليه ثم يقطعه من الشمال إلى الجنوب.

أدمة

قاعدة قبيلة خثعم: بلدة في وادٍ عميق بين الجبال الخضر، وصلت إليها على قرابة تسعين كيلاً من الباحة جنوباً، فيها إمارة، ومدارس، ومحكمة. وصلت إليها ظهراً فجلست في مقهى غير نظيف البتة وقدم إلي شاي لا يشربه إلا ذو عوز، وسألته عن القهوة العربية فقال: لا يعملها أحد في مقاهي الطريق، وجميع المستخدمين في المقاهي من خارج المملكة وكذلك المطاعم... والنظافة آخر ما يخطر على بال هؤلاء، أما الأسياد فيكتفون بجمع الغلة، وهي كثيرة إذ أن البراد يباع هنا بريالين.

خثعم

قبيلة اختلف المتقدمون في نسبها فقالوا : خثعم بن أنمار بن أراش (في الأغاني : إياس) بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ، من القحطانية . وقالوا : بل خثعم بن أنمار بن أراش بن نزار بن معد بن عدنان ، من العدنانية ، إنما تيامنت بجيلة وخثعم فانتسبت في قحطان على جهل منها . قال ابن اسحاق : فأنمار أبو خثعم وبجيلة . وقال ابن اسحاق : قبيلي خثعم : شهران وناهس . وقيل : بل هي ثلاث : شهران وناهس وأكلب ، وقيل بل أكلب بن ربيعة ، إنما دخلت في خثعم . (كل هذا عن سيرة ابن هشام) . وكذلك في « أخبار مكة » ، ولعله نقلاً عما تقدم .

وفي « سبائك الذهب » أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد ، من القحطانية . وكان له من الولد : خثعم والغافق وحَزِيمة - بفتح الحاء المهملة وصُهيبة والغوث ، وعبقر .

وكل بنيه ما عدا خثعم أمهم بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة ، وبها عرفوا . وأنجب خثعم حلفاً (بالحاء المهملة) فأنجب حلف : شهران، وربيعة ، وناهس ، وعضرس . فكل بطون خثعم ترجع إلى هذه الخمسة .

ديار خثعم

نزلت بجيلة وخثعم السراة قرب حلية ونواشغ الليث وما صاقب ذلك ، فتغلبوا عليها ، ثم اقتتلت بجيلة وخثعم فنفت بجيلة خثعم إلى أطراف بيشة اليمانية . جاء ذلك في « كتاب الإفتراق ، واخبار الفيل » ،

ويبدو أن قسماً من خثعم نزل اليمامة ، حيث يقول أحد بني قسر من بجيلة :

ونحن نفينــا خيثمــاً عن بــلادهم تقتّـل حتى عـاد مـولىً سنيـدُهــا
فـريقين : فرقٌ بـاليمـامـة منهم ، وفرق بخيف الخيل تترى حدودُها

ولكن عظم خثعم استوطن السراة والسهل الشرقي فيما بين بيشة وجرش (قرب خميس مشيط اليوم) وبين شعوف السراة ممّا يلي بلاد الحجر وغامد . نص على ذلك صاحب « صفة جزيرة العرب » ، وجاء قبله في خبر الفيل ، وأيام خثعم وغيرهـا . ولا زالت هذه ديـار خثعم إلى اليوم ، فالسائر على طريق السراة يمر بقاعدة خثعم كما تقدم ، ثم تميل ديارهم إلى تهامة غرباً ، ثم إلى بيشة وكلها أو جلها اليوم بينهم وبين بني سلول ، ثم تمتد ديارهم من بيشة جنوباً حتى يكون لهم سوق خميس مشيط ، وكان سوقاً لآل مشيط من شهران ، ثم صـار اليوم مـدينة من كبريات المدن، وإلى الشمال الشرقي على نحو من ٣٠ كيلاً توجد آثار جرش المدينة التاريخية والتي كانت الرئيسية في هذه البلاد .

فروع خثعم

انقسمت خثعم من زمن ليس بالقريب إلى : شَهْران وناهِس وأكلب[١] كما مر معنا ، ثم استقلّت شهران عن خثعم وسميت شهران العريضة وهـي ليست تسمية حديثة كما يظن البعض ، بل هي قديمة ذكرها الهمداني عند ذكر شهران . وتحضرت أكلب في بيشة وصارت ذات نخل وعقر ، أما

---

(١) هو صدر وادي بيشة .

ناهس وقد يقال (ناهش) بالشين المعجمة ، وبقية بطون خثعم فقد ثبتت على اسم خثعم إلى يومنا هذا . ولناهس اسم اليوم في شهران . وفي مطلع هذا القرن نما فرع من خثعم يقال لهم (شمران) فاشتهر حتى ظنّ البعض أنه ليس من خثعم ، وظن بعض آخر أن خثعم من شمران ! وليس كذلك .

وتقع منازل هذه القبيلة على ضفاف وادي شهران[1] وحاضرتها خميس مُشَيْط ، ويحدها من الشرق تثليث ومن الجنوب قحطان وفي الغرب عسير وبلحمر وبنو شهر وبنو عمرو ، وتنطوي على عمائر كبار منها ما يلي :

١ ـ آل رشيد	٢ ـ آل الغمر	٣ ـ بنو مُنبّه
٤ ـ بنو بجاد	٥ ـ ناهس[2]	٦ ـ بنو واهب

وتتألف هذه العمائر من الأفخاذ الآتية : ـ

١ ـ آل غنوم	٢ ـ القثانين	٣ ـ آل مطير
٤ ـ آل الشيخ	٥ ـ آل ثواب	٦ ـ آل حفيان
٧ ـ بني سرح	٨ ـ آل نجات	٩ ـ آل حميد
١٠ ـ آل لهزة	١١ ـ آل عزام	١٢ ـ آل حماد
١٣ ـ آل مار	١٤ ـ آل حجاج والزلال	١٥ ـ بني هشبل[3]
١٦ ـ أهل ذهبان[4]	١٧ ـ آل العندل	١٨ ـ صفوان

---

(١) ويقال : يكلب .

(٢) ناهس في الأصل أخت شهران ، ولعلها انضمت إليها لقلتها وكثرة شهران ، أو أنه قسم من ناهس . هذه التذييلات للمؤلف .

(٣) ويضاف إليهم جزء من وادي بيشة ، فيقال وادي ابن هشبل .

(٤) هو رأس وادي بيشة قرب خميس مشيط .

١٩ ـ مسحيل ٢٠ ـ الرونة ٢١ ـ الشطوة
٢٢ ـ نعمان ٢٣ ـ الشعبة ٢٤ ـ آل غايب
٢٥ ـ الهرير ٢٦ ـ الوقبة ٢٧ ـ ذلالة
٢٨ ـ الولواق[١] ٢٩ ـ الشعب ٣٠ ـ آل رميح
٣١ ـ آل مشيط[٢] ٣٢ ـ آل دواس ٣٣ ـ آل مريط
٣٤ ـ آل مغيط ٣٥ ـ الصفق ٣٦ ـ آل جحيش
٣٧ ـ آل عضرس[٣] ٣٨ ـ آل حمدان ٣٩ ـ آل عزيز
٤٠ ـ آل شبيل ٤١ ـ آل نصاب ٤٢ ـ العرق
٤٣ ـ الدرب ٤٤ ـ قنبر ٤٥ ـ الصمده
٤٦ ـ آل ثمارة ٤٧ ـ كود ٤٨ ـ بنو مُنبّه[٤]
٤٩ ـ بنو مالك ٥٠ ـ بنو جابر ٥١ ـ بنو مالك
٥٢ ـ آل سرحان ٥٣ ـ الجهرة ٥٤ ـ بنو ماجور
٥٥ ـ آل علي بن حاوي ٥٦ ـ آل أبي ثور ٥٧ ـ الشهمة
٥٨ ـ آل غرير ٥٩ ـ آل راشد ٦٠ ـ آل طريف
٦١ ـ الجواهرة ٦٢ ـ آل سرار ٦٣ ـ المحامدة
٦٤ ـ الطلوم ٦٥ ـ الحشافة ٦٦ ـ النجود
٦٧ ـ البدور ٦٨ ـ بنو عمر ٦٩ ـ آل عياف
٧٠ ـ الشهارية ٧١ ـ بنو شهم ٧٢ ـ الحربة
٧٣ ـ البوادنة ٧٤ ـ الحنفة ٧٥ ـ الدحارج

(١) كذا في الأصل وهو غير واضح .
(٢) الذين تنسب لهم مدينة خميس مشيط .
(٣) لعله عفرس .
(٤) كانوا بطنا من زبيد من مذحج .

٧٦ ـ آل بالقرب	٧٧ ـ آل حسنة	٧٨ ـ الظهور
٧٩ ـ آل البغاش	٨٠ ـ آل خذام	٨١ ـ آل حبيب
٨٢ ـ آل مسعود	٨٣ ـ الرمازية	٨٤ ـ آل الخصران
٨٥ ـ آل مليحة	٨٦ ـ ذهبان[1]	

ويقدر عدد أفراد هذه القبيلة بحوالي (٢٥٠٠٠٠) مائتين وخمسين ألف نسمة ، وتنحدر هذه القبيلة في الأغلب الأعم من أصل قحطاني ما عدا سكان شعف اراشه إذ هم ينحدرون من عنز بن وائل من العدنانية .

وهكذا ترى هذه البطون بلا ترتيب ولا نسب إلى عشائر شهران الكبيرة إنما نثرت نثراً ، وهكذا وجدناها فنقلناها مع التذييل والتنبيه[2] .

أما قوله : من أصل قحطاني ، فكل من لديه أبسط المبادىء في علم انساب العرب يعرف أن شهران من خثعم من أنمار وأنمار بن نزار بن معد بن عدنان ، إنما تيامنت بنو أنمار فانتسبت في اليمن جهلاً ، كذا قال اكثر النسابين ، وبينهم خلاف وأقوى الأقوال هذا القول .

أما المعروف أن شهران تنقسم إلى ثلاثة بطون كبيرة :

١ ـ بنو بجاد ، ٢ ـ بنو واهب ، ٣ ـ بنو منبه .

ولكل فرع فروع كثيرة لم يتيسر لنا منها إلا ما نقلنا أنفاً . ومن شهران القديمة : آل مهدي ومنهم المحلف . وذكرهم الهمداني في « الإكليل (ج٢) » فقال : وشهران العريضة قبيلة من خثعم . ويعلق العلامة الاكوع محقق « صفة جزيرة العرب » على ذلك فيقول :

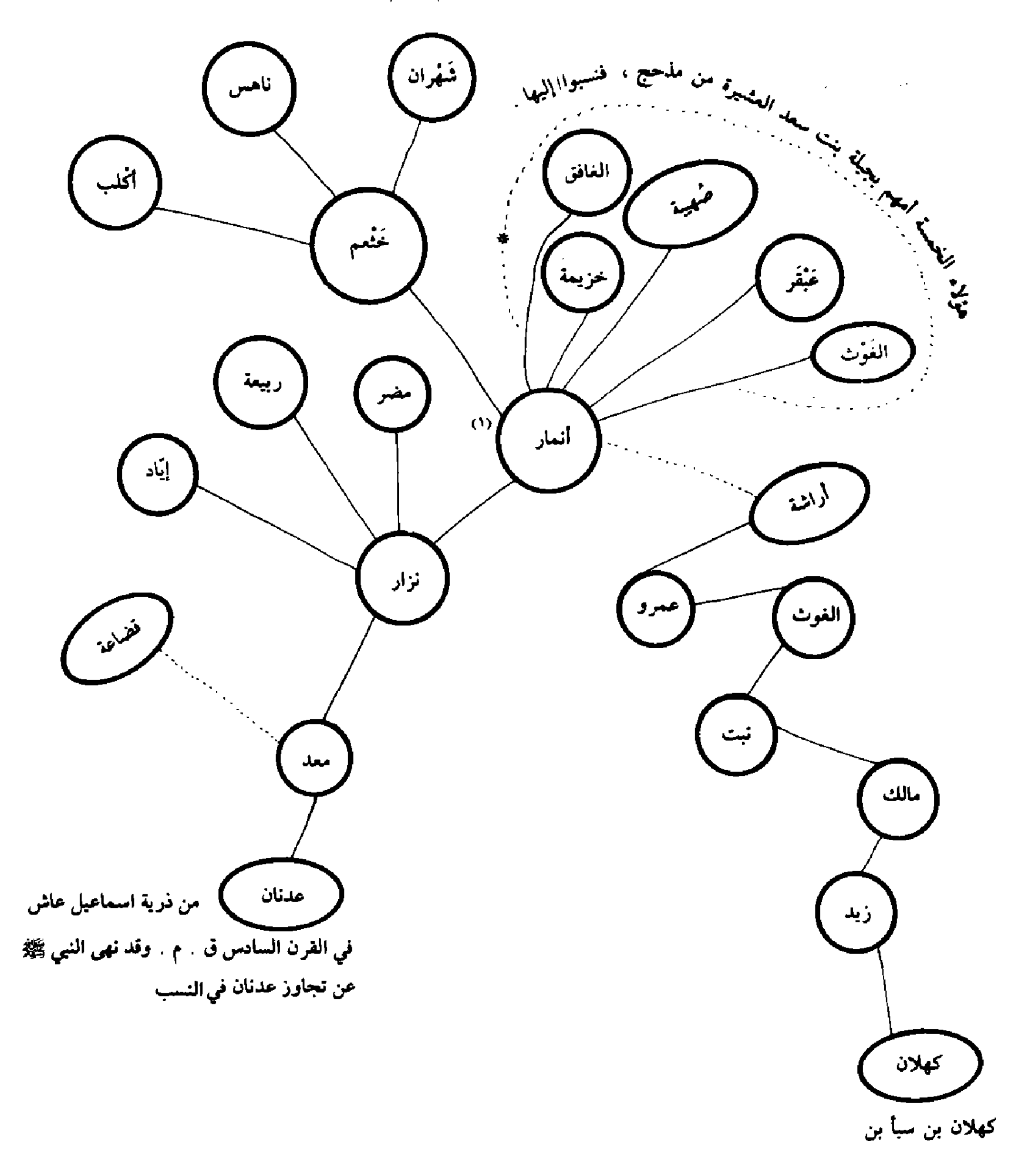
---

(١) ذهبان : واد كما تقدم وليس بقبيلة .

(٢) التنبيه : عن كنز الأنساب .

لشهران العريضة الخثعمية بقية ! قلت : بل تكاثرت وعرضت أكثر من ذي قبل . تمتد ديارها من خميس مشيط جنوباً إلى أن يكون لهم جل وادي بيشة النخل ، وتقرب من تثليث شرقاً إلى قرب تبالة غرباً .

مشجر يبين نسب شهران وعموم خثعم



(*) هذه النقاط تدل على الاختلاف في النسب .

(١) اختلف النسابون في أنمار ، فقيل : أنمار بن مَعَدّ بن عدنان ، وإنما تيامنت أنمار فانتسبت إلى اليمن جهلاً منهم ، فقالوا نحن بنو أنمار بن أراشة بن عمرو بن الغَوث . إلخ . وقال آخرون : بل هم بنو أنمار بن نزار بن معد ، وهو الراجح . وكان له من الولد : بنو بجيلة الموضح رسمهم هنا ، وخثعم ، وقولهم : اليمن . ذلك أن العرب تقول لكل ما هو جنوب يمن ، وإلا فإن ديار بجيلة وخثعم تقع جنوب الطائف في الحجاز .

(٢) هناك قول : أن قضاعة بن معد ، والراجح أنه من حمير ، وأن معداً تزوج أمه فتربى قضاعة في حجره فنسب إليه ، وسكن ديار العدنانية ، وكان لهم الساحل حول جدة .

العلايا

وعلى ٣٣٨ كيلاً من الطائف ، ونحـو من ١١٨ كيلاً من البـاحة جنوباً ، وصلت إلى بلدة العلايا، قاعدة (بلقرن) : مدينة صغيرة على ظهر السراة ، تحيط بها المرتفعات الجميلة، وحركة العمران فيها نشطة ، وهي مركز إداري به إمارة ومحكمة ومدارس للبنين والبنات ، وجوها جميل جداً ، تعتبر من المصائف الجميلة في بلادنا ، فقد مررت فيها في عز الظهيرة وفي فصل القيظ فلم أشعر إلا بالبرودة الربعية .

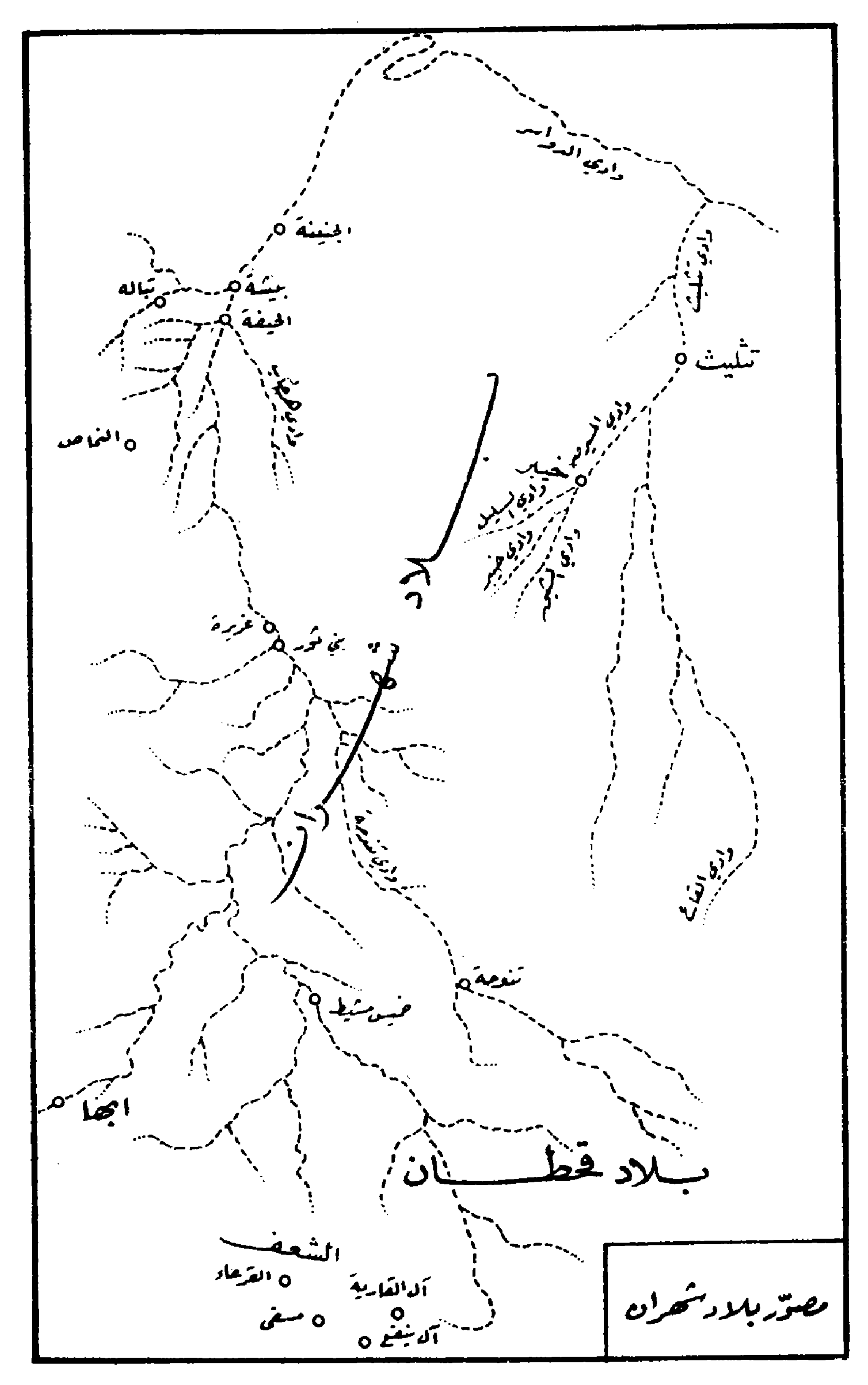
وبلقَرْن (بنو قَرْن) قبيلة من الأزد ، نتحدث عنها في موضوع آت أثناء الحديث عن الازد عامة .

النماص

وقبل أبها بمائة وسبعين كيلاً وصلنا النماص : قاعدة بني شهر وبني عمرو من آل حجر أو رجال الحجر كما يقولون . وهي مدينة متقدمة في فسيح من الأرض ، بها جميع الدوائر الحكومية التي توجد في المدن ، ويقول عمرو بن غرامة العمري في كتابه (بلاد رجال الحجر) : إن اسم النماص كان (القَرْية) ثم أطلق على هذا الإسم لكثرة نبات الحلفاء في واديها ، واهل السراة يسمون الحلفاء « النمص » .

ويقول ابن غرامة : المسافة بينها وبين أبها (١٥٠) كيلاً ، وبينها وبين الطائف (٤٢٠) كيلاً أيضاً . وما ذكرنا آنفاً مأخوذ من عداد السيارة .

وجـو النماص جميـل وجبالهـا خُضْر ، وتـرتفع عن سـطح البحر (٢٢٠٠) متر . ولها سوق أسبوعي يوم الثلاثاء . ومعظم مـدن السراة تكوِّن أساساً أسواقاً اسبوعية ثم تتطور إلى مدن .



عن كتاب (عسير) لمحمود شكر

تنومة

وعلى (٢٥) كيلاً جنوب النماص وعلى نفس الطريق المعبدة وصلنا بلدة تنومة : بلدة صغيرة بين هضاب شوامخ مغر على ظهر السراة ، ويقال لها : سبت تنومة ، ذلك أن سوقها يوم السبت ، وهي جميلة ذات جو منعش . وهي لبني شهر من الحجر، ولها عقبة إلى تهامة تسمى عقبة تنومة لها شهرة في السراة. تبعد تنومة شمال أبها بحوالي (١٤٠) كيلاً .

اثنين بَلَّسْمر

لا زالت الطريق تسير على ظهر السراة آمة سهيلاً ، وعلى (١٢٦) كيلاً تقريباً وصلنا إلى اثنين بلسمر: بلدة سوقها الأثنين ، وهي قاعدة بلسمر من رجال الحجر ، وهي في واد عميق يدعى وادي ذنوب ، كذا ذكر عمرو بن غرامة . وبها جميع مرافق الدولة ، وجـوها جو السراة ، وغالباً ما يكون ممطراً بعد الظهر .

الأزد

منذ أن غادرنا الطائف أو بالأصح بعده بقليل إلى أن صرنا على مقربة من مدينة أبها البهية ، ونحن في ديار الأزد (أزد السراة) وألمحنا إلى عدد من قبائلها ، ولا شك أن قارىء هذه الرحلة سيتساءل :

من هي الأزد وما نسبها وأين ديارها ؟؟ ومن حقه أن نورد له لمحة مختصرة عن هذه القبيلة ، نسبها وديارها وفروعها .

الأزد قبيلة من اليمن كانت تقطن مأرب بأرض اليمن ، وكان لهم ضياع هناك تسقى بسد عظيم يعرف بسد مأرب فخرب ذلك السد فتفرقت

قبائل الأزد في البلاد .

وهم بنو الأزد ويقال الأسد ـ باسكان السين ـ بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ . كذا أجمع نساب العرب ، ولذا ضرب بتفرقهم المثل فقيل (تفرقوا أيدي سبأ) .

وخبرهم يطول،وموجزه : أن فرقة منهم أخذت على تهامة فنزلت ماء يقال له غسان فدعيت أزد غسان ، ونزلت مكة فتخزعت خزاعة منها ، بينما استمرت القبيلة في مسيرة إلى الشام فكان منها الأوس والخزرج : أبناء حارثة بن ثعلبة العنقاء ، ويقال لهم (بنو قيلة) وهي أمهم ، وسكنت الأوس والخزرج المدينة فكانوا الأنصار الذين نصر الله بهم سيد البشر ، وواصلت غسان المسير فكان منهم بنو جفنة ملوك الشام .

والفرقة الثانية بنو عمران بن عمرو (مزيقياء) بن عامر ماء السماء ، فقد ذهبت إلى عُمان فعرفت بأزد عمان .

نصر بن الأزد

أما بنو نصر بن الأزد وبطون اخرى معها فقد نزلت السراة الواقعة بين الطائف وأبها فسموا « أزد السراة » أو« أزد شنوءة » ، وتكاثروا فيها وملكوها ولا زالوا بها . وهذه الازد (أزد شنوءة) هي المعنية ببحثنا هذا .

وذكر ديارهم الحسن الهمداني في القرن الرابع فقال : أرض السراة : ثم يتلو معدن البرام ومُطار؛ صاعداً إلى اليمن سراة بني علي وفهم ، ثم بجيلة والأزد بن سلامان بن مفرج ، وألمع ـ كذا في صفة جزيرة العرب ، ولا أرى هذا النسب بشيء ـ وبارق،ودوس وغامدوالحجر إلى جرش . بطون الأزد : مما تتلو عَنْز إلى مكة منحدراً . (كانت ديار

عنز حول أبها كما سيأتي) الحجر ، باطنها في التهمة ، وألمع ويرفي إبنا عثمان في أعالي حلي وعشم وذاك قفر الحجر ، وتنومة والأشجان ونحيان ثم الجهوة قرى لبني ربيعة بن الحجر وعاسرة ، وحلبا قرية لبني مالك بن شهر قبلة الحجر على هذا بما فيها مصال لعنز ومن شآميها بلد ألوس والفزع من خثعم ، وشرقيها ما جاور بيشة بلد خثعم وأكلب، وغوريها بلد بارق فآل عبيدة من الأزد ، حلالهم حرام بن كنانة .

فأول بلاد الحجر من يمانيها عِبل : واد فيه الحَبَل ، ساكنه بنو مالك بن شهر ، وباحان به القرى والزرع وساكنه بنو مالك وبنو ثعلبة وبنو نازلة من بني مالك بن شهر بن الحجر ، وذنوب : واد لبني الأسمر من شهر ، ثم الرهوة رهوة بني قاعد من العذْميين من بلاد شهر ، تنومة : واد فيه ستون قرية أسفله لبني يسار وأعلاه لبلحارث بن شهر ، ثم الأشجان : قرية كبيرة ليس في السراة أكبر منها بعد الجهوة ، وساكنها بنو عبد من بني عامر بن الحجر . . . ووراء ذلك الجهوة : مدينة السراة أكبر من جُرش وصاحبها الجابر بن الضحاك الربعي من نصر بن ربيعة بن الحجر . . . وأهل أيد وجيرة الحجر من قريش وخُليطي حضر ، ومن ورائه واد فيه الجيرة القرشيون ، ثم الباحة والخضراء قريتان لمالك بن شهر وبني الغَمْرة .

وحلبا قرية لبني مروان من بني مالك بن شهر ، انقضت قرى الحجر . ثم يمح : وهي أقصى حد الحجر وأهلها الحارث بن ربيعة ، ثم قطع بين الحجر وبين بلد شكر بطنان من خثعم يقال لهما ألوس والفزع فقطعتاه إلى تهامة . وسعد والهمام نزارية . ثم بلد شكر سروي ثم غامد ثم بلد النمر ، ثم بلد دوس من وراء ذلك،والصحن مراعٍ لبني شهر نجديها مما يصلى بيشة حيث تتبطح هي وخثعم وغوريها شامي ترة ، ويمانيها عنزي ، والذي يلي تيّة من غوائر الحرج ، مرة : واد ينصب إلى الكفير ،

وحلى والشرى في شرقي ضنكان أسدى ليرفا بن عثمـان ، ومن أوديته الغورية :فرشاط وصدوره حجرية وأسافله عبيدية من كنانة ، وقرَب : واد أهله من الحجر زيد بن الحجر به ساكنه إلى تهامة ، ووادي ساقين إلى تهامة فيه محجة الحجر التهامية . (بتصرف من صفة جزيرة العرب ص ٢٦٠ - ٢٦٢) .

ديار الأزد اليوم

تمتد ديار الأزد اليوم من شمالي أبها حيث ديار بلـحمر وبلسمر من الحجر آخذة على السراة وتهامة إلى قرب الطائف ، يفصل ذلك ديار بطون من خثعم بين بلقرن وغامد . وكل قبيلة سـرويـة لها قسم تهامي . وقد مرت معنا حواضر السرويين ، أما التهاميون فغالبهم تبع للسرويين .

ومما تقدم ترى أن ديارهم لم تتغير منذ ذكر ذلك الحسن الهمداني يرحمه الله ، وكانت كذلك قبله من عهد الجاهلية ، ذلك أن هذه البلاد ذات هواء نقي وخصب وخير كثير فيزيـد تمسك أهلهـا بها ، بخـلاف الصحاري والديـار الحجريـة التي كثيراً مـا يقصي أهلها عنهـا الجدب والشظف .

فروع الأزد اليوم

يسكن السراة اليوم كما قدمنا عدد من بطون الأزد ، أهمها :

١ - الحجر ، ويقال رجال الحجر ، قال الهمداني في « صفة جزيرة العرب » (ص ٢٥٨ ، ٣٧٤) الحجر بن الهنوء بن الأزد ، وفي مكان آخر

(٢٦٠) يقول: الأزد بن سلامان بن مفرج . والذي عليه أهل النسب أنه الأزد بن الغوث ، وقد قدمنا نسبه ، وكان له من الولد : الهِنْؤُ ـ بكسر الهاء وسكون النون ـ والحارث وعمرو وعبد الله ، ومازن ، ونصر .

وكان للهِنْىء من الولد : أفكة ، وحوالة ، ودهنة ، والهون . وليس فيهم الحجر ، إنما يوجد الحجر من ولد مزيقياء (عمرو) بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف من الأزد .

وكذا قال في « الاشتقاق » : ولد عمران بن عمرو (مزيقياء) الحَجْر ـ ففتح حاءه ، والأسِد ـ بسكون السين ـ ولكن الذي عليه الناس اليوم بكسر الحاء . تبدأ ديار الحجر من قرب أبها في الجنوب وتستمر الى قرب العلايا في بلاد بلقرن ، وتنقسم الى أربعة بطون رئيسية : ١ ـ بنو شهر بن الحجر بن الهنىء، كذا ذكرهم الهمداني لسان اليمن ، ولهم فروع عديدة منها : بنو التيم، وبلْحارث ، وشهر ثرامين وشهر الشام ، والعوامر ، وهؤلاء يقال لهم بنو شهر السراة . هذه الفروع عن كتاب عمرو بن غرامة (بلاد رجال الحجر) . ولكل فرع من هذه الفروع فروع أصغر وبنو شهر التهم ؛ وقسمهم عمرو بن غرامة العمري إلى :

أُثرب ، وبقْرة ، وبنو الأجدع ، وبنو حسين ، وبنو زهير ، وبنو مليح ، وبنو ثَرْبان ، وآل شُعَيب ، وآل صُمَيد ، وعبس ، وآل كُمَيت ، والمجاردة ، ومملح ، ونُعص .

وبنو شهر البادية ، ومن أقسامها : بادية بني أثلة ، وبادية آل بلرَّياع (بنو الرياع أو الرجاع) لأن الأزد تبدل الجيم ياء ، وخاصة بني شهر وبني عمرو . وبادية بني بَكْر ، وبادية العُمرَة ، وبادية قُشَير ، وبادية الكلاثمة (الموادعة). ذكر هذه الفروع عمرو العمري (ص ١٠٢ ـ ١٢٠ بلاد رجال الحجر) .

٢ ـ بنو عمرو : ولم أجد لهم ذكراً قديماً ، وهم خلطاء بني شهر ، ولا يبعد أنهم كانوا فرعاً منهم . وقسمهم عمرو ص ١٥٨ إلى :

أ ـ بنو عكر السراة ، وهم قسمان : عمرو الشام وعمرو اليمن . وقسم عمرو الشام إلى بنو رافع ، وآل سليمان ، والشق ، وآل الشيخ ، وعُضَيدات .

ب ـ بنو عمرو البادية ، وهم : بلحارث ، وآل جمعة ، وكعب

جـ ـ بنو عمر التهم ، وهم :

آل إماش ، وآل خُشيل ، وآل الدَّهيس ، وبنو قبيس، وآل محمد ، وآل يثيبة .

٣ ـ بالسمر (بنو الأسمر) . وقال الهمداني في « صفة جزيرة العرب » : بنو الأسمر ابن شهر بن الهِنْؤ . وقال ابن غرامة : هم : بنو منبح وبلْعذمة . وينقسمون إلى :

أ ـ بِلَّسْمر في السراة ، وفروعهم : بنو مُنْبح الشام ، وبنو مُنْبح اليمن ، وبَلْعَذْمة .

ب ـ بلَّسمر البادية، وهم : آل جبل، آل حمامة، وآل عباء .

جـ ـ بَلّسْمر تهامة ، وهم : آل سعد ،وبنو مالك تهامة ، ولعلهم الذين ذكرهم الهمداني فقال : بنو مالك بن شهر، وردَّد ذلك كثيراً ، وآل معتب .

٤ ـ بَلَّحمر (بنو الأحمر) بن حجر بن الهِنْىء بن الأزد .
وقسمهم عمرو بن غرامة ، إلى :

أ ـ بلحمر السراة ، وهم : المَجْنب ، وآل محمد ، ونازلة . وذكر الهمداني نازلة ، فقال : بنو نازلة من مألك بن شهر بن الحجر .

ب ـ بـلحمر البادية ، وهم : بادية المجنب ، وبادية آل محمد ، وبادية بني ثعلبة .

جـ ـ بـلحمر تهامة ، وهم : بنو فرشاط ، لهم ثمان قرى . انتهت الحجر

بلقرن

بنو القرن : قبيلة من الأزد ، قال الهمداني في صفة جزيرة العرب : ثم سراة ناه من الأزد ، وبنو القرن . وذيَّل على ذلك العلاّمة محمد بن علي الأكوع قائلاً : بنو القَرْن بالفتح ثم السكون : من الأزد من ولد عبد الله بن عدثان .

وفي نسب الأزد : عدثان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد . وأنجب : دوساً ومنهباً ، وهما بطنان معروفان الآن في زهران ، ولم يذكر عبد الله بن عدثان .

وفي «الاشتقاق» : ومن بني عبد الله بن الأزد : بنو قَرْن ، قبيل لهم مسجد في الكوفة . وبنو قرن هذه غير بني قَرَن التي في زبيد مراد . وباتفاق النسَّابين فبنو القرن ـ أو بلقرن ـ كما تدعى اليوم ، هي قبيلة من الأزد .

ديارها

تقع ديار بلقرن ـ كما ألمحنا سابقاً بين رجال الحجر جنوباً وخثعم شمالاً ، وتمتد من الشرق إلى الغرب ، فتكون لها سراة وغور ، وقاعدتها أدمة .

فروعها :

تحدث عن فروع بلقرن ابن من أبنائها ، هو : مزهر بن محمد القرني - وصاحب البيت أدرى بما فيه - فقال :

تنقسم قبيلة بلقرن إلى أربعة أقسام، هي :

١ - دُحيم : بضم الدال المهملة : وهي من أكبر فروع بلقرن ، وهم حاضرة وبادية ، ومن فروعهم : آل عيسى ، والكرعان ، وآل علاء ، وآل عُبيد البدو ، وآل سَلَمَة .

٢ - بنو رزق : بتقديم الراء المكسورة على الزاي الساكنة : وغالبيتهم في تهامة ، ومنهم : الحَمِيد - بفتح المهملة - وشَعَف بلقرن ، والشعف ، رؤوس السراة ، فاذا قالوا : قرية شعفية، أي من ذروة السراة .

٣ - آل سُليمان : وأكثرهم حُجُر . والقليل في تهامة ، ومن فروعهم : آل عُمران ، وآل يزيد ، والحُصَنه ، وآل شُرَيح، والحَنيك .

٤ - آل مَشْيب : ومنهم :المشايعة ، أهل وادي ثما ، وآل رَوْحان ، وآل طَلْحة ، وآل عُبَيد ، ويقال أنهم من آل عبيد البدوالمذكورين في دُحَيم ، وآل الزارية .

غامد

القبيلة الثالثة هي غامد ، وهي قبيلة أزدية تنسب إلى غامد بن عبد الله بن كعب بن الحارث بن عبد الله بن مالك بن نصر ، وهو شنوءة بن الأزد . كذا أثبتناه في (معجم قبائل الحجاز) وقيل : بل غامد هو عبد الله ، ثم بقية النسب ، وقيل : بل هو عمرو بن عبد الله . تمتد ديارهم من بلاد خثعم جنوباً -

بحيث تفصل بينهم وبين بلقرن - إلى بلاد زهران شمالاً وراء رغدان، وتمتد من الشرق إلى الغرب فلها في الشرق أعالي وادي رنية ، وتهبط إلى تهامة جنوب دوقة .

وهذه ديارهم من عهد الجاهلية ؛ أكثر غامد أهل حضارة وتجارة ولهم مدن كبيرة عامَرة ، مثل : الباحة وبلجرشي والظفير ، وقد مرت معنا .

ومن اهم فروعها : بلجرشي ، وبنو عبد الله ، وبنو كبير - بطن قديم مذكور - وبنو ظَبْيان - وبنو خُثَيم ، وبالشهم ، والرهوة ، وكلها حاضرة .

ومن بادية غامد : رفاعة ، والزُّهران ، والحلّة ، وآل طالب ، والقنازعة ، وقسم من بني كبير ، والهجاهجة ، وبنو سُلَّم ، والزوايع ، ومنها في تهامة : غامد الزناد ، يطلق على قسم منها (العطوة) ، وقد أتينا على مبلغ علمنا عنهم في (معجم قبائل الحجاز) .

زهران

قبيلة من الأزد ، هم أخوة غامد نسباً ، وجيرانهم دياراً ، مع اختلاف في العادات والسجايا ، وهم بنو زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر ، وهو شنوءة بن الأزد ، وقد تقدم نسب الأزد .

تقع ديارهم جنوب الطائف على قرابة ١٩٠ كيلاً، بين غامد في الجنوب وبالحارث شمالاً شرقياً ، وبني مالك شمالاً وجنوباً شرقياً غامد أيضاً ، وجنوباً غربياً زبيد من حرب ، وغرباً الأشراف ذوو حسن والبحر . وقاعدتهم بلدة المندق على ظهر السراة شمال غربي الباحة .

فروع زهران

اتينا على تفصيلها في (معجم قبائل الحجاز) ، وهنا عجالة يقتضي المقام ذكرها ، فمن فروع زهران :

١ - بنو يُوْس : ومنها : بنو حسن ، وبلخزمر (بنو الخزمر) ، وكنانة ، وبنو عامر ، والأحلاف .

٢ - بنو سُلَيم : وهم بنو سليم بن قطرة بن غنم بن دوس بن عُدْثان بن عبد الله بن زهران . ومنهم : بنو المفضل ، وآل مقبل ، وآل يحمد ، وولد سعدى ، وبالطفيل ، وبنو بشير ، والمشاييخ ؛ حلفاء . وآل يحمد : هم بنو اليحمد ابن حمي بن عثمان بن نصر بن الأزد . ومبشر ، وهو : مبشر بن صعب بن دهمان بن نصر .

٣ - بنو عُمَر : ومنهم : الجبر، وآل سويدي ، وبنو جندب ، وبنو حرير ، وبنو عدوان ، وقريش (حلفاء)

٤ - دَوْس : وهم بنو دوس بن عدثان ، وبقية النسب مضى في بني سُلَيم . ومن فروعهم : بنو منهب ، وهم بنو منهب بن دوس ، وبقية النسب كما هو ، وآل عياش ، وبنو علي ، وبنو فهم ؛ وهم بنو فهم بن غنم بن دوس . وتتميز قبيلة زهران بالكرم الزائد والشجاعة ، وجلها غير ذي مال ، بخلاف أخوتها غامد المشهورين بالغنى والترف .

بلحارث

وإلى الشمال من زهران تقع ديار بلحارث (بنو الحارث) يحدهم من الشرق البقوم ، ومن الغرب بنو مالك (بجيلة) ، ومن الشمال عتيبة ، وهي قبيلة متوسطة كزهران وغامد وبلقرن ، أقل من الحجر دياراً وفروعاً ، وقاعدتهم

(الجبوب) وقد تقدمت ، وهم بنو الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر . وكان من عادتهم ، وما زال ، إذا أسن الرجل فتزوج ورزق بنين صيفيين ينسبون باسمه ، فيقال : آل فلان ، بينما يستقل الابناء الكبار باسماء يحملها ولدهم ، ولعل الحارث هذا اختص ببعض بنيه دون من اشتهر كزهران وغامد وثمالة . وتتفرع بلحارث اليوم إلى :

بنيوس (بنو الأوس) والشلاوي ، وناصرة . وقد فصلت فروعهم في المعجم فأغنى عن الإعادة .

ثمالة

قبيلة من الأزد تقع ديارها جنوب الطائف على ٢٥ كيلاً ، في وادٍ يسمى وادي ثمالة . وقد دخلت في ثقيف ، وهم بنو ثمالة ، وقيل اسمه عوف بن أحجن بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله ، إلى الازد (راجع المعجم) .

البقوم

قبيلة أزدية متوسطة الحجم ، تقع ديارها في وسط وادي تربة ، وتمتد شرقاً وشمالاً ، ولها جبل حضن المشهور ، وتحيط بها من القبائل : عتيبة من الشمال ، وبلحارث وعتيبة أيضاً من الغرب ، وسبيع من الشرق والشمال الشرقي ، وغامد من الجنوب .

والبحث في نسب البقوم فيه غموض ، فقد ذكرهم الهمداني في « صفة جزيرة العرب » وهو يعدد بطوناً من الأزد فقال : وأما من سكن السروات ـ يعني

من الأزد ـ فالحجر بن الهنيء، ولهب وناه وغامد ، ومن دوس وشكر وبارق السوداء ، وحاء وعلي بن عثمان والنمر وحوالة وسلامان والبقوم وشمران وعمرو ، ولحق كثير من ولد نصر بن الأزد بنواحي الشحر وريوت وأطراف بلد فارس فالخويم فموضع آل الجلندي .

وما ذكر صاحب « الاشتقاق » البقوم وهو الأزدي ، ولا أدري كيف ذلك ؟! وجزم بعض الباحثين أن باقماً (جد البقوم)هو ابن حوالة بن الهنيء بن الأزد . وقيل : باقم جبل نسبوا إليه، وهم بطن من الهنيء من الأزد . واكتفى صاحب « لسان العرب » بالقول : (البُقْم قبيلة من العرب) . وكذلك قال صاحب القاموس . ومهما يكن فان نسب البقوم ثابت في الأزد .

فروعهم

قسمهم ردار بن ناصر البقمي في كتابه (نسب البقوم) فقال : تنقسم قبيلة البقوم الى قسمين :

١ ـ المحاميد ، وفروعها : المورکة ، والمرازيق ، والدهمة ، والكرزان ، والسميان ، وهذيل .

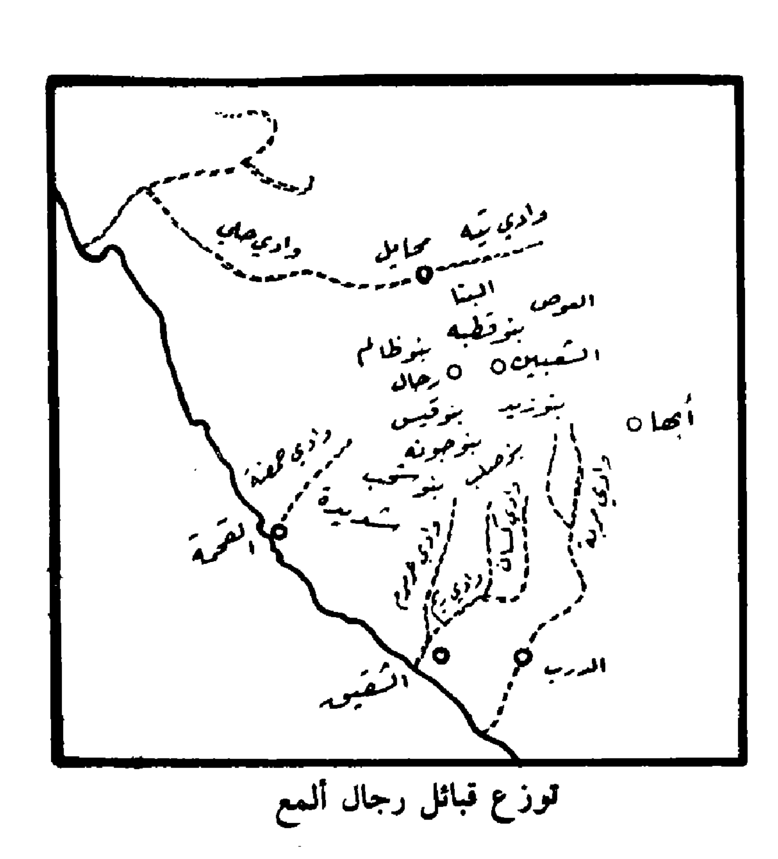
٢ ـ وازع ، وفروعها : الكلبة ، والقروف ، ورحمن ، والدغافلة ، والجنبة . وفي المعجم تفصيل أوفى .

ألمع

قبيلة من الأزد تسكن تهامة غرب أبها ، وقاعدتها مدينة (رجال ألمع) ثم نقلت القاعدة قبل مدة إلى (الشعبين) ، وهي قرية كبيرة في بلاد رجال ألمع ، وتسمى القبيلة اليوم (رجال ألمع) ، وهم بنو ألمع بن عمرو بن الأزد وقد تقدم

نسب الأزد، وقال في « صفة جزيرة العرب » : ألمع ويرفى ابنا عثمان . وبلادهم تهامية ، على السفوح الغربية لسراة عسير ، تحدها من الشرق عسير ، ومن الغرب الساحل ، ومن الشمال بعض بطون عسير في محايل ، ومن الشمال بنو شعبة في الدرب المعروف بدرب بني شعبة .

وأرضهم ذات جبال عالية تتدرج في الانخفاض حتى تتلاشى غرباً في الساحل ، لها أودية عميقة ذات غيول ومياه جارية ، من أهمها : وادي كسوة : يفيض إلى درب بني شعبة ، ووادي كسّان ، ووادي شوقب ، ووادي ريم ، ووادي تيَّة ، ووادي عرمرم ، وغيرها كثير .



توزع قبائل رجال ألمع

نسب ألمع

هو ألمع بن عمرو بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان .

وكان لعمرو من الولد : سوادة ، وامرؤ القيس ، وربيعة ، وألمع ، والصيق . ولا شك أن بعض اخوة ألمع دخلوا فيهم ، منهم الصيق لا زال معروفاً في ألمع . أما انتساب بعض قبائل ألمع إلى العدنانية ففيه نظر .

فروع ألمع

قال الشيخ محمد بن الأحمد الألمعي : تنقسم قبائل ألمع الى ثمانية فروع كبيرة ، وبعضها أكبر من بعض، ومن هذه الفروع :

١ ـ بنو مسعود ، وتنقسم إلى فرعين : بنو قيس بن مسعود ، وكانوا رؤساء ألمع قاطبة في زمن تقدم ، وبنو جونة بن مسعود : تسكن هذه القبيلة وادي حسوة .

٢ ـ بنو بكر ، وهم فرعان : آل صُلب ، وبنو زيد : سكان وادي حسوة .

٣ ـ بالشجن او بنو الشجن : سكان وادي ريم .

٤ ـ شديدة : سكان وادي عرمرم .

٥ ـ الصِّيق : وهم بنو الصِّيق بن عمرو بن الأزد ، وبقية النسب تقدمت في نسب ألمع . وهذه البطون يقال لها ألمع اليمن ، وهي عادة موروثة مشهورة عند العرب ، فكل ما هو جنوب يسمى يمناً ، وكل ما هو شمال يسمى شاماً .

٦ ـ الرفقة ، ويسمونهم أم رفقة ، بلغة أهل اليمن : وهم فرعان : بنو ظالم وبنو قطبة ، ويسكنون صدور وادي حلي ، ولهم قرية الشعبين ، وقد صارت المراكز الحكومية إليها بعد أن كانت في رجال ألمع .

٧ ـ آل العوص (الأعوص) : ومساكنهم صدور وادي حلي .

٨ ـ البنا : ومنازلهم بجوار الأعوص ، ويلونهم في الدعوة ، ومن البنا بيت بمكة يقال إنه ينتسب إلى هؤلاء .

وهذه البطون تسمى ألمع الشام .

وتوجد في بلدة رجال ألمع اسرة الحفاظية (آل الحفظي) ، وهؤلاء جاءوا من اليمن ، ويقال إنهم هم الذين أسسوا بلدة رجال ألمع .

ولصديقنا الاستاذ محمود شاكر كتاب عن عسير يحسن الرجوع اليه في معظم ما يتعلق بمنطقة عسير ، فقد قدمها في دراسة وافية . وهناك كتاب للشيخ هاشم بن سعيد النعمي العسيري (تأريخ عسير) كامل شامل .. وهذه البحوث الموجزة أملتها مناسبة الرحلة .

بارق

قبيلة أزدية، قيل: بارق ، جبل نزله سعد بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو (مزيقياء) بن عامر (ماء السماء) من الأزد، وهم أخوة الأنصار، وليسوا من غسان، وهو بتهامة أو اليمن، وقال ابن عبد البر: : بارق ماء بالسراة فمن نزله أيام سيل العرم كان بارقياً، ونزله سعد بن عدي بن حارثة وابنا أخيه: مالك وشبيب، ابنا عمرو بن عدي فسموا بارقاً. وقال ابن دريد: بارق هو سعد بن عدي بن حارثة، سمي بارقاً بجبل نزله بالسراة. وقال هشام في موضع آخر: وأقامت خثعم ابن أنمار في منازلهم من جبال السراة وما والاهـا أو قاربها من البلاد في جبل يقال له شنّ وجبل يقال له بارق، حتى مرت بهم الأزد في سيرها من أرض سبأ وتفرقهم في البلدان، فقاتلوا خثعماً فأنزلوهم من جبالهم وأجلوهم من مساكنهم، ونزلها أزد شنوءة: غامد وبارق ودوس، وتلك القبائل من الأزد.(هذا ذكره ياقوت ، مادة بارق) ولا زالت قبائل بارق تسمى أهل بارق ، وهو دليل أن بارقاً موضع لا رجل .

وفي « سبائك الذهب » بارق بن عدي بن حارثة بن عمرو (مزيقياء) ويقال أن عدياً هذا اسمه سعد .

وقال في « صفة جزيرة العرب »: ثم سـراة بجيلة، والأزد بن سلامان بن مفرج، وألمع، وبارق، ودوس، وغامد، والحِجر إلى جرش .

وفي مكان آخر قال: وأما من سكن السروات فالحجر بن الهنيء، ولهب،

وناه ، وغامد، ومن دوس، وشكر وبارق السوداء . . الخ . ولا يعني قوله : بارق السوداء أن هناك بارقاً أخرى، إنما هو من قبيل تأكيد الصفة، كما قالوا : مضر الحمراء، وعتيبة الهيلاء،وحرب الحرباء،وسبيع الغلباء . . الخ . ورأيت من قال : بارق وألمع ابنا عمرو بن عدي بن حارثة بن عمرو بن عامر . إلى مازن بن الأزد .

وعلى كل فهم من الأزد وأرضهم اليوم أرض الأزد، قال النعمي : تقع ديارهم في الأغوار(التهائم) من تهامة بني شهر، ويحدها من الشمال والشرق بنو شهر وبنو عمرو، ومن الغرب ربيعة المقاطرة وربيعة الطحاحين . ومن الجنوب المعربة وآل دريب، وأهم أفخاذها :

١ ـ آل سباعي ، ٢ ـ آل جبلي ، ٣ ـ آل موسى ، ٤ ـ حميضة ، ٥ ـ آل سالم . ،٦ ـ آل حجري ، ٧ ـ المهاملة ، ٨ ـ آل عَرّام ، ٩ ـ آل ريان ، ١٠ ـ آل صعبان . وقدر عددهم بـ (٥٠٠٠٠)ألفاً .

ولعمرو بن غرامة العمري كتيب عن بلاد بارق ، ذو فائدة

انتهت قبائل الأزد التي تسكن السراة ، إلا ما ذكر الهمداني فيما تقدم بأن شمران بطن من الأزد ، وهي اليوم في خثعم .

أبها

وعلى ٥٥٠ كيلاً من الطائف وصلنا إلى (أبها) المدينة الجميلة الرئيسية على ظهر هذه السراة الممتدة من الطائف إلى صنعاء، وهي متقدمة عمرانياً، وبها قاعدة إقليم عسير، وجوها أجود جـو في السراة ولها ضـواحٍ جميلة مثل: جبال السودة في الغرب، وبلدة القرعاء في الجنوب، وأهلها في الأصل قبيلة عسيرا العَنْزية ، وديارهم تحيط بها ثم تأخذ الى الغرب الى تهامة . وتلتقي بالقرب منها حدود ثلاث قبائل كبار في المنطقة : عسير المتقدمة تحيط بأبها، وجل ديارها غربها وجنوبها حيث تقع السودة والقرعاء في ديارهم، والى الشمال الشرقي غير بعيد من أبها تبدأ ديار شهران العريضة ثم تأخذ من خميس بـن مشيط باتجاه الشمال إلى بيشة مسافة تقرب من ٤٠٠ كيل . وفي الشرق من أبها تقع ديار قحطان، المذحجية الأصل، وتأخذ جنوباً إلى ظهران اليمن، وشمالاً مارة شرق ديار شهران إلى تثليث، وقد تنقطع ديارها في نصف تلك المسافة، كما سيأتي في بحث قحطان .

متى تأسست أبها كمدينة ؟

أول ما رأيت ذكر أبها في «صفة جزيرة العرب » قال الهمداني : عَسِير قبائل من عَنْز، وعسير يمانية تنزَّرت، ودخلت في عنز فأوطان عسير إلى رأس تية وهي عقبة من أشراف تهامة، وهي أبها وبأبها قبر ذي القرنين فيما يقال عثر عليه على رأس ثلاثمائة من تأريخ الهجرة . ثم عدد ديار عسير كما سيأتي عند الحديث عن عسير، وكانت قلب بلاد عسير غير أنه لم يذكر انها قرية، وكانت جرش هي قاعدة المنطقة الواقعة بين بيشة ونجران .

. ولعل خمول اسمها آنذاك لأنها ليست على محجة اليمن التي كانت تمر بين نجران وجرش جاعلة أبها إلى يسارها .

وفي عصور متأخرة نبه اسم أسرة من عسير تدعى آل عائض وتنتسب الى يزيد بن معاوية ، وصادف ذلك ـ فيما يبدو ـ خراب جُرش ،واتخذ آل عائض أبها قاعدة لهم فنبه اسمها وتقدم حتى صارت قاعدة إقليم كبير يشمل بلاد غامد وزهران شمالاً ، والقنفذة ، وصبياء في تهامة.

يقول الشريف شرف البركاتي صاحب (الرحلة اليمانية) : متصرفية عسير عاصمتها (أبها) وهي كائنة في جبل السراة، شرقي مرفأ الموسم، ويتبع لواء عسير ست قائمقاميات : النماص، ورغدان ،ورجال ألمع ، ومحايل، والقنفذة وصبيا. ويحدد البركاتي إقليم عسير كالآتي : من الشمال زهران، ومن الجنوب صعدة، وفي تهامة من الشمال دوقة. ومن الجنوب أبو عريش، أما من الشرق فالسهل القفرـ هذا معنى قوله : إلى بيشة .

ويطالعنا الشريف شرف البركاتي الذي زار أبها سنة **١٣٢٩** هـ ضمن حملة الحسين بن علي على عسير، فيقول: أبها مدينة عظيمة واقعة في ميدان متسع مربع الشكل، تحيط بها الجبال من جهاتها الأربع كسور لها. ثم يقول: وأبها محتوية على أربع قرى منفصلة عن بعضها، وأكبرها قرية اسمها: مناظر. وهي مقر آل عائض. والقرية الثانية اسمها مقابل. وبها متصرف إقليم عسير، وكان آنذاك: سليمان كمالي باشا. والقرية الثالثة الخشعة ، والرابعة (القَرَى) .

كيف تكتب أبها ؟

جميع رسومها التي مرت بي تكتب بالألف الطويلة ، كذا (أبها) . غير ان استاذنا العلاّمة الباحث اللغوي : عبد القدوس الأنصاري ، يرى ان اسمها بالألف اللينة ، كذا (أبهى) بمعنى أفعل التفضيل من البهاء . وهي بهية حقاً. ثم

رأيت الملك عبد الله بن الحسين كتبها في مذكراته (أبْهَى) وهو ذو حذق في اللغة وتمكّن .

عَسِير

هذه الرحلة تمت وخطط لها لزيارة نجران ودراسته دون سواه، غير أن المـرور هنا أملى هذه العجالة عما تمر به الرحلة .

وفي مطالعات لي سابقة رأيت من خاض في سبب تسمية هذا الاقليم باسم عسير، فقال بعضهم: عسير الجبل سمي لعسره، وقال آخرون: عسير القبيلة سمي بها الاقليم. فرد الطرف الآخر: ان القبيلة (عسير) لا تسكن إلا جزءاً يسيراً من هذا الإقليم، وفيه قبائل اكثر منها ، فكيف يغلب اسمها عليه ؟ .

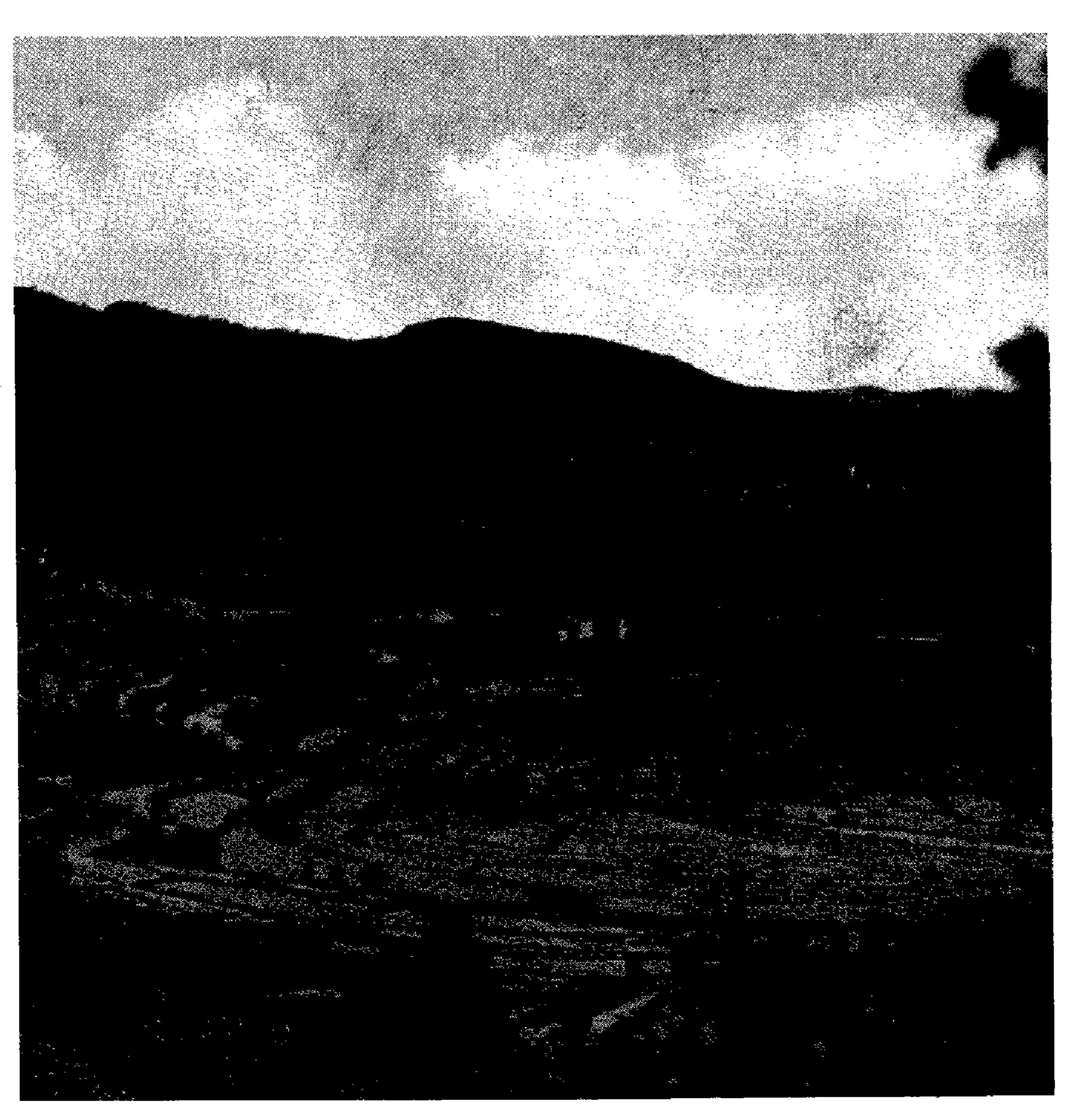
قلت: أما عسير القبيلة فثابت اسمها ونسبها قبل أن يطلق الاسم على الاقليم. كما سترى عند الحديث عنها، والذي يبدو لي أن هذه القبيلة تسلمت مقاليد الامور هنا من زمن ليس قريباً، وقد يقال لأميرها (العسيري) فنسب الاقليم اليه بتغليب السلطة، كما نقول اليوم (السعودية) وأصبح علماً على كل الأراضي الواقعة ضمن هذه المملكة .

ولعسير تأريخ حافل، رأيت الاستاذ محمود شاكر اجتهد فجمع منه قدراً مفيداً في كتابه (عسير)، وليس غرض هذه الـرحلة استقصاء التـأريخ والحوادث .

قبائل عَسير :

قدمنا منازلها فيما مضى، وهي مجموعة من القبائل ، قيل: أربع وقيل: خمس. يقول الشريف شرف في « الرحلة اليمانية » ما موجزة :

ان قبائل عسير هي :



المزارع المتدرجة في جبال عسير

١ ـ ربيعة ، ٢ ـ علكم ، ٣ ـ بنو مالك ، ٤ ـ مُفَيْد ، ٥ ـ رفيدة . وأضاف رجال ألمع إلى عسير، ومن الثابت أن ألمع أزدية ، ولكن البعض يجعل ربيعة ورفيدة قبيلة واحدة فتكون بهذا أربعاً لا خمساً، وهي :

١ ـ بنو مُفَيْد: وإليهم ينضم آل عائض أمراء عسير، ولذا يرى المُفَيْديون أن الرئاسة وحمل البيرق من حقهم. ومن بطونهم : (أ) آل ناجح ،ومن آل ناجح بنو يزيد الذين منهم آل عائض، ويقول اليزيديون أنهم سلالة يزيد بن معاوية الأموي. (ب) مُفيْد الوطى (أي أهل السهل) ومن فروعهم : يزيد الشعف، والشرف .
(حـ) آل عبد العزيز . (د) آل وازع . ونخوة بني مفيد(مفَيد الخطى) .

٢ ـ ربيعة: ومن فروعها : :تيهان ، وثوعة، وعاصم، وآل شداد، وبنو غنمي، واعتزاء ربيعة (ربيعة لزّامة الحرب).

٣ ـ رُفيدة: وهذه تندرج إلى ربيعة وتختلط معها في البطون السابقة، ولا تكاد تذكر إلا مقرونة مع ربيعة، فيقال (ربيعة ورفيدة) . ولها من الفروع: أهل طبب، والحارث، والتلادة، والرفقتين .
وليس بعيداً عنها إلى الشرق رُفيدة اخرى محسوبة من قحطان، ونسب رُفَيدة ثابت في عنز بن وائل كما سيأتي.

٤ ـ عَلْكم: وكثيراً ما تنطق مع عزوتها فيقال: علكم الهَوْل. ومن فروعها: المقرن، والعضاضة، ومازن، وتلادة عبد الله، وآل سعيدي ، وأهل القصير، وآل قاسم، ومن آل قاسم آل عباس .

٥ ـ بنو مالك : ومن بطونها : بنو ربيعة وبنو منبه، وآل يعلى، وآل حبشي وبنو رزام، وآل رميان، والتلادة ، والمجمل .

ومعنى التلاد أو تلادة فلان أي بنوه، يخصصونها للأصلاء، ولا تطلق على الأحلاف . هذا بحث من معلوماتي الخاصة وبعض المراجع الملحقة في

آخر الرحلة، وقد كان لي أصدقاء من عسير في الجيش ، كدت أعرف عنهم كل كبيرة وصغيرة من عادات وتقاليد ، تركتها لكتاب تأريخ عسير الذي بحثها وان لم يوفها .

نسب عسير

لم أجد في كثير مما بين يدي من المراجع القديمة نسباً صريحاً لقبيلة عسير، وكان « لسان اليمن.الهمداني » قد أوفى قبائل اليمن، نسبة وتـفريعاً ، وهو اعرف القحطانيةـ في زمانه ـ بأنسابها وبلادها، ووقف نفسه على ذلك.
قال الهمداني (صفة جزيرة العرب ٢٥٦ ـ ٢٥٧) :

«وجُرش في قاع ولها أشراف غربية بعيدة منها ، تنحدر مياهها في سيل يمر في شرقيها ،بينها وبين حمومة ناصية تسمّى الأكمة السوداء ـ حمومة وحمة وكوكةـ ثم يلتقي بهذا المسيل أودية ديار عنز حتى تصب في بيشة بعطان، فجرش رأس وادي بيشة، ويصالي قصبة جرش أوطان حَزِيمة من عَنز، ثم يواطن حَزِيمة من شاميها عسير قبائل من عنز، وعسير يمانية تنزّرت، ودخلت في عَنْز ، فأوطان عسير الى رأس تية وهي عقبة من أشراف تهامة، وهي أبها وبها قبر ذي القرنين فيما يقال عثر عليه على رأس ثلاثمائة من تأريخ الهجرة، والدارة والفتيحاء واللصبة والملحة وطبب وأتانة وعبل والغوث وجُرشة والحدبة هذه أودية عسير كلها. » ثم يقول: . . . «أوطان عسير من عنز وتسمى هذه أرض طود. أ ـ هـ . »
هنا يقول الهمداني : أنها يمانية أي قحطانية دخلت في عنز، ولكنه لم ينسبها.
ولكن في الإكليل يـقول : أولد عنز بن وائل على ما خبرني بعض من يصاليهم من جنب: رفيدة وأراشة . فأولد رُفيدة: ربيعة ومعاوية وعامراً وعبد الله وعمراً وحماراً، فأولد ربيعة: مالكاً، فأولد مالك: حزيمة وتولباً وسلمان، فأولد عامر بن رفيدة عبد الله ووهباً وإياساً، فأولد عمرو بن رفيدة: سلمة وشقيقاً وتيماً وعبد الله، وأولد أراشة بن عنز بن وائل: عسيراً وقنان وجندلة، فأولد عسير: مالكاً وتيماً، فأولد تيم: زهيراً وسلمة، ومنهم : بنو شيبة وعضاضة وبنو اللقاح. واذا نظرت

الى بطون عسير تجدها لا تخرج عن هذه الاسماء . وفي هذه الرواية يصرح الهمداني بأنهم من ولد عنز بن وائل، فمن هو عنز هـذا ؟ .

عنز

يجمع أهل النسب ـ ولا خلاف بينهم ـ أنه عنز بن وائل بن قاسط بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. فهم أخوة بكر وتغلب ابني وائل، وبنو عم عنزة بن أسد، القبيلة الموجودة اليوم، وان عنزاً تيامنت لسبب من الأسباب ولعله حرب بكر وتغلب التي تفانت فيه، المعروف بحرب البسوس. ولكن عنزاً احتفظت بنسبها. وبهذا يزول الاشكال في نسب عسير، فيكونوا صـرحاءفي وائل ذات البأس والمنعة .

وكانت ديارها حول جرش، وكما تقدم في ديار عسير، حيث قال الهمداني : جرش بين العواسج وعنز ولا أرى قول صاحب الأغاني شيئاً، حيث قال عنز بن سريح بن محلم بن العوام بن المحتمل بن رائمة . . إلى عدنان .

فروع عنز في زمن الهمداني

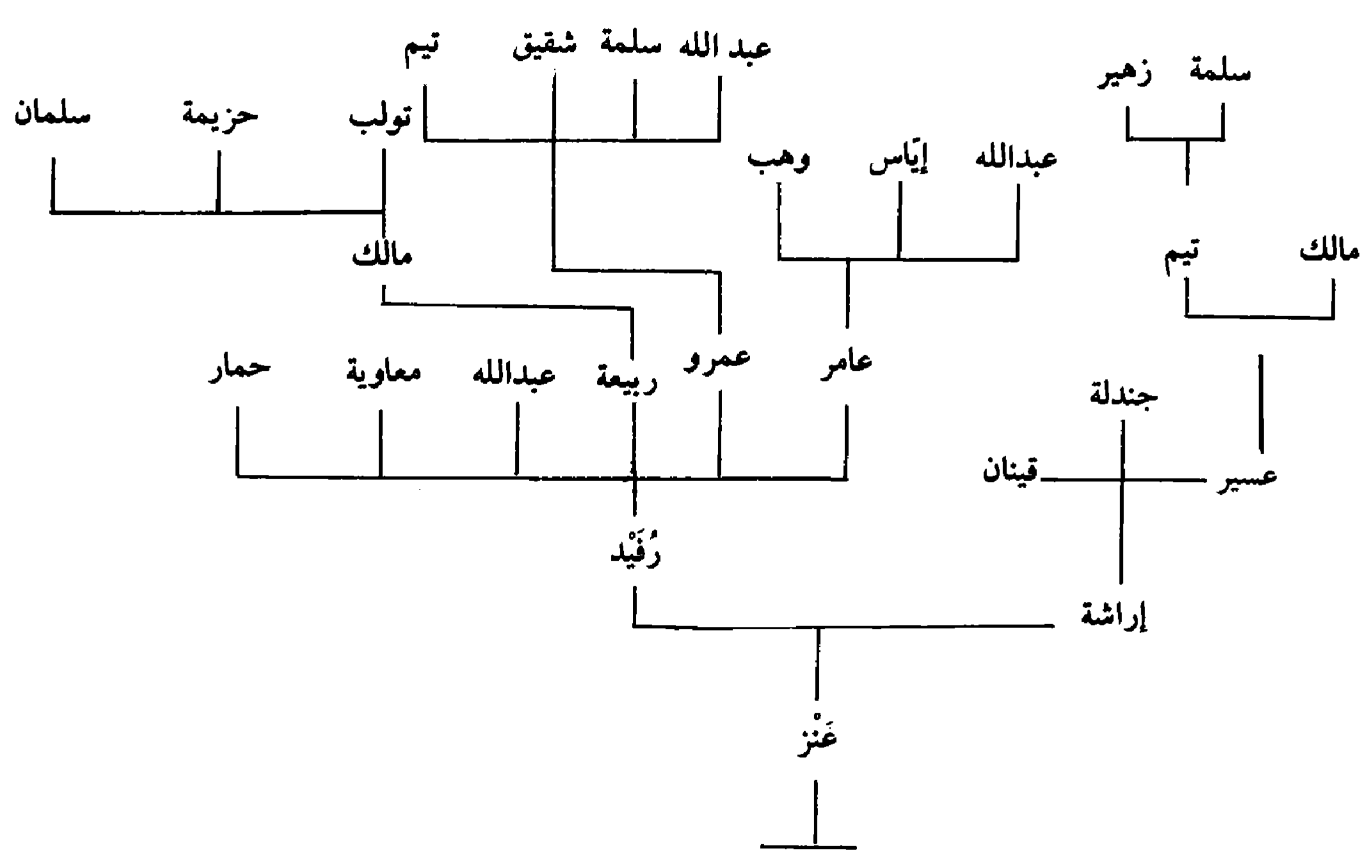
وقد ذكر الهمداني فروعاً عديدة غير عسير لقبيلة عنز بن وائل، فقال: . . . وعبل والمغْوَث وجُرشة والحدبة هذه أودية عسير كلها. ومن النجدي أوطانها: الرُّفيد بلد حصون وزروع لعنز، ووادي هدا وسعيا ويسكنها البشريّون من الأزد، وقد يقال إنهم من بلحارث، ثم يصلاها عنقة ويسكنها بنو عبد الله بن عامر من عنز ثم تَنْدحة، وساكنه بنو أسامة من الأزد، ورأيت بعضهم ينجذب إلى شهران العريضة، والعيبا بلد مزارع لبني أبي العاص من عنز، ويليها وادي طلعان لبني أسد من عنز، والقرعا لشيبة من عنز ولهم قرية كبيرة ذات مسجد جامع يقال لها المسقى وهم مسالمون للعواسج .

والذي يصالي جنب من ديار عنز الرفيد والغوص ووادي عُنقة والراكس والعين عين الرفيد وتَمْنية والعقالة، فالرفيد يسكنه حازمة من عنز، والغوص

يسكنه بنو حديد من عنز، والراكس يسكنه بنو غنم من عنز، والعين يسكنه بنو العراص من عنز، وتمْنية يسكنها بنو مالك من عنز، ذو اليتيم (أو ذو النيم) يسكنه بنو ضرار .

ولا شك ان هذه البطون انضوت تحت لواء اخوتهم عسير، وقد يكون بعضهم دخل في مذحج ثم صار في قحطان خليفة مذحج ،لأنك ترى رفيدة في عسير وتراها في قحطان .

مشجر يبين نسب عنز وعسير



وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن دُعْميّ بن جَدِيلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان .

أي أن عنزاً أخت بكر وتغلب القبيلتين المشهورتين

جُرَش

كانت أعظم مدينة بين الطائف ونجران، فهي بمنزلة أبها اليوم، وعدها الهمداني من حدود اليمن مما يلي نجد الحجاز، وكانت تقتسمها عنز بن وائل والعواسج من حمير، ويقرب منها حد بلاد جنب كما هي اليوم قرب حد قحطان، قال الهمداني: جرش هي كورة نجد العليا- يقصد نجد اليمن . وهي من ديار عنز ويسكنها ويترأس بها العواسج من أشراف حمير، وهو من ولد يريم ذي مقار القَيْل، ولهم سؤدد عَوْد، وجابة اليمانية في أرض نجد إليهم وهم يقومون معهم بحرب عنـز،وفي شق قرية جرش فرق من النزارية يدعون الجزارين من موالي قريش. والغاز من نزار من الغرباء وهم رابطة لعنز على العواسج، ويملي إليهم عنز بصرخها ونجدتها. وجُرش في قاع ولها أشراف غربية. إلى آخر النص الذي قدمناه. وفي مكان آخر يقول: جُرَش بين العواسج وعنز . كل هذا عن « صفة جزيرة العرب » .

ولم يهمل الجغرافيون جرش، فقد جاء في معجم البلدان :

جرش: بالضم ثم الفتح: من مخاليف اليمن من جهة مكة ، وقيل: ان جرش مدينة عظيمة باليمن وولاية واسعة، وذكر بعض أهل السير ان تبعاً اسعد بن كُليكَرب خرج من اليمن غازياً حتى اذا كان بجُرَش، وهي إذ ذاك خربة ومَعَدّ حالة حواليها، فخلف بها جمعاً ممن كان صحبه رأى فيهم ضعفاً، وقال: أجرشوا ههنا أي البثوا، فسميت جُرش. وقال أبو المنذر هشام: جرش أرض سكنها بنو منبه بن أسلم فغلبت على اسمهم وهو جُرش واسمه منبه بن أسلم بـن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سهل . . حتى

اوصله حمير. وبنو منبه اليوم بطن في شهران. والى هذه القبيلة- منبه - ينسب الغاز بن ربيعة بن عمرو بن عوف بن زهير بن حماطة بن ربيعة بن ذي خليل بن جرش، كان شريفاً زمن معاوية، ثم عدّد من أهلها أناساً على عادة ياقوت. ثم يقول: إن أهل جرش كانوا يسقون على الابل. وكان يقال: اليمن ما بين أبْينَ الى جرش. وأبين: والمشهور فيه فتح ثم كسر: مكان قرب عدن، وكثيراً ما تضاف عدن إليه فيقال: (عدن أبين).

وقال ابن اسحاق في «السيرة النبوية» وأهل جرش من مَذْحج اتخذوا يغوث بجرش. ولا تعارض بين قول الهمداني وابن اسحاق، فقد كانت عند البعثة لمذجح، ثم صارت في القرن الرابع مدينة كبيرة فاختلط بها الناس، وتقاتلت حولها العواسج وعنز. والعواسج اليوم في شهران العريضة يقولون لهم العوشزة، وهي لغة البادية اليوم في ذلك، يقولون للعوسجة العواشز.

ويبدو أن جرش كانت مدينة متقدمة في عهد البعثة، فقد ذكر ابن سعد في الطبقات: أن عروة بن مسعود وغيلان بن سلمة الثقفيين لم يحضرا حصار الطائف، وانهما كانا بجرش يتعلمان صنعة العَرَّادات والمنجنيق والدبابات، فقدما وقد انصرف رسول الله، ﷺ عن الطائف، فنصبا المنجنيق والعرّادات والدبّابات وأعداها للقتال. ويقول في مكان آخر من الطبقات: فخرج - يعني - صرد بن عبد الله الأزدي. حتى نزل جُرَش، وهي مدينة حصينة مغلّقة، وبها قبائل من اليمن قد تحصنوا فيها، فحاصرهم صرد، الى أن يقول: فخرج وفدهم حتى قدموا على رسول الله، ﷺ، فأسلموا فقال: مرحباً بكم يا أحسن الناس وجوهاً وأصدق لقاءً واطيبه كلاماً وأعظمه أمانة! أنتم مني وأنا منكم، وجعل شعارهم مبروراً وحمى لهم حمى حول قريتهم. وقال: توفي رسول الله، ﷺ وعامله على جرش صرد بن عبد الله الأزدي.

وجرش اليوم أطلال وأثار قرب خميس مشيط في الشمال الشرقي بجانب جبلة سوداء تسمى حمومة، وبحمومة هذه أرحاء لا زالت ممثلة، كانت تصنع لتلك

المدينة الغابرة، وهي اليوم في بلاد شهران، ومذجح ليست بعيدة منها. أما عنز - ممثلة في عسير - فقد ابتعدت قليلاً إلى الغرب بحوالي ٣٠ كيلاً .

ولم أر مرجعاً ذكر تأريخ اندثار هذه المدينة، رغم انها تقع على طريق حاج اليمن السروي، ولكن هذا ليس غريباً فعلى طريق الهجرة اندثرت مدن تكاد تكون أشهر منها لدى المؤرخين والرحالة، مثل: الجحفة وودّان والسيالة .

غير انه لا بد من الاستدراك هنا بأن المراجع اليمنيَّة لدي شحيحة في مكتبتي، ولكن من الغريب أن بعضها لم يذكر حتى اسم جرش، مثل : عمارة اليمني المتوفى سنة ٥٦٩ هـ ، وكذلك ابن المجاور الذي ذكر معظم مدن الحجاز واليمن، والمتوفى سنة ٦٩٠ هـ .

من أبها إلى خميس مشيط

هبط الطريق إلى أبها (أبهى) من مرتفعات إلى باحة تحيط بها التلال المغمورة بالبناء ، حيث يقع مركز المدينة في مجمع طرق كانت مجمع أودية ، يكتنفها العمران في بناية جميلة عالية ولكنها ليست شاهقة .

ثم خرجت الطريق إلى مطلع الشمس حيث تقع مدينة خميس مشيط ، ولا تكاد تحس انك خرجت من أبها ثم دخلت مدينة الخميس ، ذلك ان مسافة الثلاثين كيلاً التي تفصل بين المدينتين اصبحت معمورة على جانبي الطريق ، حيث توقفت عند إحدى الورش وعرضت على صاحبها سيارتي ، فأخذ يتفحص محركها ويتمهّر ثم فك وركّب ، ولكن عمله كان يشبه عمل (أقراص النوفالجين)إذ لم تلبث سيارتي أن عاد إليها (عكرها) ، ولكن كما تقول أمثالنا (من كتبت له خطوة مشاها ، يشاها وإلا ما يشاها) .

خميس ابن مُشيْط

كانت تسمى (خميس ابن مُشيط) ثم أطلق عليها (خميس مشيط) ولا

تكاد تعرف اليوم الا باسم (الخميس) . وكان سبب التسمية : أنها كانت سوقاً في بلاد شهران تقام كل يوم خميس ، وهذه السراة لا زالت تستعمل أسواق الوعد ، فتجد سوق السبت ، وسوق الأحد . . . الخ .

وهذا السوق كان أهله آل مشيط شيوخ شهران ، ولذا نسب إليهم ، وكلمة (ابن) تطلق على البيوت الرفيعة ، مثل ابن سعود وابن رشيد ، ولو لم يكن ابنا لحّاً (لاصق النسب). ظلت الخميس قرية تتبع أبها إدارياً ، حتى فكرت الدولة في اتخاذ منطقة عسكرية في العقد التاسع من هذا القرن ، فوقع الاختيار على بلدة (خميس مشيط) ، فقفزت بسرعة إلى مصاف المدن الرئيسة . ثم زحفت في كل اتجاه نظراً لوقوعها في فسيح على ظهر حزم سروي ، وأصبحت الآن تضاهي أبها ، مع أنها لا زالت تابعة لها .

كان أذان العصر يتعالى حين دخلت المدينة . وكنت قد تناولت غداء ، غير شهي في (أدمة) . وها أنذا أحس بجوع خفيف ، وما عتمت أن ظهرت لافتة تحمل اسم مطعم . فاذا منظره فخم وتأثيثه المخملي يذكرك بمطاعم دمشق الفخمة على ضفاف بردى ، وهنا وجدت طعاماً شهياً يتناسب ومظهر المطعم ، فتلطفت وواصلت سيري .

لم تكن هذه أول زيارة لخميس مشيط فقد زرتها وزرت أبها ثلاث مرات قبل هذه ، ولذا فاني أعرفها وأعرف الطريق جيداً منها إلى نجران ، وأعرف شوارعها الفسيحة ومتاجرها العامرة ، فاستغنيت بمواصلة السير بعد أن اشتريت بعض الفاكهة من أحد الحوانيت المليئة بأنواعها .

من الخميس إلى نجران

يمر الطريق من خميس مشيط الى نجران فيما كان يعرف ببلاد مذحج ، ويعرف اليوم جله بسراة عبيدة من قحطان ، وتبلغ المسافة (٢٥٠) كيلاً .

خرجت من خميس مشيط باتجاه الجنوب العدل في شارع فسيح معبد

يضاهي أجمل شوارع المدن الكبرى ، قادني ذلك الشارع الى (مدينة الملك فيصل العسكرية) وهي مدينة بنيت عند اتخاذ الخميس قاعدة ، وسكانها عسكريون صرف ، وشوارعها أنيقة وأشجارها باسقة .

أحد رُفَيدة

ثم واصلت السير فممرت ببلدة (أحد رفيدة) بلدة واسعة ذات مبان معظمها جديد ، وتخطيطها منسق ، ورفيدة هذه ليست رفيدة عسير انما رفيدة قحطان ، وتبعد عن الخميس عشرين كيلاً ، وترى مزارعها تمتد إلى مرمى البصر ، ولها إمارة تابعة لأبها .

الطرس والطويل

وعلى بعد ٤٠ كيلاً من خميس مشيط مررت بقرية الطرس : قرية على واد تنحدر مياهه الى مطلع الشمس ، فتجتمع مع أودية سراة عبيدة ووادي راحة ثم تذهب إلى نجد نجران .

وعلى بعد يسير يقرب من ألف متر مررت بقرية الطويل ،وكلاهما لقبيلة قحطان .

سراة عبيدة

وعلى خمسين كيلاً من خميس مشيط يمر الطريق في ديار ذات باحات وأجبل ليست عالية وأودية زراعية تتشعب كأصابع اليد ، تتوسطها مدينة كانت قرية ثم قفزت في هذه النهضة الحديثة حتى أصبحت مدينة ذات اتساع غير متراص . ويظهر انها احتضنت مجموعة من القرى الصغيرة، فصهرتها في بوتقة واحدة فتولدت منها مدينة . هذه الديرة وهذه المدينة تسمى (سراة عبيدة) لها إمارة وعدد من المدارس وبلدية نشيطة ، ويبدو ان لها جهاز مرور ، حيث لاحظت وضع مطبات قبل المدينة وبعدها ، والذي يبدو ان تلك المطبات

وضعت بدون إحساس بالمسؤولية وعدم تقدير لأوقات المسافرين ، وذلك لكثرتها وكبر أحجامها . وعبيدة المنسوبة البلاد والمدينة إليها فرع كبير من قحطان ، وسوف نتحدث عنها وعن نسبها فيما يتبع .

ظَهْران اليمن

مدينة صغيرة في واد تحيط به التلال ، يتجه ماؤه إلى وادي حبونا ، ثم نجد نجران . فيها تقدم عمراني ملموس ، وتخطيط حسن ، ولها إمارة ومحكمة ومرور ، ونحو ذلك . وهي من ديار وادعة القحطانية اليوم ـ الهمدانية نسباً ـ ، وتبدأ ديارهم من وادي راحة خلفنا الآن الى ما وراء ظهران اليمن جنوباً حيث تحادها« يام » من الجنوب . ويقول الناس اليوم « ظهران الجنوب » وبهذا الاسم تأتي المعاملات ، ومعروف ان كل ما هو جهة اليمن يسمى جنوباً ، وإمارتها تابعة لأبها .

بئر عسكر

منذ أن تخرج من ظهران تقع في الأرض الجرداء ، صحاصيح جرد يسمونها « عشات » واحدتها (عشة) وجبال خشن تتأود من الغرب الى الشرق مقاطعة الطريق فتكثر فيه الانعطافات الخطرة وكل ما هنا تذهب مياهه شرقاً مكونة وادي حبونا ، ثاني وادٍ في المنطقة بعد نجران ، وهنا مررت ببئر عسكر التي تقع على منتصف المسافة تقريباً بين ظهران ونجران ، والحدود بين يام وقحطان غير بعيدة من هنا ، وهي بالتالي الحدود بين إمارة ظهران التابعة لأبها ، وإمارة نجران . ومنها ظهر الطريق في الشرى ، أرض جرداء ، ومنها فرق طريق حبونا إلى اليسار قبل نجران بـ ٤٠ كيلاً . وقبل الوصول الى نجران بستة وعشرين كيلا أشرفنا من عقبة شِلْيَة ، الكأداء التي تنحدر من سلسلة خشناء ، وهي سلسلة وادي نجران التي تحف به من الشمال ، وتسير مسيره إلى السهل .

ومن شلية انحدرنا في وادي (بريم) أحد روافد نجران الشمالية ، ثم في الصعيد : أو نجران ، أو نجران الجديدة .

وعلى (٢٥٠) كيلاً من خميس مشيط كنا في وسط مدينة نجران التي يسمونها (البلد) أي المدينة الأم ، أو مركز المدينة .

مَذْحِج

إحدى القبائل القحطانية ، ذات فروع متعددة وديار واسعة ، كانت ديارها تمتد من الجنوب الشرقي لمدينة صنعاء إلى ما جاوز تثليث شمالاً ، كانت ذات بأس ومنعة ، فكانت تغير على أواسط نجد ، فخشيتها القبائل وهابتها ، وكان الشرف والمنعة فيها في بني الحارث بن كعب ، ثم يليها مراد ، وشوكة مراد كانت زبيد ، ومن زبيد عمرو بن معد يكرب الزبيدي صاحب الصمصامة (سيف) .

وكان لبني الحارث أبهة وملك ، وكان بيتهم في بني عبد المدان ، وقد جاء في بعض التواريخ أن بني عبد المدان كانوا يغزون قلب نجد ، وكان من ينظر الى نجران (عاصمة بني عبد المدان ـ وبعدها عن نجد يرى أن هذا الغزو من الخوارق ، في عهد ليس فيه سيارة ولا طيارة ، ولكن ـ على فضل بني عبد المدان وسطوة ملكهم ـ فإن سر ذلك أو ما ساعدهم على هذه الأعمال أنهم يسيرون إلى أطراف نجد بين قومهم مذحج ، وقد اتخذوا ـ فيما يبدو ـ تثليث قاعدة أمامية لهم . وقد بلغ اعجاب العرب ببني عبد المدان وقوتهم وسطوتهم ما جعل أحدهم يقول :

تلوث عمامة وتجر رمحاً كأنك من بني عبد المدان

وكان بنو عبد المدان قد بنوا بناء في نجران سموه (كعبة نجران) وسنتحدث عنه في آثار نجران .

نسب مَذْحِج

جاء في نسبهم : مذحج واسمه مالك بن أُدَد بن زيد بن يشجب بن عريب

ابن زيد بن كهلان بن سبأ[1]. وقال الجوهري : مذحج بن يحابر بن مالك بن زيد بن كهلان. فعلى خلاف بسيط هم من كهلان .

فروعها

كانت مذحج قد بلغت مبلغ الشعوب الكبيرة عند بدء التدوين ، وكانت لها فروع كثيرة منها :

١ ـ عنس : قبيلة لا زالت معروفة في الجنوب الشرقي من صنعاء ، وهي حدود ديار مذحج القديمة مما يلي الجنوب . ومن فروع عنس : مالك ، القريّة ، ويام ، وهي غير يام همدان . ومن عنس مراد ، وهي قبيلة لا زالت معروفة في اليمن قرب مأرب في ديار عنس ، وقيل إنها تخرج خمسة آلاف مقاتل .

٢ ـ سعد العشيرة : كانت ديارها آخر شمال اليمن الشرقي إلى نجد ، ومنها زبيد الأكبر وزبيد الأصغر ، وكان لسعد العشيرة من الولد ، صعب وجمل ، والحكم ، وعايذ الله ، وجعفي ، وأسد ، وحر ، وزيد الله .

وكان لجعفي : حريم ، ومران ، وله بطون كثيرة . (انظر المشجرة)

٣ ـ ناجية : الابن الثالث لمذحج ، وكان له من الولد : دومان ، ويشكر ، وزاهر وعبد الله .

٤ ـ جلد : وكان له من الولد (عِلّة) ، ومن علة : حرب وعمرو . فمن حرب يزيد ، له ولد كثير . ومن عمرو كعب والنخع . ومن كعب : الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد بن مذحج .

وكان للحارث أبهة وملك كما ألمحنا سابقاً ، وكانوا أهل نجران ، وهم من أمنع العرب ، وأغناهم وأجملهم مظهراً . وروي عن رسول الله صلى الله

---

(١) سبائك الذهب ص ٣٤ .

عليه وسلم ، أنه عندما رأى وفدهم قال : من هؤلاء الذين كأنهم من الهند .

وقد بلغوا من الشهرة والاستقلالية حتى صارت كلمة بني الحارث لا تنصرف الا إليهم عند الاطلاق ، ولا يقال لهم مذحج لشهرتهم التي فاقت القبيلة الأم .

وكان ملوكهم بنو عبد المدان ، وقاعدتهم نجران ، وقريتهم (هجر) ، وكانوا في حصن حصين . فنجران تتوسط ديار مذحج ، فلا يستطيع أحد أن يغزوهم ، فقصدهم الشعراء ومدحوهم ، ومنهم أعشى قيس حيث يقول :

وكعبة نجران حتمٌ عليـ ... ـك حتى تُناخِي بأبوابها
نزورُ يزيداً ، وعبد المسيح، ... وقيساً ، هُمُ خير أربابها[1]
إذا الحبرات تلوّث بهم ... وجرّوا أسافل هُدّابها
لهم مشربات لها بهجة ، ... تروق العيون بتعجابها[2]

تأريخ مذحج

خبر اسلام بني الحارث بن كعب

بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد ، في شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى ، سنة عشر ، إلى بني الحارث بن كعب بنجران ، وأمره أن يدعوهم إلى الاسلام قبل ان يقاتلهم ثلاثاً ، فان استجابوا فاقبل منهم ، وإن لم يفعلوا فقاتلهم .

فخرج خالد حتى قدم عليهم ، فبعث الركبان يضربون في كل وجه ، ويدعون إلى الاسلام . فأسلموا بلا قتال .

---

(١) هؤلاء من بني عبد المَدَان بن الديان من بني الحارث ، وكان يزيد هذا رأس القوم .

(٢) كان القوم نصارى ، فأعدوا لهم غرفاً خاصة بشرب الخمر ، فلما أسلموا أذهب الله عنهم ذلك ، واندثرت كعبة نجران كما سيأتي . ديوان الأعشى ص ٢٨ /دار الكتاب العربي .

وكتب خالد إلى رسول الله بذلك .

فكتب إليه رسول الله ﷺ قائلاً : بشرهم وأنذرهم ، وأقْبِل ولْيُقبِل معك وفدهم .

فأقبل خالد وأقبل معه وفد بني الحارث بن كعب ، منهم : قيس بن الحصين ذي الغُصَّة ، ويزيد بن عبد المَدَان ، ويزيد بن المحجَّل ، وعبد الله بن قُراد الزيادي ، وشدّاد بن عبد الله القناني ، وعمرو بن عبد الله الضِّبابي

فلما رآهم رسول الله ﷺ قال : من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند ؟

قيل : هؤلاء رجال بني الحارث بن كعب .

* * *

فلما وقفوا على رسول الله ﷺ وأسلموا ـ أكدوا سلامهم ـ قال لهم : أنتم الذين إذا زجروا استقدموا ؟ فلم يراجعه أحد منهم . فأعادها عليهم أربعاً ، فقال يزيد بن عبد المدان : نعم ، يا رسول الله ، نحن الذين إذا زجروا استقدموا ، قالها أربع مِرار ، فقال رسول الله : لو أن خالداً لم يكتب ليّ أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا ، لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم . فقال يزيد بن عبد المدان : أما والله ما حَمَدناك ولا حمدنا خالداً . قال : فمن حمدتم ؟ قالوا : حمدنا الله عز وجل الذي هدانا بك يا رسول الله . قال : صدقتم .

ثم قال رسول الله ﷺ : بمَ كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية ؟

قالوا : لم نكن نغلب أحداً ، قال : بلى ، قد كنتم تغلبون من قاتلكم .

قالوا : كنا نجتمع ولا نفترق ، ولا نبدأ أحداً بظلم ، قال : صدقتم . وأمَّر عليهم قيس بن الحصين .

ثم بعث رسول الله إليهم عمرو بن حزم ، ليفقههم في الدين ، ويعلمهم الكتاب والسنة ومعالم الاسلام ، ويأخذ منهم صدقاتهم ، وكتب إليه كتاباً عهد

إليه فيه عهده . ثم لم يلبث رسول الله ﷺ بعد بني الحارث إلا أربعة أشهر ، حتى توفي[1] .

قال ابن اسحاق : وقدم على رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران ، ستون راكباً[2] .

عَنْس : تقدم نسبهم ، وهم عنس بن مذحج ، وتقدم بقية النسب . وفد منهم رجل على النبي ﷺ ؛ فأتاه وهو يتعشى ، فدعاه إلى العشاء فجلس ، فلما تعشىٰ أقبل عليه النبي ﷺ ، فقال : أتشهد أنْ لا إله إلاّ اللّه وأنّ محمداً عبده ورسوله ؟ فقال : أشهد أن لا إله إلاّ اللّه وأن محمداً عبده ورسوله . فقال : أراغباً جئت أم راهباً ؟ فقال : أما الرغبة فوالله ما في يديك مال ، وأما الرهبة فوالله إنني ببلد ما تبلغه جيوشك ، ولكني خُوِّفت فخفْت ، وقيل لي آمن بالله فآمنت[3] .

فأقبل رسول الله ،ﷺ ، على القوم فقال: ربّ خطيب من عَنْسٍ ! فمكث يختلف إلى رسول الله ، ثم جاءه يودعه فقال : اخرج ، وبتّتهُ[4] ، وقال : إن أحسست شيئا فوائل إلى أدنى قرية[5] . فخرج فَوُعِكَ في بعض الطريق فوَاءَلَ إلى ادنى قرية فمات ، رحمه الله ، واسمه ربيعة[6] .

سعد العشيرة : تقدم نسبه ، وقيل سمي سعد العشيرة لأن ولده وولد ولده بلغوا مائة ، فكان إذا سئل قال : هؤلاء عشيرتي ، خوفاً عليهم من العين .

---

(١) السيرة النبوية ص ٥٩٢ - ٥٩٤ ج ١ طبعة البابي الحلبي.

(٢) انظره في تاريخ نجران والطبقات لابن سعد ج ١ ص ٣٣٩ مع اختلاف بسيط في الألفاظ وزيادات جمل بسيطة ، وفي مكان آخر جعل السيرة إلى بني عبد المدان ، ولا خلاف ، فبنوا عبد المدان هم ملوك بني الحارث .

(٣) رحم الله ذاك الصحابي ، فلو نظر بعين الغيب لأدرك أن جيوش محمد لن يقف شيء ضدها .

(٤) بتّته : جهزه وزوّده .

(٥) واءل : لجأ وأرز .

(٦) الطبقات ج ١ ص ٣٤٢ . والسيرة ص ٤١ ج ١ .

قيل : عندما سمعوا بخروج النبي ، ﷺ ، وثب ذباب ، رجل من بني أنس الله بن سعد العشيرة ، إلى صنم كان لسعد العشيرة يقال له (فَرّاض) بالفاء ، فحطمه ، ثم وفد إلى النبي ، ﷺ ، فأسلم وقال :

تَبِعت رسول الله إذ جاء بالهدى	وخلّفت فَرَّاضاً بدار هوان
شَددت عليه شدة فتركته	كأن لم يكن ، والدهر ذو حدثان
فلما رأيت الله أظهر دينه	أجبت رسول الله حين دعاني
فأصبحت للاسلام ما عشت ناصراً	وألقيت فيها كلكلي وجِرَاني[1]
فمن مبلغٌ سعد العشيرة أنني	شريت الذي يبقى بآخر فانِ ؟

وكان عبد الله بن ذباب الأنسي مع علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بصفِّين فكان له غناء[2] .

زبيد: قدم عمرو بن معد يكرب الزبيدي في عشرة نفر من زبيد المدينة ، فقال : من سيد أهل هذه البحرة من بني عمرو بن عامر ؟ فقيل له : سعد بن عبادة . فاقبل يقود راحلته حتى أناخ ببابه ، فخرج إليه سعد فرحّب به وأمر برحله فحطت وأكرمه وحباه ، ثم راح به إلى رسول الله ﷺ ، فأسلم هو ومن معه ، وأقام أياماً ، ثم أجازه رسول الله ﷺ ، بجائزة وانصرف الى بلاده وأقام مع قومه على الاسلام ، فلما توفّي رسول الله ، ارتد ، ثم رجع إلى الاسلام وأبلى يوم القادسية وغيرها[3] .

وقال ابن اسحاق : وقدم على رسول الله ، ﷺ ، عمرو بن معد يكرب الزبيدي في أناس من بني زبيد ، فأسلم . وكان عمرو قد قال لقيس بن مكشوح المرادي حين انتهى إليهم أمر رسول الله ، ﷺ : يا قيس ، إنك سيد قومك ،

---

(١) كلكل البعير : صدره وثقله ، وجِرانه : ما بين لحييه وحلقومه .

(٢) الطبقات ج ٣٤٢/١ .

(٣) الطبقات ج ١ ص ٣٢٨ .

قد ذكر لنا أن رجلا من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز ، يقول إنه نبي ، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه ، فإن كان نبياً كما يقول ، فإنه لن يخفى عليك ، وإن كان غير ذلك علمنا علمه ؛ فأبى عليه قيس ، وسفَّه رأيه .

فركب عمرو حتى قدم على النبي ، ﷺ ، فأسلم وصدقه وآمن به فلما بلغ ذلك قيس بن مكشوح أوعد عمراً ، وتحطم عليه[1] ، فقال عمرو :

أمرتك يوم ذي صنعاء أمراً بادياً رَشَدُهْ
أمرتك باتقاء الله والمعروف تتَّعِدُهُ
خرجتُ من المُنى مثل الحُمَيِّر غرَّه وَتِدُهْ
تمنّاني على فرس عليه جالساً أسدُهْ
إلى قوله
فلو لاقَيْتَني للقيتَ ليثاً فوقه لِبَدُهْ[2]

وعمرو بن معد يكرب كان شاعراً شجاعاً، له ديوان مطبوع ، وكان له سيف يسمى الصمصامة ، مشهور .

وظلت زبيد معروفة إلى أواخر القرن الثالث حيث تعرضت للامام الهادي إلى الحق : يحيى بن الحسين ، حين سار إلى اليمن فتعرضوا له قرب بيشة فحاربهم وهزمهم .

وفيما قرأت من كتب الأنساب قول أحدهم : وهم زبيد الحجاز الذين عليهم درك الحاج بين الصفراء والجحفة ، أو نحو هذا . وهذا غلط ، فزبيد الحجاز من حرب من خولان ، ثابت نسبهم هناك[3] .

مراد : قيل : هو مراد بن عنس بن مذحج ، وقيل : بل كان اسمه يخابر

---

(١) تحطم عليه : اشتد غيظاً عليه .
(٢) السيرة : ج ٢ ص ٥٨٣ .
(٣) أنظر كتابنا (نسب حرب)

فتمرد فسمي مراداً . قدم منهم فروة بن مسيك المرادي وافداً على رسول الله ، ﷺ ، مفارقاً لملوك كندة ومتابعاً للنبي ، فنزل على سعد بن عبادة ، وكان يتعلم القرآن وفرائض الاسلام وشرائعه ، وأجازه رسول الله باثنتي عشرة أوقية ، وحمله على بعير نجيب ، وأعطاه حلة من نسج عمان ، واستعمله على مراد وزبيد ومَذْحج[١] ، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقات ، وكتب له كتاباً فيه فرائض الصدقة[٢] .

بنو جُعفي : ابن سعد العشيرة بن مذحج ، كان منهم الامام البخاري صاحب صحيح البخاري ، وهو بالولاء لا بالنسب .[٣] وكانت بلادهم باليمن جنوب شرقي صنعاء ، ووديهم هناك جُردان . وفد منهم على رسول الله ، ﷺ قيس بن سلمة بن شراحيل من بني مَرّان بن جُعفيّ[٤] ، وسلمة بن يزيد بن مشجعة بن المجمع ، وهما أخوان لأمٍ ، وأمهما مُلَيْكَة بنت الحلو بن مالك من بين حَرِيم بن جُعفي ، فاسلما .

وكانت جعفي يحرمون القلب في الجاهلية ،[٥] فقال لهما رسول الله ، ﷺ ، بلغني أنكم لا تأكلون القلب ؟ فقالا : نعم : قال : فإنه لا يكمل إسلامكم الا بأكله ؛ ودعا لهما بقلب مشوي ، ثم ناوله سلمة بن يزيد ، فلما أخذ أُرعدت يده ، فقال له رسول الله : كله ، فأكله وقال :

على أني أكلت القلب كَرهاً وترعد حين مسته بناني

---

(١) لعل المقصود هنا مراد الشام وكانت ديارهم حول ديار زبيد قرب جرش ، ومذْحج الشام التي صارت اليوم تسمى (قحطان) .

(٢) الطبقات لابن سعد ص ٣٢٧ ج ١ .

(٣) سبائك الذهب ص ٣٧ .

(٤) كان لجعفي من الولد : مَرّان ، وحريم .

(٥) والغريب أن هذه العادات لها بقايا في البادية ، فقبيلة حرب كانت ترى من العيب أكل اللسان والقلب ، وجهينة ترى من العيب أكل العين .

ثم كتب رسول الله لقيس بن سلمة كتاباً نسخته : « كتابٌ من محمد رسول الله لقيس بن سلمة بن شراحيل ، إني استعملتك على مُرَّان ومواليها وحريم ومواليها ، والكُلاب ومواليها من أقام الـصلاة وآتى الزكاة وصدق ماله وصفَّاه .

قال : الكُلاب : أود ، وزبيد ، وجزء من سعد العشيرة، وزيد الله بن سعد العشيرة ، وعائذ الله بن سعد العشيرة ، وبنو صلاءة من بني الحارث بن كعب ، قال المؤلف : هذه مذحج الشام ، وهي وقبائل أخرى من مذحج انضمت إليها فاصبحت تسمى (قحطان) .

ثم قالا : يا رسول الله إن أمنا مُلَيْكَة بنت الحلو كانت تفك العاني وتطعم البائس وترحم المسكين ، وإنها مـاتت وقد وأدت بُنيّة لها صغيرة فما حالها ؟

قال : الوائدة والموؤودة في النار[1] ، فقاما مغضبين ، فقال : إليّ فارجعا : فقال : وأمي مع أمكما ، فأبيا ومضيا وهما يقولان : والله إن رجلاً أطعمنا القلب ، وزعم أن أمنا في النار ، لأهل ان لا يتبع !. ولهما خبر تركنا بقيته[2] .

الرهاويون : قال في الطبقات قدم خمسة عشر رجلاً من الرهاويين، وهم حي من مذحج ، على رسول الله ،ﷺ ، سنة عشر ، فنزلوا دار رملة بنت الحارث ، فأتاهم رسول الله ، فتحدث عندهم طويلاً ، وأهدوا لرسول الله ،ﷺ ، هدايا ، منها فرس يقال له المراوح ، وأمر به فشوِّر بين يديه فأعجبه ، فأسلموا وتعلموا القرآن والفرائض ، وأجازهم كما يجيز الوفد ، أرفعهم اثنتي عشرة أوقية ونشّاً ، وأخفضهم خمس أواق ، ثم رجعوا الى

---

(١) هذا بخلاف قواعد الإسلام ، حيث النص على ألا يعذب الله من لا ذنب له ،والموؤودة لا ذنب لها ، أما الوائدة فلا شك في النار .

(٢) الطبقات ٣٢٤ ج ١ .

بلادهم ، ثم قدم منهم نفر فحجوا مع رسول الله ،ﷺ ، من المدينة ، وأقاموا حتى توفي ، فأوصى لهم بحاد مائة وسق بخيبر في الكتيبة جارية عليهم وكتب لهم كتاباً ، فباعوا ذلك زمن معاوية .

وعن عمرو بن هِزّان الرهاوي عن أبيه قال : وفد منا رجل يقال له عمرو بن سبيع إلى النبي ، ﷺ ، فأسلم فعقد له رسول الله لواء ، فقاتل بذلك اللواء يوم صفّين مع معاوية ، وقال في إتيانه النبي :

إليك رسولَ الله أعملتُ نصّها تجوب الفيافي سَمْلقاً بعد سَمْلق
على ذات ألواح أكلها السرى تخب برحلي مرة ثم تُعْنق
فما لَكِ عندي راحة أو تلجلجي[1] بباب النبي الهاشمي الموفق
عتقتِ إذن من رحلة ثم رحلة وقطع دياميم وهم مؤرق[2]

وفي « صفة جزيرة العرب » :سرو مَذْحج أوله الرَّباحة ، والسَّلف وحُمر وتناعم لرُهاء . ويذيِّل العلامة محمد الأكوع محقق « صفة جزيرة العرب » قائلاً : الرباحة بلدة آهلة بالسكان لآل عزان وتقع شرق البيضاء[3] .

رهاء من علة بن جلد من مذحج . كذا قال الهمداني وهو يعدد منازل من جنوب اليمن ،فيقول: بهرورلبني رُهاء من علة من جلد من مذحج ، ودعوتهم في بني ربيعة[4] . (يقصد ربيعة جنب)

النَّخْع : قيل اسمه جسر فسمي النخع لابتعاده عن قومه ، وجسر بن عمرو بن عُلة بن جلد بن مذحج[5] . ومن النخع : الامام ابراهيم النخعي

---

(١) التلجلج : أن تبرك الناقة فلا تنهض ، يجري على غيرها .
(٢) كل هذا عن الطبقات : ٣٤٤ ، ٣٤٥ ج ١ .
(٣) صفة جزيرة العرب ص ١٨١ تحقيق محمد الأكوع .
(٤) نفس المصدر ص ١٩١ .
(٥) سبائك الذهب ونهاية الأرب والاشتقاق ، ولسان العرب .

الفقيه ، والأشتر النخعي : مالك بن الحارث ، كان من قواد أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه . كانت ديارهم بأقاصي اليمن . وفد منهم رجلان على رسول الله ، ﷺ ، هما : ارطأة بن شراحيل ، والجهيش ، واسمه الأرقم ، فعرض رسول الله عليهما الاسلام فقبلاه ، فبايعاه على قومهما ، فدعا لهما ولقومهما بخير ، وقال : اللهم بارك في النخع[1] ! وعقد لارطأة لواء على قومه ، فكان في يديه يوم الفتح وشهد به القادسية فقتل يومئذ فأخذه أخوه دريد فقتل ، فأخذه سيف بن الحارث من بني جذيمة فدخل به الكوفة[2] .

وفي خبر آخر : كان آخر من قدم من الوفود على رسول الله ، ﷺ ، وفد النخع ، قدموا من اليمن في النصف من المحرم سنة إحدى عشرة ، وهم مائتا رجل ، فنزلوا دار رملة بنت الحارث ، ثم جاءوا رسول الله ، ﷺ ، مقرين بالاسلام وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل باليمن ، وللخبر بقية[3] .

وكانت النخع إلى جانب الإمام علي ، كرم الله وجهه ، يوم صفين .

جنب : وهم منبّه ، والحرث ، الفلي ، وسنحان ، وهفان ، وشمران . قيل سموا جنباً لأنهم جانبوا أخاهم صُدَاء بن يزيد فحالفوا سعد العشيرة ، وحالف أخوهم بني الحارث بن كعب ، وهم ـ السبعة ـ بنو يزيد بن حرب بن علة بن جلد ابن مذحج .

وجنب اليوم معروفة كقسم من قبيلة قحطان ، ومنهم (عبيدة جنب) تأتي في قحطان . وسنحان معروفة أيضاً في جنب من قحطان .

لقد أطلنا كثيراً عن مذحج في رحلة قوامها المشاهدات لاسرد النصوص ، ولكن أتينا بهذا لسببين : اولهما أننا مقبلون على بحث نجران قاعدة مذحج فيما

---

(١) هذه قد تكون من الأقوال الموضوعة ، ذلك أن دعاء النبي لا شك مستجاب ، ولكننا لم نرَ بركة نزلت بالنخع !

(٢ و ٣) الطبقات (٣٤٦ ج ١) .

مضى، ولا بد من معرفة هذه القبيلة ، لأن كثيراً من بطونها ستردد هناك .
وثانيهما ـ بحث قبيلة قحطان ، وهي بقايا مذحج ، ولكي يقرب هذا إلى ذهنك فلا بد من معرفة الكثير من بطون مذحج التي لا زالت باسمائها في قحطان ومن جاورها .

أين ذهبت مذحج ؟

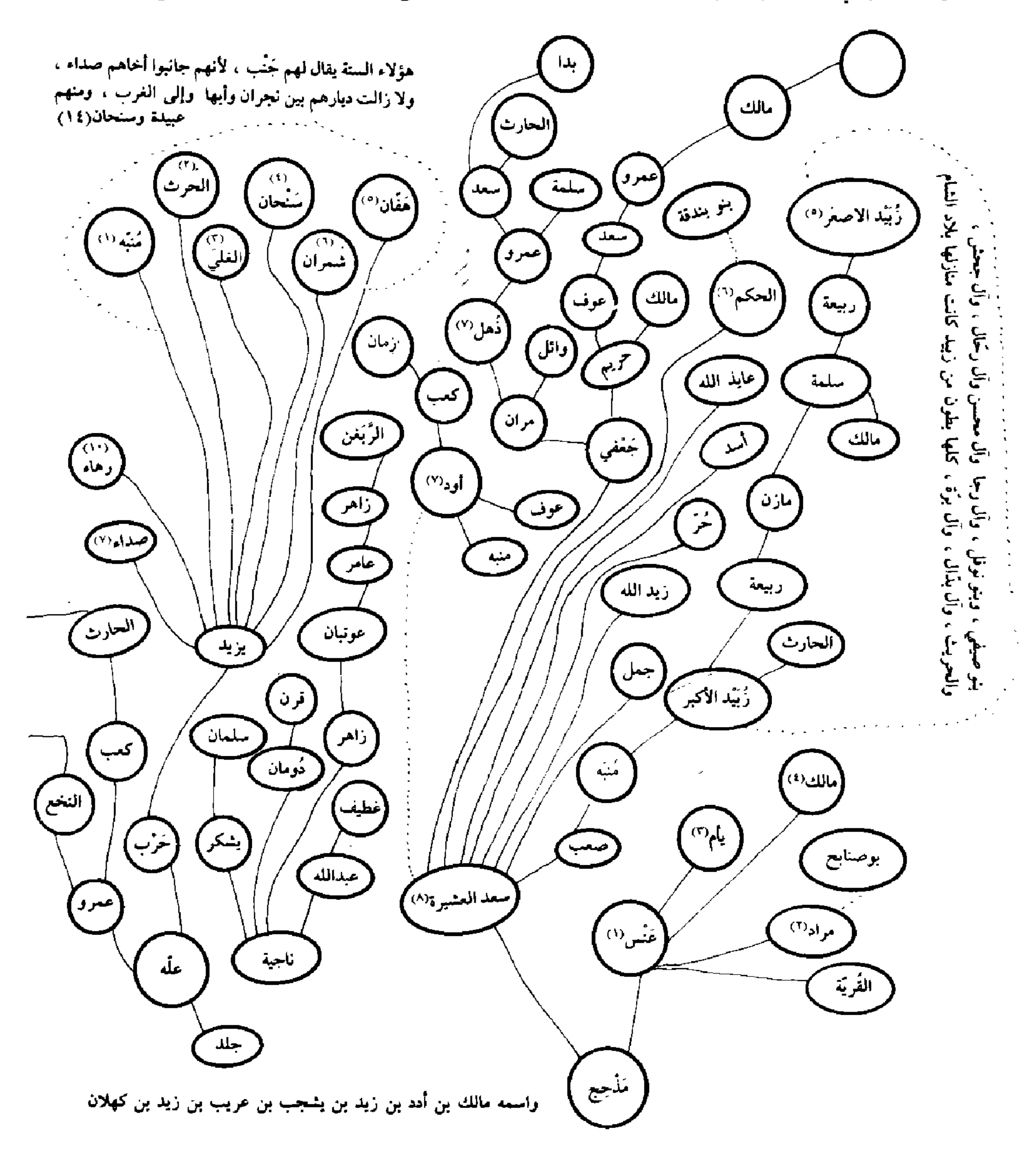
هذه القبيلة أم القبائل الكبار التي كانت تملأ ما بين عدن أبين أو قربها إلى تثليث من نجد وتميل الى جازان ، ثم يختفي اسمها نهائياً ، فهل اندثرت كما يحلو لبعض الباحثين أن يقول عن قبائل أخرى ؟

ان القبيلة العربية لا تندثر وقلما تغادر ديارها بأجمعها ، غير أن الظروف وطول الزمن يدخل على تشكيلها القبلي تغيرات ، فقد يحدث بين بطونها نزاع فتلحق كل قبيلة بقبيلة مجاورة قوية ، مثل ما حدث مع بجيلة وعدوان .

وقد تندمج في قبيلة أخرى ، مثل ما حدث لمزينة ، وقد تغير اسمها نتيجة عوامل لم نستطع معرفتها ، مثل هوازن التي تنضوي جل فروعها اليوم تحت اسم عتيبة ، ومن عتيبة ؟ ومثل مذحج ، التي انضوت فروع عديدة منها تحت اسم قحطان ، ومن قحطان أصلاً ؟ غير أن مذحج بقية لها فروع كثيرة مستقلة ، مثل : مراد ، وعنس ، وغيرها .

شجرة مذحج القديمة

(عن نهاية الأرب في معرفة انساب العرب ؛ وجمهرة أنساب العرب ، وسبائك الذهب) مع شروحات وتذييلات بمقتضى الواقع اليوم .



(١) لا زالت لهم بقية قرب مأرب .

(٢) لا زالت معروفة قرب مأرب .

(٣) هي غير يأم همدان .

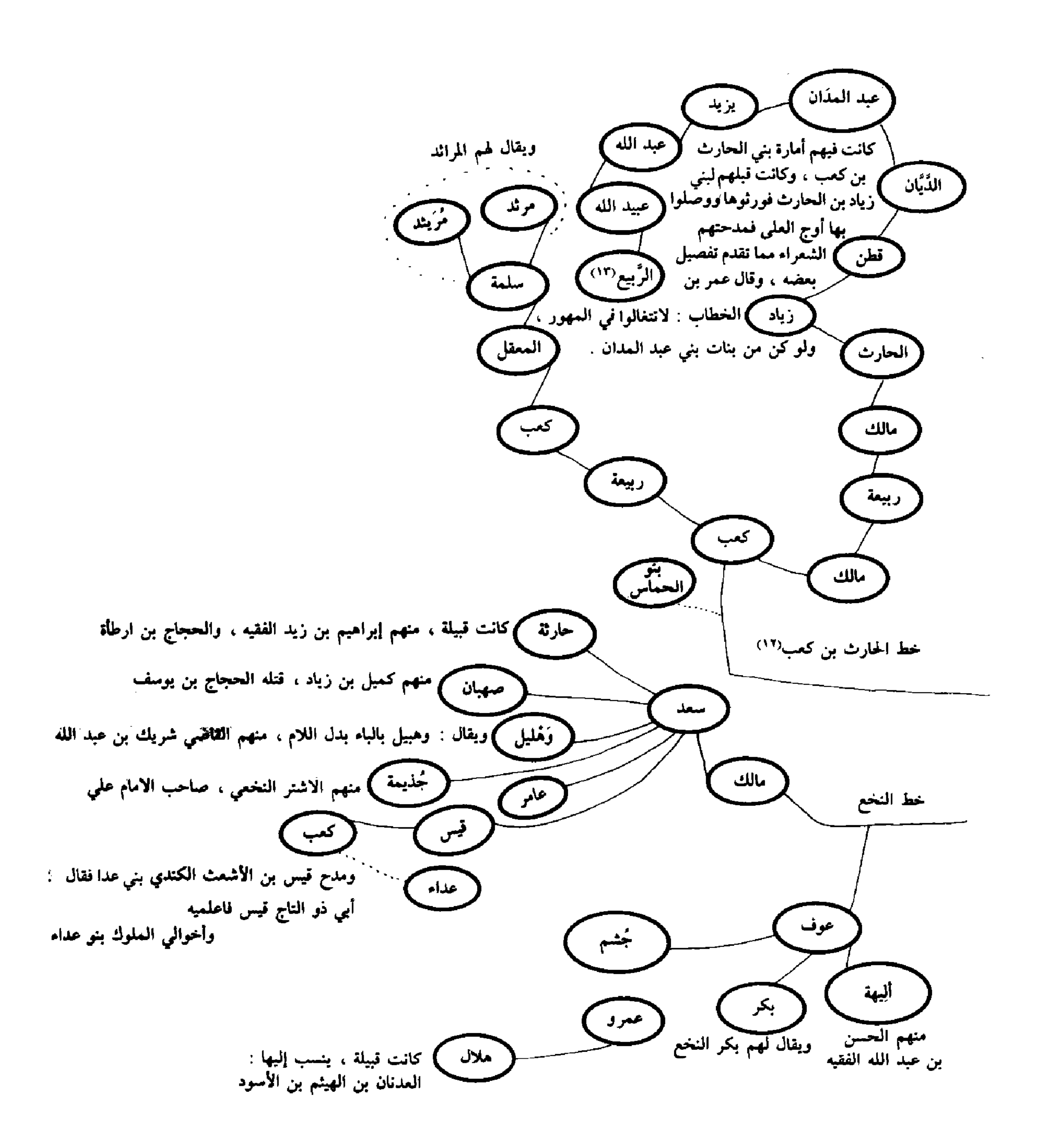
(٤) هم اليوم على ظهر السراة غرب نجران .

(٥) كانت وما زالت منازلهم بالشام .

(٦) كانوا ملوك المخلاف السليماني ، ولهم بقية اليوم هناك .

(٧) كانت منازلهم قرب نجران .

(٨) اسمه سعد ، إنما سمي سعد العشيرة لأن ولده وولد ولده بلغوا مائة رجل يركبون معه ، فكان إذا سئل عنهم قال : هؤلاء عشيرتي ، خوفاً عليهم من العين . وبقايا سعد العشيرة اليوم متفرقة في شهران وجازان ، وقحطان وبلاد الشام .



---

(١) اسمه يزيد بن يزيد ، وسمي صداء لأنه صدَّ عن أخوته وحالف بني الحارث بن كعب .

(٢) وفدوا على رسول الله ﷺ ، عام الوفود .

(٣) ديارهم اليوم قرب طهران ، بين نجران وخميس مشيط .

(٤) كانت ذات قوة وبأس ، وقد فصلنا أخبارها .

(٥) كانوا معورفين في نجران إلى القرن السابع الهجري .

(٦) سنحان اليوم وعبيدة وسائر جنب هي عظم قبيلة قحطان ، ومن هنا قلنا : إن قحطان هي بقايا مذحج .

قَحْطَان

قبيلة كبيرة ذات بأس ومنعة، واسعة الديار، متعددة الفروع والبطون تمتد ديارها من قرب ظهران الجنوب جنوباً آخذة شمالاً على راحة وسراة عبيدة مائلة غرباً على سراة جنب، ثم شمالاً الى قرب خميس مشيط ،وهذه تسمى قحطان اليمن، ذلك ان العرب تسمي كل ما هو جنوب يمناً وكل ما هو شمال شاماً. مثل هذيل اليمن وهذيل الشام، وكلها قرب مكة، وزبيد اليمن وزبيد الشام قرب رابغ . ثم تأخذ ديار قسمها الثاني ــ قحطان نجد ـ من شمال شرقي خميس مشيط وتكون قاعدتهم تثليث وتتوغل شمالاً الى الحصاة وشرقها في اقليم اليمامة، تأخذ ديار بني هاجر الى قرب الرمل، وكانت ديار قحطان تمتد الى عفيف والدوادمي وتلك الديار من كبد نجد، ثم حدثت بينهم وبين عتيبة حرب فجلت قحطان عن هذه الديار في اواخر القرن الثاني عشر .

وقحطان هذه من بقايا مَذْحِج ،ولكن لا نعرف سبب تسمية قحطان، وان كان البعض خاض فيه بلا دليل واضح ولا سند يركن اليه، أما دليلنا على هذا القول فهو أنِ كل القبائل الرئيسية في قحطان يرجع نسبها الى مذحج، وان ديار قحطان لا زالت ديار مذحج ، وإليك بعض التفاصيل :

سنحان من جنب، وجنب ثابت نسبها في مذحج[1] ، قال الهمداني[2] : المختلف من ديار سنحان من جنب، ويسمى المحمرة والمنتشر، وسمي بهذا

---

(١) انظر شجرة مذحج المتقدمة .

(٢) صفة جزيرة العرب ص ٤٢٢ .

الاسم لما التقت مذحج وقضاعة عنده ونشروا فيه جمعهم، وهذا المكان من ديار سنحان لا زال معروفاً، وسنحان على شجرة مذحج، وهي اليوم من القبائل الرئيسية في قحطان .

جنب أم قبائل كبيرة في قحطان :

عبيدة: إحدى القبائل الكبيرة في قحطان . وقال الهمداني : وقريتا جنب الكبيبة لبني وقشةوالقريحاحذاءها لبني عبيدة، والقريحا اليوم تسمى القرحا في بلاد عبيدة، وقال الرداعي : (لما علت في عقبات الشفشف) . قال الهمداني في شرحه[1] الشفشف عقاب في بلاد عبيدة من جنب . ويقول شاعر قحطاني معاصر :

حنا عبيده ما عبيده غيرنا إلا عبيدة جنب وإلا أبراد[2]

وذكر الهمداني عبيدة الأزد وعبيدة كنانة، ولكنهما غير هذه. بنو شُرَيف : من قبائل قحطان ذكرها ابن المجاور ولم يذكر اسم قحطان (القرن السابع الهجري). وذكرهم الهمداني وهو يعدد بعض ديار مذحج ، ولا زالت كبيرة .

بشر : من قبائل قحطان، وذكرها الهمداني وهو يعد منازل بعض قبائل مذحج . ولذا ترى أن امهات القبائل القحطانية كلها مذحجية ، عدا وادعة الهمدانية والتي يعرف افرادها انهم من همدان، أما القحطانيون فلا يعرفون إلا أنهم من قحطان .

أما كيف سميت قحطان « قحطان » فرغم انني رأيت من قال: قحطان بن عامر وخولان بن عامر وجماعة ابن عامر، فاني لا أثق في هذا القول، لأنا لا نجد قبيلة واحدة في قحطان ترجع بنسبها الى قضاعة، ذلك ان خولان بن عامر كما

---

(١) المصدر نفسه ٤٢٢ .

(٢) هذه عبيدة تسكن أبراد قرب مأرب وهي من مذحج أيضاً .

يقوله نسابو اليمن اليوم. ويقول الهمداني: خولان بن عمرو- من قضاعة لا من كهلان، ولأن لدينا نظيراً لوضع قحطان، فهذه عتيبة معظم فروعها من هوازن. ولكن القبيلة تسمى عتيبة، لماذا ومتى حدث ذلك؟ لا يعلم أحد من المعاصرين عن هذا شيئاً[١]، إلا أن كل الباحثين يعرفون أن عمود عتيبة اليوم من هوازن.

ومن قحطان قبيلة كبيرة، هي بنو هاجر، وقد رأيت أحد الباحثين أورد [٢]: هاجِر بن كعب بن بجالة الضبّي: جد جاهلي من نسله (علقمة بن موهوب) من فرسان ضَبّة. وكانت لبني هَاجِر إبل سود تشبّه بها الحجارة السوداء، قال الفرزدق يذكر قدراً:

أنخنا إليها من حضيض عنيزة ثلاثاً[٣] كذود الهاجري الرواسيا

فهذا نص لا يستطيع باحث أن يجتازه بلا أخذه في الاعتبار، ولكن يقابله واقع العرب في التسامي، فانت - مثلاً - تجد: بني عوف قبائل لا يمت بعضها الى بعض بنسب، وبني عمرو، وبني مالك، وبني هلال، وغيرها، وهناك عادة عند العرب أن القبائل التي تتسامى تنجذب بعضها الى بعض جهلاً لا التصاقاً؛ فقد قال لي حربي من حرب بني مالك (بجيلة): نحن من حرب. يقصد «حرب» القاطنة بين مكة والمدينة الخولانية النسب. فلما واجهته بنسبه الحقيقي، وأن حرباً هذه منصوص عليها من بجيلة، لم يكد يقتنع.

أما فروع قحطان الرئيسية فهي كما قدمنا: جَنْب، وسَنْحان، وعَبِيدة، وبنو بشر، وبنو شُرْيف، ووادعة، وبنو هاجر.

وقد تناول بعض الكتاب تفاصيل هذه القبائل وفروعها: وبعضهم أدخل بعضها في بعض، وإليك شيئاً من هذه النصوص:

---

(١) أنظر ذلك في «معجم قبائل الحجاز».

(٢) الأعلام حرف الهاء.

(٣) آثافي القدر.

في كتاب عسير للاستاذ محمود شاكر : جاء ما يلي :[1]

قبيلة قحطان في عسير مجموعة قبائل تعود إلى خولان وهمدان[2] تسكن ما بين ظهران الجنوب وقبيلة شهران، ومن أهم أوديتها: ظهران ـ تثليث ـ الجوف ـ سنحان ـ بشر ـ بعوض ـ الراحة[3] .

وهي عدة قبائل منها :

١ ـ وادعة: وترجع الى همدان وتقيم على ضفاف وادي ظهران شمال بني صحار وغرب قبائل حبونة وبدر وهي مجموعة بطون منها : آل حيان ومشايخهم مسفر بن سعيد بن عريعر ومعيض بن علي بن كعبان، آل سيار ـ آل زاهر، آل رشيد ـ المخاضي ـ آل ثابت ـ آل جبير ـ آل مونس ـ سحامي ـ القضاة ـ آل علي بن محمد ، ولكل قبيلة شيخها الخاص .

وشيخها ابن دليم، ويقدر عدد أفرادها بستين ألفاً .

٢ ـ سنحان: ويقدر عددها بخمسين ألفاً، وشيخها ابن راسي وهو الآن ناصر بن حسين. وهي عدة بطون منها : السلاطين ـ آل يعلى ـ آل زائد ـ آل ذربة ـ آل مرتفع ـ الخمجات ـ هبالة وشيخها جابر بن علي بن مهمل، والحباب الذين شيخهم جراب بن حسن بن ذيب الجمحي .

وتعود في أصولها إلى خولان .

٣ ـ بنو بِشْر وشُرَيف : وتختلط منازل هاتين القبيلتين ، أما بنو بشر من جنب بن سعد[4] فشيخهم سعد بن عبد الهادي بن ثقفان، وأما شُرَيف وما يتبعها

---

(١) عن كتاب (عسير) لمحمود شاكر .

(٢) بل جلها من بقايا مذحج .

(٣) وهناك قحطان نجد ، حول تثليث وغيرها .

(٤) سعد العشيرة من مذحج .

فشيخها ابن دليم وهو سعيد بن محمد بن دليم . ويقدر عدد أفراد هاتين القبيلتين بستين ألفاً .

٤ ـ عبيدة ورفيدة : أما عبيدة فهي من خولان أي قحطانية[1]، ويقدر عدد أبنائها بخمسين ألفاً. وأميرها ابن شفلوت وهي عدة بطون منها :

١ ـ آل الصقر : ومنهم آل عابس وآل بسام وآل الجلدة وآل حبيل والجرابيع ، وشيخهم هيف بن سعد بن سليم .

٢ ـ بنو طلق : وهم آل زهير والمنادية وشيخهم محمد بن جلالة المندي .

٣ ـ آل معمر: وشيخهم سعد بن حسين بن فردان .

٤ ـ بنو شداد : ومنهم آل الفهر وآل الجرو وآل مهدي وآل زيدان والعرجان وشيخهم ذيب بن عشق بن زيد بن شفلوت الضيغمي ومقره في الصبيخة .

٥ ـ آل معمر في المضة وشيخهم عايض بن فردان بن مشفلت .

٦ ـ آل سليمان الحرقان وشيخهم بن فهد بن جافل، ويسكن بوادي العرين من طريب وهو الحد بين سنحان وعبيدة .

٧ ـ المساردة : وشيخهم حجل بن شري وغيرهم من بطون عبيدة التي انتشرت في نجد وحائل .

ومنهم :

١ ـ الحاف وشيخهم عبد العزيز بن محمد بن عامر .

٢ ـ دعي وولد قيس وشيخهم حسين بن صُمّان بن سالم بن غشّام .

٣ ـ جارمة وخطاب وشيخهم سعيد بن علي بن حسين بن هيف، وهم من خولان .

---

(١) نقل الحقيل في « كنز الأنساب » أنهم نسبوا إلى أمهم عبيدة بنت المهلهل، وسيأتي .

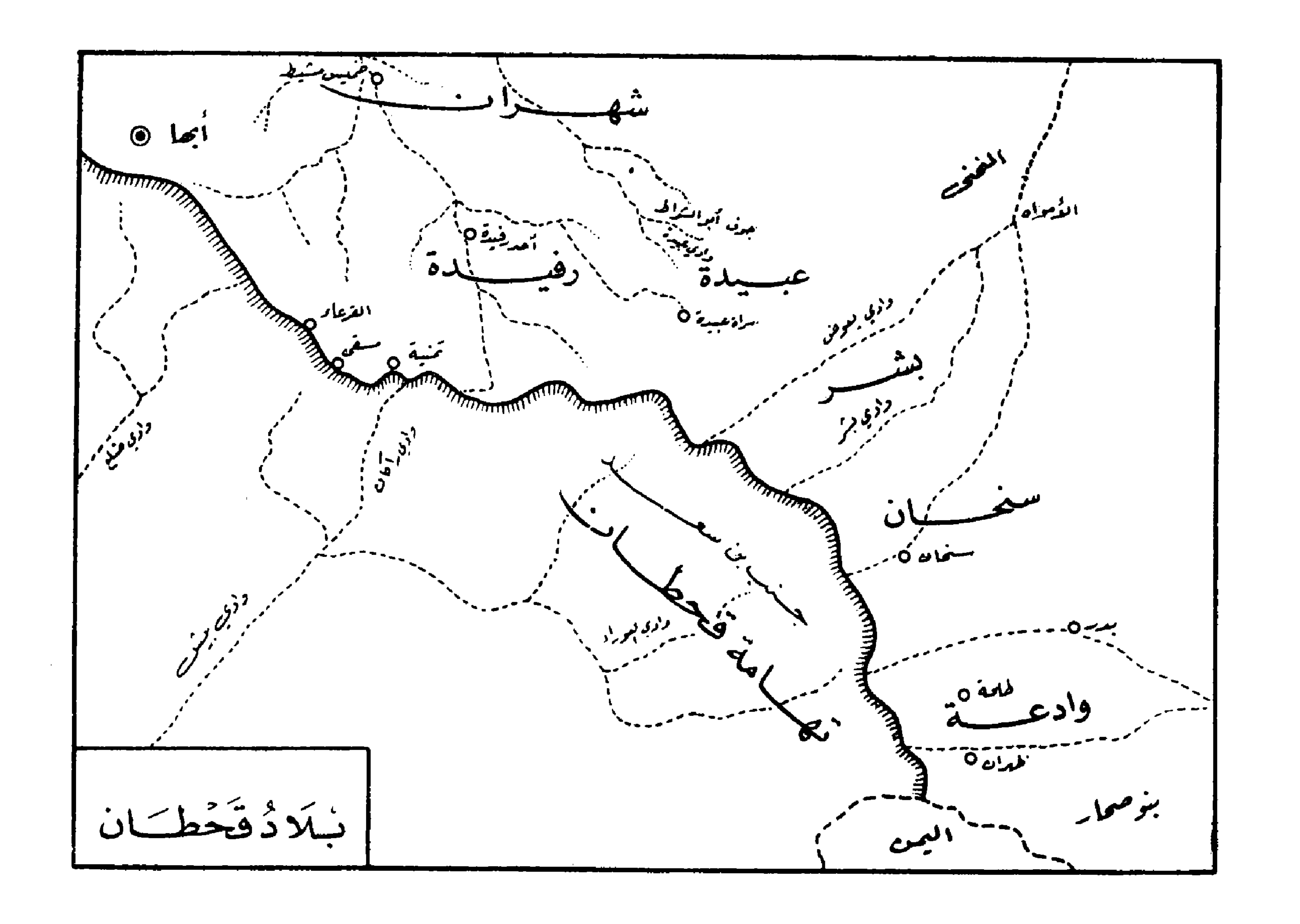
أما رفيدة فهي عدنانية وتعود إلى عنز بن وائل وتقدر بخمسين ألفاً .

وهناك قبائل اخرى صغيرة هي : قشة وآل الشواط ويقدر عدد القبائل جميعها بخمسة وعشرين ألفاً .

ويقال لبدو تهامة قحطان جنب بن سعد[1] .

أخذنا هذه المعلومات عن قبيلة قحطان من كتاب(عسير) لمحمود شاكر بتصرف، ولم يذكر المؤلف مرجعه في ذلك، وهناك من قبائل قحطان التي لم يذكرها المؤلف : الجحادر، ومساكنهم شرق ظهران الجنوب، والجرا، واحدهم ابن جروة : من نواحي تثليث، أما عَبِيدة فكما ترى فيما يلي أنهم منسوبون لأمهم عبيدة بنت المهلهل .

(١) هي جنب بن سعد العشيرة من مذحج .


بلاد قحطان
أبها
شهران
رفيدة
عبيدة
بشر
سنحان
وادعة
تهامة قحطان
جنب بن سعد
اليمن
بنو صحار
تمنية
القرعاء
سراة عبيدة
أحد رفيدة
سنحان
بدر

(قبيلة قحطان)

وتحدث الحقيل عن قحطان في « كنز الانساب » ولـم يذكر مراجعه أيضاً، وهذا بحثه بعد أن أدخلنا عليه بعض الشروحات والتعديلات البسيطة .

هي مجموعة قبائل من (خولان . . وهمدان)[1] من أكبر القبائل العربية وبـلادهم ما بين (نجـران . . وأبهـا ، وجنـوب (نجـد) ومنهم سكـان (الحصاة) . . وعريجا . . وصيحا . . وتثليث . . . والـرين . وغيرهـا) وخولان قبيلة كبيرة من أشهر قبائل بكيل[2] وهي الآن خولان الشام أو خولان صعده وخولان الطيال والعالية وهجرتها جحانة واليها ينسب آل الشامي وآل الكبسي وآل زبارة، وهم أهل نجدة ووفاء وتفان في النصح لآل الرسول ﷺ . وبكيل بمعنى زعيم وآل بكيل تعني قبائل يمنية كثيرة مثل: خولان ، وارحب ، ودهم ، وآنس ، وبني مطر، والحيمة، ونهم ، وبني حشيش، وهمدان، ومراد، وعبيدة، وخولان الشام وهمدانها ، وغيرها[3] وحاشد أبو قبائل يمنية متعددة وهم: بكيل، ومذحج ابو قبائل يمنية، وعك أبو قبائل يمنية معروفة على اختلاف في نسبته الى عدنان .

والذين منهم في نجد بطنان[4] :

الأول : آل الجمل .

الثاني: آل محمد أو آل سليمان .

---

(١) الواقع أن جلها من بقايا مذحج ولعل المؤلف أخذ هذا عن كتاب الحفظي ، وكذلك محمود شاكر

(٢) خولان بن عمرو من قضاعة ، لا صلة لها ببكيل، وهم أهل صعدة ، ولا يتصلون بخولان الطيال، وأهل نجران يقولون : خولان بن عامر .

(٣) هذا قول فيه نظر فبكيل أحد فرعي همدان ، ولا صلة بينها وبين خولان ومراد وعبيدة إلخ .

(٤) أي من قحطان .

فالبطن الأول ينقسم إلى من يلي :

١ ـ آل مسعود وشيخهم ابن عبود .

٢ ـ آل سويدان .

٣ ـ آل عليان .

٤ ـ آل مريتع .

٥ ـ آل عياف .

٦ ـ آل شبوة .

ويقول بعضهم : أولاد(جَحْدر) اثنان : (محمد . . وجمل)[1] .

البطن الثاني : (آل سليمان) وينقسمون إلى فخذين هما :

أ) آل محمد .

ب) آل عاصم .

فآل (محمد) ينقسمون إلى عشيرتين هما :

أ) آل دهيم .

ب) آل الأبيطن .

وآل (دهيم) ينقسمون إلى عائلات :

١) آل (محمد) وفيهم الرئاسة، ومنهم

١ ـ آل (قرملة) وجماعتهم (السحمة) .

٢ ـ الخنافر .

---

(١) وهم الجحادر .

٣ ـ المشاعلة .

٤ ـ آل عاطف .

آل (الأبيطن) ومنهم :

١ ـ آل روق .

٢ ـ آل سعد .

آل (عاصم) وينقسمون إلى (عشيرتين) هما :

١ ـ آل (طريف) ومنهم (آل حشر) أمراء الهيائم من قرى الخرج .

٢ ـ آل (رزق) ومنهم آل (كريشان) .

ومن أمراء هذه (البطون) التي ذكرناها :

١ ـ شيخ المشايخ (ابن قرملة) .

٢ ـ ابن مريحة .

٣ ـ ابن حشيفان .

٤ ـ ابن لبدة .

٥ ـ ابن سفران .

٦ ـ ابن سعيدان .

أما (جنب) فينقسمون إلى بطنين هما :

الأول: عبيك .

الثاني : شريف .

وعبيك ينقسمون إلى (أفخاذ) هي :

١ ـ الفهر .

٢ ـ آل (جرف) وفي هذا الاسم بطون في الشام ومصر عرب محافظون .

٣ ـ آل (جروة) .

٥ ـ آل مهدي .

٤ ـ المساودة .

٦ ـ آل (حرقان) .

وشُريف منهم (بنو هاجر) الآتي ذكرهم إن شاء الله في كتابنا هذا .

وهناك بطن كبير في (عسير) تحت زعامة (ابن دليم) وهم :

١ ـ رفيدات (اليمن) .

٢ ـ الجهال .

٣ ـ بيشة .

٤ ـ ابن (سالم) .

٥ ـ خطبة .

٦ ـ بنو (بشر) منها (حاضرة . . وبادية) وهم :

أ) آل (عرفان) .

ب) الحبال .

جـ) التهمان .

د) أم محمد .

هـ) الفرحان .

٧ ـ سنحان .

٨ ـ حباب .

٩ ـ الزربا .

١٠ ـ آل غازي .

١١ ـ آل الشريف .

١٢ ـ آل سليمان .

١٣ ـ آل شوكان .

١٤ ـ آل حميـدان .

١٥ ـ آل ناصر .

١٦ ـ آل ملحان .

١٧ ـ آل غراب .

١٨ ـ الهوجة .

١٩ ـ آل العيد .

٢٠ ـ آل جميح .

ومن قبائل (قحطان) : (عَبيدة)[١] مساكنها شرقا « يام »، وغربا : (زهران)[٢] ، وجنوبا (بشر) ، والغرب والجنوب : (رفيدات اليمن) . وزعامة هؤلاء (لابن شفلوت) ومنهم « حاضرة . . وبادية » .

نذكر من المتحضرين الآتي :

١ ـ عرين .

٢ ـ آل (عابس) .

٣ ـ الفردان .

---

(١) نسبة إلى أمهم عبيدة بنت مهلهل بن وايل العدناني تزوجت في جنب من قحطان فكان هؤلاء من أبنائها .

أنظر « نوادر الهجري » ١ ص ٦١ سمة دار الكتب المصرية الخطية وغيرها . وقلت : وعبيدة هذه يقال لها عبيدة جنب ، ويقول شاعرهم :

حنا عَبيدة ما عبيده غير إلاّ عبيدة جنب والاّ أبراد

وأبراد قرب مأرب يسكنها قسم من عبيدة جنب .

(٢) زهران بعيدة عن عبيدة ، ولعله ظهران ، بلدة .

٤ ـ بنو (وهابة) .
٥ ـ بنو (طلق) .
٦ ـ الزهير .
٧ ـ الصقر .
٨ ـ السام .
٩ ـ الجريش .
ومن (البادية) .

١ ـ القرعان .
٢ ـ الفهر .
٣ـ الحرجان .
٤ ـ آل (محدان) .
٥ ـ الجرابيع .
٦ ـ سفالة .

وقبيلة (وادعة)(١) من (قحطان) تحت زعامة « ابن دليم » منها أفخاذ :

١ ـ آل (زاهر) .
٢ ـ آل (سيار) .
٣ ـ سحامى .
٤ ـ آل (جبير) وهم غير (جبير هذيل الحاضرة) .
٥ ـ آل (ثابت) .
٦ ـ آل (رشيد) وهم غير آل (رشيد من شمر) وغير آل (رشيد) من (العجمان) .

---

(١) هذه قسم من وادعة همدان ، انضمت حلفاً إلى قحطان بحكم الجوار ، وهناك من يقول : بل لا زالت همدانية غير أن ديارها تجاور قحطان من الجنوب ويأماً من الشمال ، فظن الناس أنها قحطانية .

٧ ـ القضاة وهم غير (قضاة التميميين) .

٨ ـ آل (مونس) .

٩ ـ آل (محاضي) .

١٠ ـ آل (علي بن محمد) .

ومنازل هذه القبيلة التي هي (وادعة) على ضفاف وادي (ظهران اليمن) تحد من الجنوب(ببني صحار[١]. . ونجران . ومن حاضرة قحطان) (آل عفالق) في (بلدة الخبرا القصيم) يقال: انهم أول من عمرها عام ١١٤٠ هـ) وانتقلوا اليها من (البويطن من عنيزة) وعمروها وسكنوها .

ومن (قضاعة من قحطان) يوجد في (نجد) (بنو زيد بن سويد) (وزيد) هذا يتفرع منه بطون . . وأفخاذ في (اليمن. . والعراق وغيرها) . ومن (بني زيد حاضرة تسكن الوشم) . . والقويعية . . والشعراء والدوادمي والبكيرية منهم .

١ ـ الغيهب ، منهم :الجمحة،والصبيان آل سليمان في الزلفى،وبنو الأمير في سدير، والضوالع، والشهبان من بني الامير .

٢ ـ الصالح في شقرا: ومنهم آل ناصر وآل شهيب .

٣ ـ آل سدحان في شقرا: منهم آل جلال .

٤ ـ البواريد في شقرا .

٥ ـ آل عيسى في شقرا: ومنهم الشيخان أحمد بن عيسى، وابراهيم بن صالح بن عيسى المتوفى في عنيزة سنة ١٣٤٣ .

٦ـ آل مهنا من آل غيهب، وفيه آل مهنا من آل صالح .

---

(١) صحار من خولان بن عمرو .

٧ ـ آل مقرن في شقرا .

٨ ـ القوزة في شقرا .

٩ ـ البيزة في شقرا .

١٠ ـ آل مجيول .

١١ ـ آل ناصر في الدرعية .

١٢ ـ آل زيد .

١٣ ـ البكور .

١٤ ـ آل حماد فخذ منهم آل يحيا في الاحساء وفي الحوطة حوطة سدير .

١٥ ـ آل منيع .

١٦ ـ آل جبرين .

١٧ ـ آل يابس .

١٨ ـ آل هدلق منهم آل سعدان .

١٩ ـ آل مترك .

٢٠ ـ آل هويمل، غير العنزين .

٢١ـ آل مسعود في الشعراء، والسحاما في القويعية، وآل زنيتان في العرض .

٢٤ ـ آل عودان في شقرا والمجمعة .

٢٥ ـ آل ضويان .

٢٦ ـ الحداثا في البكيرية، غير الحداثا التميميين في (سدير) .

٢٧ ـ آل (بشر) الذين منهم المؤرخ (عثمان بن بشر) المتوفى في بلد جلاجل سنة ١٢٩٠ هـ . وهم غير آل بشر الاشراف وآل بشر الفضول .

٢٨ـ آل (منيفي) في الزلفى .

٢٩ـ آل (زكرى) في سدير .

٣٠ ـ آل (فنتوخ) في الوشم .

٣١ ـ آل (سعدان) في الدوادمي .

٣٢ ـ آل (منصور) في الدوادمي .

٣٣ ـ آل (محمد) في الدوادمي .

٣٤ ـ آل (هملان) في صفاقة قرب الدوادمي .

٣٥ ـ آل (صعب) .

٣٦ ـ آل (سلطان) .

٣٧ ـ آل (جماز) .

٣٨ ـ آل (ربعية) في شقرا، وآل سبتي يعرفون بآل عبد الكريم في شقرا وغيرها .

٣٩ ـ آل (أبو عباة) .

٤٠ ـ آل(عيسى) في القصيم والفوزان في الوشيم منهم الضراريب في عنيزة .

٤١ ـ آل (حماد) .

٤٢ ـ (العبادلة) .

٤٣ ـ آل (سبيّل) وهم غير (الباهليين) في (نفي) . .

٤٤ ـ آل(قنبيط) في (عنيزة) والمنيفي .

٤٥ ـ آل (حنطي) .

٤٦ ـ آل (حسين) وآل (ربيع) في شقرا .

٤٨ ـ آل بن (حسن الرشيد) .

٤٩ ـ آل رقيب في الوشم .

٥٠ ـ (الرواجح) في القصيم وآل فياض في الرياض غير آل فياض في الوهبة .

ومن (قحطان) آل عماش في البدايع القصيم وفي الرياض القضابا .

١ ـ آل سويدان .

٢ ـ آل شلفان ويوجد (آل شلفان) في سدير من الوهبة يجيء ذكرهم إن شاء الله في تميم .

٣ ـ آل عليان .

٤ ـ آل عياف .

٥ ـ آل شبوة .

٦ ـ العجارشة .

ومن آل (عَيّاف) من (جمل) آل (حسن) وينقسمون إلى ما يلي :

١ ـ آل خضير .

٢ ـ الخميسي .

٣ ـ آل حماد ومنهم :

(أ) آل (بوهادي) ومن آل (بو هادي) :

١ ـ السكيب .

٢ ـ الدهاما . ومنهم :

(أ) النويصر، ومن آل نويصر :

١ ـ العويد ، ومنهم :

(أ) آل (عضيب) .
(ب) السلطان .
(جـ) الدهيمات .

ويلحق بآل (عفالق) من (قحطان) :

١ ـ السحابين .
٢ـ آل (نغميش) في القصيم . . وهـ (آل نغيمش في الفضول . . وآل نغيمش في الوهبة ، وآل نغيمش في الضفير أسماء متواردة في قبائل (متفاوتة) .
(ومن قحطان) آل سحيم، وآل عكرش ، وآل دُهَيمش تصغير دهمش في منفوحة والرياض .

١ ـ آل صغير[1] في القصيم .
٢ـ الروسة في اليمامة من قرى الخرج .
٣ ـ آل عاصم .
٤ ـ السعيد .

٥ ـ آل (مقحم) : ومنهم الاستاذ محمد بن مقحم رحمه الله من مواليد **١٣٣٧** هـ في المجمعة ، وكان شاعرا ظريفا طريف الجملة سريع البديهة في العجائب والمحاكاة ،يعجب الناظر ، ويضحك الثكلان بنوادره وشعره ، وله شعر في أصدقائه وهو من بارزي شعراء المجمعة ، توفي في أواخر عام **١٣٨٣** هـ ويوجد آل (مقحم) غير هؤلاء من (آل علي) من السعيد في (الضفير) .

---

(١) وقرأت في مسودة في مكتبة بعض العلماء قال : ومن بني ثور آل حجاج أهل الهلالية وأهل الخبراء الصغير واتباعهم من آل عفالق أهل الحساء من كلب ويقال أنهم :/ عقيل الحسا . انتهى : المؤلف .

آل منيع وهم ذرية ابن صقر آل علي العاصمي، وآل محمد في الزلفي، وآل قصبي نسبة إلى بلدة القصب، وآل عثمان، آل حمد في القراين بالوشم .

٦ ـ آل قاسم .

٧ ـ آل مفدى في أشقير، وسدير، والقصيم ومنهم :

٨ ـ آل هديب في الوشم، منهم في (ثادق) آل ناصر من (حويدي) وآل حمدان ، وآل سيف في روضة في سدير .

٩ ـ الشبانات. في حريق الهزازنة وروضة سدير وهم غير شبانات وهبة تميم آل قاسم في حوطة سدير .

١٠ ـ آل معتق في الزلفى .

١١ ـ آل بهلال في الزلفى .

١٢ ـ آل بديوي في حرمة .

١٣ ـ آل السعيدي في حرمة .

١٤ ـ آل سيف في حرمة .

هذا ما نقلناه حرفياً بل اخترمنا بصفحاته المطبوعة من كتاب « كنز الأنساب » وفيه تفصيل لقطحان لا يوجد في غيره .

(قبيلة بني هاجر)[1]

هذه فرع من فروع (قحطان) من (شريف) وديارهم جنوب (العجمان حتى بلاد (قطر) ، وعين دار وبنو هاجر وآل الحمرا ومن رؤ سائهم ابن شافي من شريف من قحطان ومن فروعهم :

١ ـ المخضبة . . وتشمل العشائر الآتية :

أ) دُبَيس .
ب) فُهَيد .
جـ) حمراء، وبعضها في (قطر) .
د) آل (سلطان) .
هـ) آل حُسَين .
و) جرارحة .
ز) خيارين .
ح) منع .
ط) مزاحمة .
ي) قُمَزَة .
ك) آل (زيد) .
ل) زختين (زختوني) .
م) شباعين: آل جبران ، آل العوامي، الملامذة، الركابين .

---

(١) « كنز الأنساب » ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

ن) آل شهوان .

س) آل شرعان .

ع) شراهين .

٢ ـ آل (محمد) وتشمل العشائر الآتية :

أ) كلابة .

آل بعيث، آل عمار، آل شعيل، آل حسين الجعاملة، الشرمات الشعامين، الهرامسة، آل داود، آل منيف ، آل مرسان؛ ومن مشايخهم ابن بعيث وابن عايد وابن طفرة .

ب) فلاحة .

ج ـ) قدادات .

د) كلابة .

(هـ) مسارير .

و) قاروف .

ز) شعامل .

ح) سماحين .

ط) طياع: مطوعي آل كميط .

ي) آل (جدي): آل تواه، آل بو ظُهَير ، آل نايفة، العرابيد آل غانم .

ومن المتحضرين من بني (هاجر) :

١ ـ آل (فريان) في الرياض .

٢ ـ آل (حمود) في ثادق منهم (يعقوب الهاجري) وذووه .

٣ ـ آل (مخضوب) في الخرج من المخضبة منهم: (الشيخ عبد الله بن حسين المخضوب) قاضي الخرج سابقاً، المتوفى عام ١٣١٧ هـ) .

٤ ـ آل (سويكت) في السلمية من قرى الخرج وفي المنطقة الشرقية ، وهم غير آل سويكت تميم .

٥ ـ السمارات في اليمامة من قرى الخرج .

٦ ـ آل (سيف) في صياح من ضواحي الرياض .

٧ ـ الهواجر في المجمعة والمظاهير في القصب .

٨ ـ آل داود في الحوطة، ونعجان .

٩ ـ آل مقرن في الدلم .

١٠ ـ آل فرحان، وآل شغرود، وآل هويشل، وآل سيف في الدلم، وآل رشيد في زميقة، وآل منصور في حايل، وآل فواز في نعجان .

آل تويم بن وضّاح من آل جدي هواجر ـ وهم في الجُريفة من الوشم

أ ، هـ : منقول من « كنز الأنساب » مع تعديلات طفيفة .

أيام في نجران

اليوم الثالث : ٥ شعبان سنة ١٤٠٠ هـ .

كنت نزلت البارحة على صهري : قاضي مستعجلة نجران الشيخ محمد بن إبراهيم الحازمي[١] . وفي هذا الصباح أشعرته بأني أريد زيارة الامارة كأول عمل أقوم به في نجران . فقال : نذهب إلى المحكمة ومن ثم نأخذ موعداً بالمقابلة . فكان قوله سديداً ورأيه رشيداً . وصلنا إلى المحكمة عند بدء الدوام ، فأسرع الينا القاضي الفاضل الشيخ يحيى بن علي الحكمي مساعد رئيس محكمة نجران الشرعية ، ودعانا إلى مكتبه ، وهناك تم الاتصال بالامارة . فاذا الأمير قد وصل المطار مسافرا هذا اليوم ، وهو الشيخ فهد بن خالد السدير ، وعلمنا أن وكيله أخاه سلطان بن خالد في وداعه ، وسيعود بعد زمن .

في قصر الإمارة :

في الثانية عشرة صباحاً كنا في قصر الأمير بالصعيد ، فقابلنا الأمير سلطان بن خالد السديري وكيل إمارة نجران ، وكان مكتبه غاصاً بالمراجعين ، وكان في شغل ، وقدمت له بعض مؤلفاتي ، بعد أن قدمني الشيخ يحيى الحكمي إليه ، فاكرمنا الأمير ـ أكرمه الله ـ بالقهوة العربية ، ثم قدم لي كتيبين صدرا عن نجران ، استفدت منهما .

وعندما قلت لسعادته : إنني في رحلة ومعني بالتسجيل عن القبائل والآثار

---

(١) الشيخ محمد بن إبراهيم الحازمي من حوازم حرب ، ولد بوادي الصفراء . درس في الجامعة الاسلامية ، ترجمت له (في نسب حرب) .

والمعالم الجغرافية ، أحالني ـ بالنسبة إلى قبيلة يام ـ إلى الشيخ حسين بن جابر أبي ساق اليامي ، الذي كان جالساً بجانبي ، وقال : ليس عندنا أعرف من الشيخ حسين بقبائل نجران وجغرافيته .

أزمة المواصلات :

في مثل وضعي كان مفروضاً أن أكون نزيلاً على الإمارة ، وأن تكون مواصلاتي وإرشادي بواسطتها ، غير أن غياب الأمير ، وانشغال وكيله ـ فيما يبدو ـ حالا دون ذلك ، وبعد أقل من نصف ساعة من دخولنا قصر الإمارة وجدتني ، أضرب أخماساً بأسداس ! فنجران منطقة لا زالت وعرة لم تعمها الطرق المعبدة ، وتخطيطي أن أزور كل قرية وواد ، وخاصة وادي (حبونن) الذي يعتبر ثاني منطقة مهمة في الإمارة بعد وادي نجران . وقد أدرك الشيخ محمد بن إبراهيم الحازمي ـ حفظه الله ـ ما يجول بخاطري ، فقال : أنت في بيتك ، وسيارة الجيب التي أملكها تحت تصرفك ليلاً ونهاراً . فقفز إلى ذهني قول أبي العتاهية :

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرج !

فقد تجمل أبو عبد الحميد وكمل ، وهكذا من تلك الساعة كان الجيب تحت تصرفنا نذهب فيه إلى مدينة الأخدود (رقمات)[1] وإلى السد ، ثم حبونن وكعبة نجران ، وغيرها .

تخطيط :

عدنا إلى المحكمة ، وكنت أقتنص من الشيخ محمد بين ساعة وأخرى

---

(١) ذكرها الاستاذ أمين محمد عثمان في كتيب يقع في ٥٤ صفحة ، وجاء ذكره لها بالاطلاق (رقمات) ولم يذكر مصدره في تسميتها ، إلا أنه كان يتحدث عن فلبي ، ولم أجد من المراجع التي بين يدي خاصة« صفة جزيرة العرب » والمعاجم الجعرافية من ذكر رقمات هذه .

دقائق أطلعه فيها على موجز لتخطيط الرحلة في الأيام المقبلة ، فأخبره بالأماكن التي أريد زيارتها ، والأشخاص الذين أريد مقابلتهم ، فكان ـ سماحته ـ يوافق على كل كلمة ، ويردف : وأنا مستعد للذهاب معك إلى موضع كذا ، بعد الدوام ـ طبعاً ـ ومستعد لزيارة فلان معك أو الأتصال به هاتفياً وضرب موعداً معه .

وليمة الشيخ :

وعندما عدنا إلى البيت وجدنا الشيخ قد أوصى أنجاله بعمل وليمة ليست صغيرة . وهذه عادتنا في الجزيرة العربية إلى يوم الناس هذا ، وعندما عاتبته ، قال : سنجتمع عليها نحن ومن تحب مقابلتهم ، فيتم التعارف .

فحضر الشيخ يحيى الحكمي ، والأخ مدير تعليم البنات، والأخ مدير معهد المعلمين بنجران ، وشخص يقال له السيد فلان ـ أنسيت اسمه ـ كان له حديث في الأنساب ، ويقيم في ضيافة الإمارة ، وقد وعد أن يجتمع بنا مرة ثانية ولكن لم أره بعد ذلك . وممن حضر الشيخ قاضي محكمة حبونن ، ودعانا لزيارة المنطقة فأخبرته بأنها ضمن تخطيط الرحلة .

زيارة الأخدود :

قمنا بعد عصر هذا اليوم ـ أنا والشيخ محمد بن إبراهيم وابنه عبد الحميد ـ بزيارة لآثار مدينة الأخدود الواقعة على جانب الوادي الأيمن تحت جبل (رير) من الشمال . وشاهدنا آثاراً عجيبة ونقوشاً وبقايا حضارة لا يتصور الإنسان كيف بنيت في عهد ليس فيه آلة[1] .

كعبة نجران :

لا يكاد يتحدث إليك إنسان عن نجران إلا كان في حديثه نقطتان : مدينة

---

(١) أنظر بحثها في قسم الآثار .

الأخدود، وكعبة نجران . وبعد أن زرنا مدينة الأخدود كان لا يزال في الوقت متسع ، فسألت الشيخ محمداً عما إذا كان له علم بموقع ما يسمى بـ (كعبة نجران) فأجاب بالإيجاب ، فخرجنا في طريق شرورى المتجه إلى مطلع الشمس من نجران ، وبنفس انحدار الوادي (وادي نجران) حتى افترق الطريق إلى شعبتين : إحداهما أخذت جنوباً ، وهي طريق شرورى ، والأخرى أخذت شمالاً بشرق ، وهي طريق نجد المار بمطار نجران ، فسرنا في هذا الطريق مسافة تقدر بثلاثين كيلاً مقاسة من مدينة الأخدود ، ففرق طريق ترابي إلى اليمين في أرض ميثاء ينتهي فيها وادي نجران حيث اتسع اتساعاً صار خبتاً واسعاً وتباعدت الجبال التي كانت تجعل الوادي ضيقاً بين سلسلتين لا تزيد المسافة بينهما عن ثلاثة أكيال تقريباً . وسرنا في هذا السهل عشرة أكيال ، وعلى مسافة أربعين كيلاً من آثار مدينة الأخدود عاصمة نجران القديمة وصلنا إلى جبل أسود حائز في السهل ، هذا الجبل يسمى (تصلال) ، وعلى سفحه الجنوبي وجدنا رموساً من غير الجائز تسميتها بالآثار ، وهي عبارة عن سلاسل من الحجر الذي ترفع بعضه بيدواحدة ؛متقاطرة في الأرض على شكل دوائر أو خطوط منحنية في أرض جرز براح تتصل بها من مطلع الشمس رموس مقبرة ، ويشرف عليها جبل تصلال من الشمال في صعود حاد ، وفيه نقور تمسك ماء المطر[1] .

وقد أبديت للشيخ محمد حيرتي في أمرين : أولهما ـ كيف وضعت (كعبة نجران) كما سميت على هذا البعد من مركز نجران في أيام ليست فيها مواصلات سريعة ، وحتى اليوم نجد أنه لا يرغب أحد من أهل نجران في أن يقطع أرضاً بهذا البعد رغم وجود المواصلات الجيدة، ثم وجودها في هذه الصحراء القاحلة البعيدة عن الماء والسكان والزراعة ؟ وثانيهما ـ أين آثار ما سمي (كعبة) ؟

---

(١) أنظر الحديث في الآثار .

وبالاستنتاج وقراءة بعض المراجع ، ظهر لي :

١ ـ هذه الكعبة لم تبن في عهد أهل الأخدود المتحضرين المتمدنين ، إنما بناها بنو عبد المدان الحارثيون ، وهم أبناء قبيلة بدوية صحراوية ، ولا شك أنهم اختاروا هذا المكان لنزاهته وطيب هوائه وبعده عن المياه الجارية التي تبعث منها البعوضة والحشرات ، وهي مما ينفر العربي من سكناها .

٢ ـ نصت بعض المراجع على أن كعبة بني عبد المدان كانت من أدم أو من خشب الساج ، فلما جاء الاسلام تركت فذهب أثرها .

وهكذا زال الإشكال ، والذي اعتقده أن بني عبد المدان كانوا ينزلون حولها في بيوت الشعر خاصة زمن الربيع ، ذلك أنه لا توجد آثار حولها سوى المقبرة .

وفي هذا المكان جلسنا فشربنا القهوة التي أحضرها الشيخ معه ، ثم عدنا فأدركتنا صلاة المغرب عند مزرعة الشيخ يحيى الحكمي في أول الصعيد ، فصلينا وإياه جماعة ،واتعدنانحن وإياه بيت الشيخ محمد بن إبراهيم لنذهب إلى الشيخ حسين أبي ساق في منزله .

الشيخ حسين بن جابر أبو ساق :

كنا اليوم ـ في قصر الإمارة ـ قد وعدنا أنا والشيخ يحيى أبا ساق بزيارته في بيته بالصعيد مساء ، وذلك إثر إحالتنا عليه من قبل وكيل الإمارة الشيخ سلطان بن خالد السديري .

وها نحن نذهب ثلاثتنا على الوعد ، وقد استقبلنا استقبال الكرام ، وبعد الحديث والقهوة قدم لنا أكلة يام الشعبية (عصيدة من البرُّ سُبِكَتْ على شكل مئذنة تعلو القدح وتحيط بها بحيرة من السمن البري) ! ولما قضينا من هذا الخير مأرباً أقسم الشيخ حسين إن لم نستمر في الأكل ليعلفنا كما

يعلفون في سوائرهم القديمة[1] ، فلم نجد بداً من مواصلة الأكل .

الحديث مع الشيخ حسين :

كان الشيخ يعرف مسبقاً صفة الحديث وما سنسأله عنه ، وكان الشيخ يحيى قد قال له : نصلي معكم المغرب حتى لا نطيل عليك . فقال الشيخ : لا ، لا تصلوا معنا فتفسدوا علينا صلاتنا ! قالها بصيغة المزاح، وهي في مذهبهم قريبة من الجد ! .

وما أن فرغنا من الطعام حتى أحضرت أوراقي فأشار إليَّ الشيخ أن لا حاجة لها ! فأخذ يتحدث عن ذكرياته ، وكان حديث شيخ قارب السبعين ، وإذا تحدث شيخ واع في هذه الحقبة من تأريخنا أتى بما لم نسمع به أبداً، فهذا الشيخ عاصر دعوة الإدريسي حيث ذكرت بعض المصادر أن أباه جابر أبا ساق ممن وفد على الإدريسي ضمن وفد يام ، ثم هو عاصر احتلال القوات اليمنية لنجران ، ثم شهد انسحابها ودخول القوات السعودية إليها . وتحدث لنا عن مقتل أبيه جابر وكيف تحولت شيخة آل فاطمة عنه إلى عمه ثم إلى ابن عمه الحالي الشيخ : شرفي .

والشيخ حسين على أميته لديه علم بأنساب اليمن وجغرافيتها ، فهو يقول لك : هذه فروع همدان بن زيد ، وتلك خولان بن عامر ، ولديه من حفظ الوقائع التأريخية وحفظ أشعار المناسبات الشيء الكثير ، وهو بليغ متكلم ، ولكنه متذمر من كل ما مر به ، فتولدت لديه من هذا التذمر وكبر السن عصبية حالت دون كامل الاستفادة منه ، فقد كنت اسأله عن الأمر ، فيقول ـ بعصبية ـ أترك هذا ، وهذا لا يعنيك ! وكان يكرر علي مؤكداً ملحاً ألا أسأل غيره في نجران ! وكان يقول : إن سألت عن هذه المعلومات غيري لم أعد أصرح لك

---

(١) كان من عوائد قبائل اليمن ومنها قحطان ويام خاصة إذا ضافهم عزيز يأخذ المضيف لقمة من العصيد ثم يجوفها فيملأ جوفها سمناً فيطلب من الضيف أن يفتح فاه ، فيقذف بها المضيف فيه !

بشيء ! وما كان لرحَّالٍ يحترم نفسه أن يفي بهذه الشروط ولا أن يتقبل أوامر شيخنا حسين ! وبينما كنت على وشك توديعه دخل أحد أبنائه ، فاذا هو يصحح بعض المعلوم عن فروع يام ! وعندما طلبت منه أن يبحث لي عن مرافق إلى حبونن ، قال : لا ! ولما قلت له : أريد أن ازور شرورى والوديعة ، قال : أنا أعطيك معلومات كافية عنها ، لا تتعب نفسك ! وعندما قلت له : هل تتكرم بمرافقتي أو إرسال شخص من قبلك يرافقني لزيارة المكرمي ؟ قال : لا ! .

وأخذت عن الشيخ فروع قبيلة يام كما ستراها في بابها ، غير أن الشيخ عبد الرحمن بن قعوان استدرك عليه ما أثبتناه هناك . وكنت أود ان ازور بقية شيوخ يام إلا أن أمرين حالا دون ذلك : إحالة الإمارة إياي على حسين ، وقصر الوقت .

رحلة إلى حبونن

اليوم الرابع للرحلة

٥ شعبان ١٤٠٠

حبونن ، يدعى اليوم حبونا ، وهو الوادي الثاني في المنطقة ، كثير القرى والسكان ، وسيأتي في القسم الجغرافي .

كان هذا اليوم يوم الخميس ، وهو يوم عطلة الموظفين ، وكنت على السماع عن حبونا قد عزمت على زيارتها ، ففاتحت الشيخ محمد بن ابراهيم فوجدته ـ حفظه الله ـ الصديق المطيع دائماً ، فرحب واستعد للمرافقة . والحق يقال والفضل لأهله يذكر ، لولا الله جل وعلا والشيخ محمد بسيارته الجيب ما رأيت حبونن ، وفي الصباح شددنا الرحال ثلاثة رجال : أنا والشيخ محمد وابنه عبد الحميد الذي كان يقود سيارة الجيب ، وما رأى أحد منا حبونا من قبل ، وما رأينا طريقها إلا بالوصف ، وكنا أملنا في الشيخ حسين أبي ساق أن يجد لنا دليلاً ، ولكنه رأى أن هذه الرحلة غير لازمة .

اعتمدنا على النعت ، وقال عبد الحميد : إنه يعرف مفرق حبونا ، فسرنا في طريق الحجاز ، وصعدنا عقبة (شليا) : مدخل نجران مما يلي الشمال ، وهي عقبة عالية كأداء تهبط منها إلى نجران قرب الصعيد ، وتصعدها من نجران فتخرج في نجد قرار ، وهي من منزلنا بالبلد على (٢٦) كيلاً شمالاً . صعدناها فخرجنا في وسقة ذات صحاصيح تسمى (الشرى) ومثل هذه الأرض يسميها أهل هذه الديار (عَشّة) فتجدهم يقولون لك : العشة التي وراء شلية ، وعشة بئر

عسكر . . الخ ، سرنا في الشرى على نفس الطريق ، وهو الطريق الذي أتيت معه إلى نجران ، وعلى عشرة أكيال فرق إلى اليمين باتجاه مطلع الشمس طريق حبونا (حبونن) ، وهي طريق ترابية حجرية وعرة ، ترى الراكب فيها ينتفض من شدة اهتزاز السيارة ، وقد قيل لنا : إن هذا الطريق سيعبد قريباً .

وبينما نحن سائرون في هذه الأرض التي قد أضناها الجدب فلا تجد ماشيتها ما تأكله مررنا بغنم معز سود ، فقال الشيخ : أغنم هي أم بهم ؟! قلت : بل غنم تضرع وتلد : فتمثل الشيخ بما ينسب إلى مجنون بني عامر :

صغيران نرعى البهم ، يا ليت أننا إلى الآن لم نكبر ولم تكبر البهم !

فكانت إيقاعة أدبية مناسبة ، خفّفت عنا ما كنا نكابد .

ومن الشرى انحدرنا في عقبة «دسوم» عقبة ما رأيت مثلها في انحدارها ، عسرة كؤود ينكب الراكب فيها انكباباً . ولا تكاد ضوابط السيارة تسيطر عليها ، فأمضينا فيها وقتاً طويلاً ، فهبطنا منها على وادي (كتنة) أحد روافد حبونا ، وتبعد (دسوم) عن قاعدة حبونا ثمانية أكيال فقط . أفضنا من وادي كتنة في وادي حبونا فانحدرنا معه بين القرى المتصلة والنخيل المتراصة على جانبي الوادي ، وقرى هذا الوادي كثيرة ومزارعه ليست قليلة ، ولو سد لتدفقت مياهه على وجه الأرض ، وهي الآن تخرج على وجه الأرض إذا كثرت السيول ، وقال الشيخ عبد الرحمن القعوان شيخ شمل قبائل الاسلوم سكان هذا الوادي : إن عدد قرى وادي حبونا يبلغ (٤٧) قرية ، وفيه ست إمارات ، وعدد من المدارس والمراكز الصحية ، وحبونا اسم الوادي كله ، والقاعدة يقال لها : شط الاسلوم ، غير ان الإداريين يطلقون اسم حبونا على القرية (القاعدة) التي فيها الإمارة والمحكمة والشرطة ، وكما ألمحنا فان حبونا المنطقة الثانية في الأهمية بعد نجران ، وتأتي المنطقة الثالثة في الإمارة (شرورى) وإن كانت شرورى ذات أهمية خاصة اليوم . وصلنا إلى قاعدة حبونا على (٣٢) كيلاً من المفرق المشار إليه ، وعلى (٧٠) سبعين كيلاً من مركز نجران . ولما كان هذا هو يوم الخميس

فلم نجد من الرسميين أحداً ، القاضي والأمير وغيرهما كانوا قد خالفونا إلى نجران ، فظهرت البلدة وكأن ليس بها عريب ، فما طرقنا باباً وكلمنا منه أحد ، وبعد طرق شديد على باب الإمارة خرج علينا الأخ (ملهوف اليامي) أحد اخويا الإمارة ، فطلبنا أن يدلنا على أي شخص يمكن أن ننزل عليه ، فأسرع وركب سيارته وتقدمنا إلى منزل عمدة البلد فلم يجده ، ثم سار أمامنا حتى وقف بنا أمام منزل الشيخ عبد الرحمن بن قعوان شيخ شمل الاسلوم في قرية الوسيعة ، فخرج إلينا ورحب بنا وأدخلنا مجلساً فخماً بالنسبة إلى هذه القرى النائية ، قد فرش بالأرائك وعند بابه فرس عربي أصيل مربوط ، فيام هي القبيلة الوحيدة بين قبائل المملكة التي تحتفظ بالخيل إلى يومنا هذا ، وقد تذكرت قول الأخيلية .

قوم رباط الخيل بين بيوتهم .

كانت الساعة الثانية عشرة ، فألح علينا الشيخ عبد الرحمن بن ناجي القعوان ليحضر لنا غداء ، فرجوناه أن يكرمنا بما نطلب منه فقط ، وعنه أخذنا وصف وادي حبونا وقراه ، كما أثبتناه في القسم الجغرافي . وبينما كنا منهمكين في تدوين ما يمليه ابن قعوان فاذا بشاب من قوم الشيخ ، يقول : تفضلوا للغداء ! فاذا ضيوف في البيت المجاور وقد أولم مضيفهم بخروف سمين . فقلنا : أما والأمر كذا وهي (هبة ريح موافقة) فلا بأس ، وكان هذا من لطف الله ، ذلك أننا لو لم نتغدَّ مع القوم لبقينا إلى المساء بدون غداء ، فما وجدنا بعد خروجنا ما يباع ليؤكل .

كانت النية زيارة قرية (اليدمة) : شرق حبونا ببعد ، وزيارة (بدر) شمال حبونا ببعد أيضاً ، ذلك أن هاتين القريتين هما أشهر ما في المنطقة بعد مدينة نجران . وتأتي أهمية اليدمة كونها معقل السنيين من يام ، إذ أن قبائل يام ليست كلها اسماعيلية كما سترى عند الحديث عن قبيلة يام ، وكونها أيضاً تقع بين منقطع الجبال والرمل ، في أقصى زاوية إمارة نجران الشمالية الشرقية ـ انظر الخريطة ـ وتأتي اهمية (بدر) كونها معقل (المكارمة) دعاة المذهب

الاسماعيلي في هذه الديار ، وهي من اكبر القرى في شمال إمارة نجران ، واكتشفت ونحن عند الشيخ عبد الرحمن أنه لا سبيل إلى زيارة أي من القريتين في هذا اليوم، لبعد المسافة ووعورة الطرق ، فطريق اليدمة كان ينبغي أن يكون من نجران رأساً على طريق الرياض ، ومن هناك يفرق في متاهات في صياهد من الأرض لا يسير فيها إلا الخبير ، وأين نحن منـه ؟ . أما طريق بدر فكان ينبغي أن يكون عن طريق (ظهران) ثم يفرق بعد ذلك في جبال وأودية تحتاج إلى وقت لا يكفيه ما بقي من يومنا.

ودعنا الشيخ الكريم عبد الرحمن بن ناجي القعوان وسرنا في وادي حبونا صعداً ، فاذا نحن بين قرى وغدر هنا وهناك وغابات من الطرفاء والأراك والطلح أحياناً ، بالاضافة إلى غابات النخيل التي كانت تميز المنطقة وتحيط بالقرى في روابي على جانبي الوادي . وعلى (١٢) كيلاً من قاعدة حبونا وصلنا إلى (المجمع) حيث تجتمع روافد وادي حبونا العلى : وادي صيحان ، ووادي حَلاَل ، وهدادة . وهي باحة من الأرض متسعة بين الجبال تجتمع فيها تلك الأودية ، وتختلط فيها غابات النخيل بالبيوت والغابات الحـرجيـة ، حتى ليضل فيها الانسان في وضح النهار . فأخذنا في وادي (حلال) الذي جاءنا من مغيب الشمس بينما كنا نسير شمالاً بميل يسير إلى الغرب ، فواصلنا سيرنا في (حلال) فصلينا الظهر ، والعصر ـ متأخرين ـ قصراً وجمعاً ، ثم واصلنا سيرنا إلى قرية (الحرشف) على (٢٣) كيلاً من المجمعة أو المجمع، كل ذلك في طرق وعرة أضنت سيارتنا .

وكنا قبل خروجنا من عند الشيخ عبد الرحمن القعوان قد قررنا المضي ، في رحلتنا إلى بدر ، ولكن هنا في وادي حَلاَل أدركنا أنه يتعذر علينا الأستمرار الى هناك ، فصرفنا وجهتنا عنها . استمرت الطريق من قرية الحرشف غرباً ، فجاءنا من الجنوب أحد روافد حلال ، فعادت الطريق فيه قبـلاً ، وغير بعيد من واجهتنا عقبة (ضُبَين) وهي على صعوبتها أسهل من عقبة دسوم ، ولم تصعدها

سيارة الجيب إلا بالدّبل (الغيار الأضافي)، وجميع المنحدرات في نجران حادة ، لأن جبالها ترتفع عن الأودية ارتفاعاً شبه عامودي ، وهي مُعْط جُرْد لا تنبت شيئاً ولا تعلى إلا لضرورة . ثم لم نلبث أن لاءمنا الطريق المعبدة بين ظهران ونجران ، حيث وصلنا إلى نجران في الخامسة مساء .

الشيخ حسين المكرمي

أسرة المكارمة في نجران هم أئمة الاسماعيليين في نجران واليمن ، فهم دعاة هذا المذهب يتوارثونه ، ولهم تأثير على قبيلة يام وعامة سكان نجران الأصليين ، غير أن بعض فروع يام لا تعتنق هذا المذهب، وكذلك بعض الأشراف الحسنيين .

كنت ـ كما ألمحت سابقاً ـ طلبت من الشيخ حسين بن جابر أبي ساق الذي أحالني عليه وكيل الإمارة أن يجمعني بالمكرمي الأكبر ، بعد أن استأذنت من وكيل الإمارة في ذلك فقال : إنه ليس هناك مانع ، وظهر من كلامه أنه لا لزوم للأذن ، فالمكرمي الشيخ حسين بن حسن بن عبد الله الداعية الحالي أحد المواطنين السعوديين وله مكانته المرموقة لدى الإمارة ولكن أبا ساق رفض ذلك ، وفي هذا اليوم استعد عبد الرحمن بن قعوان القيام بالمهمة ، وضرب موعداً هو مساء السبت القادم .

سد وادي نجران

اليوم الخامس للرحلة

الجمعة ٦ شعبان سنة ١٤٠٠ هـ

وادي نجران من الأودية العظيمة ذات الروافد الكبيرة ، وكانت سيوله تذهب سدى ، فقامت وزارة الزراعة بعمل سد له في مضيق تجتمع عنده ثلاثة أودية كبار[١] ، هي : وادي مروان ويقولون (مرون) : يأتي من اليمن من بلاد همدان شرق صعدة . ووادي العرض : يأتي من الغرب من بلاد خولان بن عامر ، ويمكن احتسابه الامتداد الطبيعي للوادي القيم .

ووادي كرا : يأتي من الشمال من بلاد قحطان ووادعة غرب ظهران الجنوب .

خرجنا في العاشرة صباحاً فأخذنا من البلد جنوباً على جسر نجران الذي يتوسط الوادي ، ثم عطفنا يميناً على امتداد ضفة الوادي اليمني بقرب سفح جبل (رير)الجبل الذي يشرف على نجران من الجنوب،وخلفنا مدينة الأخدود وراءنا ، وبعد قليل جاءنا من اليسار وادي (نَهُوقة) : واد ذو فوهة واسعة تنفرش أرضه كثيراً وتكثر فيه أشجار السمر الدوح ، وفيه على جنباته أحياء من صناديق الزنك ، علمت فيما بعد انهم من اليمنيين وخاصة من الهاربين من اليمن الجنوبية خلال السنوات الماضية ، وعلمت ايضاً أن وادي نهوقة هذا

---

(١) سيأتي وصف وادي نجران في القسم الجغرافي .

سيخطط ويعمر ، ذلك أن البلد هنا في نهضة عارمة . ثم مررنا بجبل (رعوم) حائز وسط الوادي يحف السيل بجيمع جوانبه ، وعلى رأسه قلعة ليست بالحصينة بناها إمام اليمن ابان احتلاله نجران[1] ، وعلى ١٢ كيلاً من وسط البلد بسفح جبل رعوم من الغرب قرية تتوسط الوادي ذات نخل ونزل جميلة تشرف عليها الجبال الشواهق من كل جانب ، هذه تسمى (سلوى) ، ثم على ثلاثة أكيال منها إلى الغرب وأنت تؤم السد ، قرية (الموفجة) ، كثيرة النخل والنزل تشبه روضة في متسع نسبي بين الجبال، وتعتبر الموفجة من القرى الرئيسة في نجران . وبعد ٢٤ كيلاً من منزلنا وصلنا إلى سد نجران ، وهو سد محكم حسن التصميم والبناء ، وليس هو من السدود الكبيرة كسد جازان ـ مثلاً ـ ولكنه سيوفر لنجران خيراً كثيراً .

والوادي بين الموفجة والسد يضيق حتى تظن انه شعب سينتهي عما قريب ، غير أنه يستمر بعد ذلك موغلاً في الجبال مسافة ثلاثمائة كيل حسب قول رجل يامي وجدناه هناك . والذي أراه أن في قوله هذا مبالغة ، ولم أستطع الحصول على خريطة تؤكد او تنفي هذا التقدير . ويبلغ عرض السد قرابة ستمائة متر بما فيها توغل ساعديه في الجبلين .

وقبيل السد مما يلي منشأه تجتمع الثلاثة الاودية مارة الذكر ، وقد ترى اجتماعها من على ظهر السد .

عدنا من رحلة السد فصلينا الجمعة في مسجد يخطب فيه القاضي الشيخ يحيى بن علي الحكمي رئيس محكمة نجران المساعد .

زيارة أشراف عويرة :

رغبت إلى الشيخ القاضي محمد بن ابراهيم الذي يرافقني ـ جزاه الله

---

(١) يأتي ذلك في قسم التاريخ .

خيراً ـ في معظم رحلاتي هنا ، في زيارة الأشراف في نجران ، فقال : إنه يعرف الشريف أحمد بن محمد بن حسين المشهور بابن طالب ، فذهبنا إليه فاستقبلنا في قصره بعويرة ، وهو قصر من (اللبن) مكون من أربع طبقات لم نصعده إلا بمشقة ، وهو حصين يخيل إليَّ أنه أمتن بناء من الاسمنت المسلح ، غير أن هذا الطراز كان معداً أيام الغارات والحروب المتتالية ، فهو صالح كقلعة للدفاع ، وكمسكن للأسرة ، وأسفله كن للدواب ومخازن للغلال .

ولا يختلف الاشراف هنا عن بقية الناس إلا بسحنة قل أن تميز ، فالشريف أحمد جاءنا لابساً ثوباً قصيراً إلى نصف الساق ، وفي وسطه حزام عريض ، وهذه الهيئة قريبة من هيئة عامة أهل اليمن الصالحة لسرعة الحركة والرشاقة ، وكان معتماً بعمامة لاثها حول رأسه .

ولقد أخذت عليه أنه ـ عند سؤاله عن الأشراف في نجران ـ تحدث عن أسرته الخاصة ، وترك بني عمه موهماً إياي أنهم هم الأشراف الموجودون في نجران ، حتى نبهني أحد الأخوة الكرام ، فقال : هؤلاء أشراف عويرة فقط ، وهناك أشراف صنعاء لم يذكرهم لك ، وكنت أظن أن اشراف صنعاء نسبة إلى صنعاء عاصمة بلاد اليمن ، ولكن ظهر أنها قرية في نجران ، فهم ينسبون إليها ، وأشراف عويرة منسوبون الى قريتهم عويرة ،وظهر أن إهمال الشريف أحمد بن طالب لأشراف صنعاء ناتج عن اختلاف المذهب ، فقد قيل لي إن ابن طالب وقومه ـ أشراف عويرة ـ زيديون ، وأن أشراف صنعاء إسماعيليون . وقد تحدثنا عن فروع الأشراف ونسبهم في باب قبائل نجران .

زيارة الإمارة للمرة الثانية :

كنت قد عزمت على زيارةشروري والوديعة ، فقيل لي انه لا بد من أخذ أذن من الإمارة ، وبعد مغرب هذا اليوم ذهبت بمفردي لمنزل وكيل الإمارة سعادة الشيخ سلطان بن خالد السديري ، وكان غائباً فجاء وصلينا معه العشاء ، وهناك

رأيت عدداً من وجوه نجران منهم الشريف أحمد آنف الذكر ، ثم عرضت على سعادة الوكيل رغبتي في زيارة شرورى والوديعة ، فخطَّ لي ورقة إلى أمير شرورى الكريم الشهم ، وبعد خروجي من الإمارة مررت في الصعيد الذي أصبح مدينة تتلألأ أنوارها فتعشيت في أحد المطاعم التي يديرها اليمنيون ، فكان نظيفاً حديث الطراز ، ثم عدت إلى منزل الشيخ ابن إبراهيم ، فوجدت كل شيء قد أعد لرحلة الغد ، واختير لمرافقتي ابنه الثاني (عيسى) .

شَرَوْرَى والوُدَيْعَة

اليوم السادس للرحلة

٧ شعبان سنة ١٤٠٠ هـ

بكرنا في الخامسة صباحاً ، أنا وصهري عيسى بن محمد بن إبراهيم ، فخرجنا من نجران باتجاه مطلع الشمس ، وهو نفس الطريق الذي سلكناه إلى آثار كعبة نجران .

كنا نجتاز الصعيد في الساعة الخامسة والنصف صباحاً ، وكانت ذكاء تطل علينا من وراء جبال الأثايب ، وكأنها عين سابر أو مراقب جيش ، وعلى (٢٣) كيلاً فرق طريق شروري يميناً آخذاً إلى الجنوب الشرقي ، وتركنا إلى يسارنا الطريق التي تمر بالمطار وتذهب الى الرياض .

وهنا طالعتنا لوحة كتب عليها : (شروره : ٣٢٠ كم) . وهكذا تراها في جميع لوحات الطرق (شروره) وأعتقد أنه غلط ، وأنَّ الصواب (شرورَى) ولها نظائر عند العرب . فمررنا على جسر يمر تحته سيل وادي نجران ، وفي نهايته الجنوبية على ٢٤ كيلاً من نجران تقع قرية الخضراء ، وبها مخفر تفتيش ، وتكاد تكون الخضراء آخر الحياة مما يلي شرق نجران إلى شرورى ، فكل ما بينهما صحراء لا حياة فيها . وهذه الصحراء التي تشرف عليها جبال اليمن من الغرب وتفيض سيولها فيها كانت تسمى (صيهد) ، وأخذت جميع الأعلام تبتعد عنا يميناً ويساراً ، وسرنا في صحراء ذات حبال من الرمل السائب تعترض الطريق وتتخللها شقائق ضيقة تشبه الأودية وطويلة طولاً لا يدركه البصر ، معارضة للطريق بشكل تقاطعي . غير أن جبال اليمن التي على يميننا كانت تسايرنا مع

الابتعاد التدريجي ، فأولها مما يلي نجران ، جبال (وائلة) ، ثم تليها من الجنوب جبال (دهم) وهما قبيلتان من همدان ، لهما خطر في هذا الطريق ، وخاصة (دهم) التي كثيراً ما تقطع الطريق بين نجران وصنعاء . وعلى (٥٤) كيلاً من نجران فرق إلى اليمين طريق صعدة ، وهو يخرج من السهل فيصعد جبال اليمن في بلاد همدان فيمر بصعدة ثم يذهب إلى صنعاء ، ويكاد يكون كله في بلاد همدان ، ولذا فكثيراً ما تسيطر قبيلة دهم على مسالكه . ثم اعتدل بنا الطريق مشرقاً ، وعلى (١٠٤) أكيال مررنا بمخفر لسلاح الحدود يسمى مركز الخزور ، والخزور اسم بطن من بطون تلك الصياهد ، وعلى منتصف المسافة تقريباً بين نجران وشرورى مررنا في وادي (اليتمة) : وهو يأتي من الغرب من جبال دهم ، ويبدو انه من كبار الأودية هناك ولولاه كذلك ما وصل إلى هنا ، حيث الأرض ميثاء ذات رمل سائب ، والجبال لا تكاد تراها .

كنا وجدنا في الخضراء جندياً سائقاً من سلاح الحدود رغب أن نأخذه معنا ، ولما كان من أهل البلاد ولا دليل لنا رجونا منه خيراً ، ولكن ما أن خرجنا من القرية الا وقد أخذ يغط في النوم ، ورغم مشاغلتي إيّاه بالحديث فقد نام أو تناوم ، وظهر أنه غير راغب بامدادنا بمعلومات ، وهو وأمثاله معذورون لجهلهم .

شَرَوْرَى :

وأخيراً وبعد مسير ٣٤٥ كيلاً أشرفنا على مدينة شرورى ، كانت الساعة التاسعة والنصف تقريباً ، ذلك أن هذه الطريق معبدة تعبيداً رائعاً ، ولذا استغنينا في هذا اليوم عن الجيب ، وذهبنا في سيارتي المرسيدس .

تقع شرورى في منخفض جلد تحيط به الرمال ، ففي الشمال جبال رمل تتخللها شقائق جلدة ، وهي تذكر بالدهناء شرق الرياض ، ومن الشرق الربع الخالي (رمل يبرين) وهو بحور من الرمال لا تسير فيها سيارة ولا يخترقها إنسان إلا في مواضع قليلة يعرفها أهلها ، ومن الغرب جبال اليمن امتداد السراة حيث

تسكن قبائل دهم وبطون اخرى من همدان ، وقيل لي هنا ان تلك الجبال تبعد من هنا (٢٠٠) كيل ، ولا استبعد ذلك فالصحاري هنا واسعة شاسعة ، اما من الجنوب فجبال حضرموت تمتد من الشرق الى الغرب باتجاه مقاطع لسابقتها مما يكون من التقائهما زاوية شبه قائمة

هذه الزاوية يكون رأسها في مأرب : المدينة التأريخية القديمة ، وفي بطن الزاوية تتكون رمال السبعتين[١] .

وقيل لي هنا إن جبال حضرموت تبعد قرابة (١٥٠) كيلاً ، غير أني استبعد ذلك ، لأننا عندما ذهبنا الى (الوديعة) رأينا هناك جبال حضرموت ، سراة ممتدة من الغرب إلى الشرق تشبه سراة اليمن الى حد بعيد .

تلتقي عند شرورى منازل أربع قبائل كبار : يام من الشمال والشمال الشرقي ، وقبائل من (أبا العبيد) منهم الكرب من الجنوب والجنوب الشرقي ، والصعر من الجنوب الغربي ، ونهد من الغرب ، وكل قبيلة أفردنا القول عنها في بابها .

ذهبنا إلى أحد المطاعم فتناولنا فيه طعام الافطار ثم توجهنا إلى إمارة شرورى فوجدنا الشيخ : علي بن عبد الله الشويعر أمير منطقة شرورى[٢] جالساً في مكتبه ، فرحب وسهل ، وبذل جهداً مشكوراً في مساعدتنا ، ثم تحدث عن شرورى فقال : كانت منطقة شرورى صحراء قاحلة لا شيء فيها ، ثم حفرت الحكومة السعودية فيها بئراً ارتوازية سنة ١٣٧٤ هـ عمقها (١٠٥٠) م ذات ماء

---

(١) سميت رمال السبعتين لأنها تتكون من رملتين متجاورتين تتكون كل منهما من سبعة حبال رمل ، وهي تمتد من التقاء سراة اليمن بسراة حضرموت قرب مأرب شرقاً ، ثم تمتد باتجاه الشرق وقد كتبها أحد المستشرقين بالأحرف اللاتينية فعربت (السباتين) وهو خطأ .

(٢) من ال الشويعر في حائل .

معدني ، قال الشيخ إنه يفتت الحصى من الكلى ، فصارت البئر مورداً لقبائل المنطقة ، وفي سنة ١٣٧٥ هـ أسست الدولة أول مركز إداري ، فأخذت البلد تنمو ، وتكاثرت البادية حولها ، وكان المركز في خيام ثم في صنادق ، ثم كما ترى الآن (قصر فخم مبني بالاسمنت المسلح مكيف بالكهرباء) أما البلدة فتشبه أية بلدة ناشئة ، مخططة تخطيطاً بديعاً ، غير ان الأرض على جوانب الشوارع ليست كلها معمورة ، ويختلط فيها بناء الاسمنت المسلح والأحواش والصنادق ، وشوارعها ليست كلها معبدة ، وكذلك مدخلها كان تحت التعبيد ، وتشتد الرياح بعد الظهر فتثير الأتربة ، وهو أهم ما يشكو منه السكان ، ويذكرني هذا بحالة تبوك اول نهضتها ، حيث كانت الزوابع تنغص علينا الحياة هناك ، والذي أعتقده أن شرورى ستلحق بتبوك ، غير أن الأرض غير الأرض والإمكانات الطبيعية غير إمكانات تبوك .

ويوجد في شرورى من الدوائر الحكومية : الإمارة ، والشرطة ، والبلدية ، والمحكمة، وقيادة عسكرية .

الوُدَيْعة

ابدينا للشيخ رغبتنا في زيارة الوديعة ، فأمر بسيارة (G. M.C) مصندقة ومكيفة يقودها السائق مقبل بن محمد الصيعري ، وقال الشيخ : هذه سيارتي الخاصة ، ولما قلنا له : إن سيارتنا يمكن ان تقوم بالمهمة ، قال مبتسماً : سيارتكم انتهى عملها هنا ، وانتم في ضيافتنا وكلنا في خدمتكم . فشكرناه ، وتوجهنا مع « مقبل » على طريق الوديعة باتجاه الجنوب الغربي ، ولم نسر إلا بضع أكيال حتى أحسسنا بارتجاج في السيارة فتوقف السائق وتفقد السيارة فاذا إحدى عجلاتها قد (بنشرت) ، وكانت الشمس قد اشتدت حرارتها وزاد من وهجها وجود الاسفلت والرمال البيض المحيطة ،وبدل مقبل العجلة بسرعة جيدة

ثم واصلنا سيرنا ، وعندما شاهدنا جبل (الوُدَيْعة) صرنا في أرض ليست رملية ، إنما حزوم وجلد ، وهذه تسمى (حيلة شنية) وظهرت الى يسارنا ببعد جبال (قعافز) في ديار الصيعر ، وعلى (٥٤) كيلاً من شروری كنا قد وردنا الوديعة .

وتلتقي في الوديعة ـ أيضاً ـ ديار أربع قبائل : الصيعر من الشرق والجنوب ، والكرب ـ من أبا العبيد ـ من الجنوب ، ونهد تختلط مع الكرب ، ويام من الشمال : آل مرة ـ الذين تمتد ديارهم الى جنوب نجد ، وآل فهاد ، وآل دمنان ، وآل العرجاء ، وتمتد ديارهم من هنا إلى نجران ، ولبعد هذه البطون عن نجران فان مذهبها سني لا إسماعيلي . وكذلك بقية القبائل هنا . وتقع ديارهم الى غرب الوديعة على الحدود بين الدولتين : السعودية واليمنية ، أي أن ديار همدان اليوم تمتد من التقاء الحدود اليمنية السعودية الحضرمية ، بين صنعاء وعدن وشروری الى نجران ، ثم تمتد شرقاً شمالياً إلى جنوب شرقي الرياض بدون انقطاع ، وهذه من أوسع ديار القبائل بعد عنزة وحرب[١] .

تأسيس الوديعة :

والوديعة ـ بالتصغير المرخم ـ : كانت أكمة صغيرة في وسط هذه الصحراء ، ولكونها منفردة لا يتصل بها شيء سموها (الوُدَيعة) تصغير ودعة ، وهو نوع من محارات البحر ، تستعمله البادية في (الخط) وهو نوع من الكهانة ، وقد توضع على ما يراد درأ العين عنه ، ولذا قال ﷺ : من علق ودعة فلا أودع الله له . وقد يستعمل الودع في الزينة ، ففي بعض البوادي ترصع البراقع بالودع ، وقد شاهدت ذلك أثناء رحلاتي .

المهم في الموضوع هذا أن الوديعة سميت تشبيهاً بذلك ، ولصغرها صغروها .

---

(١) انظر عنها : نسب حرب ، ومعجم قبائل الحجاز ، ورحلات في بلاد العرب .

ويمر بسفح الوديعة واد يسمى (دَخِين) فيه ثمد (ماء قليل) يجم وقت السيول فيظل الشتاء والربيع ، ويجف في الصيف ، هذا كل ما كان يعرف عن الوديعة من حياة ، ونظراً لقربها من الحدود فقد جعل سلاح الحدود فيها مركزاً صغيراً سمي مركز (الوُدَيعة) .

وفي رمضان عام ١٣٨٩ هـ هاجمت قوة من الجيش العدني ذلك المخفر واستولت عليه بعد مقاومة بسيطة ، كان قائد المخفر زميلاً لي يدعى صامداً الشراري ، وكان برتبة نقيب فيما اذكر . ولم تلبث الحرب أن اندلعت بين الدولتين الشقيقتين المتجاورتين ، ولم يستطع احد ان يقف في سبيل نشوبها ، فحدثت الحرب التي عرفت بحرب الوديعة ، ولأن الاسم نقل في الصحف غير مشكل فقد قرىء (الوَدِيعَة) وبذلك تناقلته الإذاعات فرسخ في أذهان الناس بهذا اللفظ ، وطارت شهرتها حتى لم يعد أحد لم يسمع بها .

وبعد تلك الحرب - أو بالأصح أثناءها - ضربت وزارة الدفاع أنبوبة ارتوازية بجوار تلك الأكمة ، فجاشت بماء غزير عذب ، وجدنا الناس يستقون منه ، ثم تأسس سنة ١٣٩٦ هـ فرع لامارة شروری بهذا الموضع ، فبدأت البوادي تفد الى ذلك الماء وتتعامل مع ذلك المركز ، وكعادة الناس في تأمين متطلبات الحياة فقد تأسست بعض المرافق ، كالوقود ، وصيانة السيارات ، وبعض الدكاكين .

وفي سنة ١٣٩٩ هـ تأسست أول مدرسة ابتدائية للبنين ، ثم بدأ المواطنون يطلبون عمارة الأرض ، وقيل إن مخططا للموقع يدرس الآن .

وقيل لنا هنا أنها تبعد عن حدود اليمن الجنوبي التي تصل إليها الدوريات من (٥٥ ـ ٦٠) كيلاً . على أن الحدود غير محددة رسمياً بين البلدين ، واليمن الجنوبي : اسم اطلق على حضرموت وعدن بعد الاستقلال سنة ١٣٨٩ هـ ، ومن هنا ترى جبال حضرموت كالعرف ، ظاهرة واضحة .

أما دوريات منطقة الوديعة المتجهة شرقاً فتصل الى : الحرج وأمهات عبلة

والخرخير[1] ، كذا قال الشيخ محمد بن ناجي المري اليامي أمير مركز الوديعة ، وقال : إن هذه المواقع تبعد من هنا إلى الشرق قرابة (٨٠٠) ثمانمائة كيل ، وهي بين الرمل (الربع الخالي) وحضرموت .

ولما وصلنا إلى مركز إمارة الوديعة وجدنا أميرها في مكتبه ، وكان مزدحماً بالناس ، فاختصرنا في غرفة خاصة ، ومنه أخذنا ما قدمنا من معلومات .

شروری مرة أخرى :

عدنا إلى شروری ـ بعد إلحاح أمير الوديعة علينا بالبقاء للغداء ـ فوجدنا الشيخ أمير شروری في انتظارنا ، وكان قد أولم لنا وليمة دعا إليها نخبة من موظفي الدولة بهذا البلد ، كان يميزهم عنصر الشباب .

وكان قد ضرب موعداً لشيوخ القبائل الموجودين ، فحضر شيخ الصيعر ، وشيخ الكرب ، وشيخ نهد ، ولم يجد الرسول شيخ بني مرة من يام ، وليس هذا شيخ جميع بني مرة ، إنما هو شيخ من يوجد منهم هنا ، ذلك أن ديار بني مرة تمتد من هنا إلى الافلاج في نجد وإلى واحة يبرين : جنوب شرقي الرياض .

كان موعد الجميع في منزل الشيخ في الساعة الثالثة ، وحضر من ذكرنا ، فكانت مناقشات حول القبائل وأنسابها وديارها ، وقد اشترك فيها الأمير وصحح بعضها ، وقد عرفنا هنا أن بعضاً من كبار الحضارم في مكة وجدة يرجعون إلى قبيلة الصيعر هذه كما سترى في فروعها ، من هؤلاء : الشيخ سالم بن محفوظ صاحب البنك الاهلي التجاري ، الغني المحسن ، فهو من فخذ آل ابن محفوظ من قبيلة الصيعر ، وأسر أخرى تجارية وعلمية ترجع الى هذه القبائل الصحراوية .

وفي الساعة الخامسة ودعنا الجميع شاكرين عائدين الى نجران ، فوصلناها في التاسعة ليلاً .

---

(١) تبعد الخرخير ٤٤٠ كيلاً شرقي شروری إلى الشمال .

ما هو اسم شرورى القديم ؟ !

تبعد شرورى ـ كما ألمحنا سابقاً (٣٤٥) كيلاً شرقاً من نجران ، في فلاة مهمهٍ يضل فيها السائر في وضح النهار ، وترتفع عن سطح البحر قرابة ٩١٤ قدماً ، وهي في الزاوية الجنوبية الغربية للربع الخالي ، على خط طول ١٥ و٤٧° تقريباً ، وبين خطي العرض : ١٧ و١٨° وتقع الوديعة جنوباً منها على ٥٤ كيلاً كما ذكرنا سابقاً ، وعلى خط الطول نفسه السابق ، وخط عرض ٦ و١٧° تقريباً .

وأهم المناطق المعروفة حول شرورى : رمال القعاميات في الشرق الى الشمال ، وشقة الخريطة : خَبْت واسع إلى الغرب .

ولم أجد لشرورى ذكراً فيما نظرت من مراجع قديمة ولا حديثة ، فلم يذكرها الهمداني في (صفة جزيرة العرب) ، ولم يذكرها الأكوع في (اليمن الخضراء) بينما ذكر الوديعة ، ولكنه غير موقعها في الخريطة إلى الجنوب كثيراً ، وكلاهما معذور ، فالمكان يقع في مجاهل الصحراء في فلاة كانت تسمى (صَيْهد) وهي واسعة شاسعة ، ثم إن المكان لم تكن فيه حياة قبل تأسيس ذلك المخفر الذي مر ذكره ، ولذا فانك تجد ان أهل الديار لا يكادون يضبطون اسمها ، فقد سألت شيخاً ممن كان معنا عند أميرها : هل الاسم الصحيح شرورى أم شروره ؟ فقال : ناس يقولون كذا وناس يقولون كذا ! . أما الورقة التي كتبها لي وكيل إمارة نجران فقد جاء فيها (شرورا) وفي الخريطة ظهرت (الشرورة) من هذا يظهر لك أن الاسم ليست له جذور وما كان معروفاً إلا عند من ينتجعه من البوادي .

اليوم السابع للرحلة

وفي ٨ شعبان سنة ١٤٠٠ هـ، زارنا اليوم في الصباح الباكر الشيخ عبد الرحمن بن ناجي بن قعوان شيخ قبيلة الأسلوم من مواجد من يام ، وذكرني بأنني كنت على موعد معه ليلة البارحة ، وقال إنه قد صنع لنا عشاء خفيفا ، وكنت نسيت ذلك الموعد ،وحتى لو لم أنسه فعودتي من شرورى كانت حائلاً دون ذلك .

ثم اتفقنا على موعد مساء هذا اليوم .

زيارة الإمارة :

ثم ذهبت إلى الإمارة ، حيث تكرم سعادة وكيل الإمارة الشيخ سلطان بن خالد ، فأوعز إلى عدد من الدوائر الحكومية بأن تمدني بما أريد من معلومات .

فذهبت إلى إدارة التعليم ، فتكرم الأستاذ عبد العزيز بن أحمد العياض ، مدير إدارة التعليم بنجران باعطائي فيضاً من المعلومات عن التعليم في نجران ، وأهم هذه المعلومات خريطة لنجران ونواحيها رسمت عليها المدارس مع المسافات والاتجاه ، وأرجو أن تكون مرفقة بآخر هذا الكتاب . ثم مررت على البلدية ومندوبية الزراعة والمحكمة ، وكنت رغبت إلى مندوب الزراعة باعطائي معلومات عن سد نجران ، مثل : الكمية التي يحتجزها من الماء ، والمردود الفعلي على البلد ، ونحو ذلك ، فلم يتم شيء من ذلك .

وتغدينا في بيت الشيخ يحيى الحكمي(١) : الذي كان موجوداً في منزل صهري عند عودتي من شروري البارحة ، فدعانا إلى غداء يقيمه اليوم لنا ، ولم يقبل منا عذراً ، قبل الله منه كل خير .

وبعد ظهر هذا اليوم ذهبنا إلى منزله في معية الشيخ محمد بن إبراهيم(٢) وأبنائه : عبد الحميد وعيسى وعبد الإله ، وهناك حضر نخبة من فضلاء منسوبي الدولة ، منهم قاضي حبونن الشيخ علي بن محمد القحطاني والشيخ علي بن

---

(١) هو الشيخ يحيى بن علي بن أحمد بن علي الحكمي ، وبنو الحكم من سعد العشيرة من مذحج المتقدم الحديث عنهم ، ولد بقرية المضايا على ٣٠ كيلاً جنوب شرقي جازان عام ١٣٥٠ هـ ودرس بمدرسة سامطة بإمارة جازان ، ثم في المعهد العلمي ثم في كلية الشريعة بالرياض ، فتخرج عام ١٣٨٦هـ ، يعمل مساعد رئيس محكمة نجران الشرعية .

(٢) هو الشيخ محمد بن إبراهيم بن سلامة بن نويفع الحازمي الحربي ، أبو أمير بلدة الحمراء بوادي الصفراء ، ولد في قرية الحمراء سنة ١٣٥٢هـ درس في المعهد العلمي بمكة ثم تخرج في الجامعة الاسلامية بالمدينة ، وعين قاضياً سنة ١٣٩٢هـ فقاضياً لمستعجلة نجران سنة ١٣٩٣هـ ، وهو قاضيها الآن . ترجمة له في نسب حرب .

قائد المرشد اليمني ، ومدير تعليم البنات : والاستاذ محمد بن حسن الحازمي[1] ، مدير المعهد العلمي ، وأخوة آخرون لا تحضرني اسماؤهم الآن .

ابن قعوان مرة أخرى :

ذهبت في هذا المساء إلى منزل الشيخ عبد الرحمن بن قعوان ، حسب الموعد المحدد بيننا ، وهناك أخذت منه معلومات قيمة عن الناحية الجنوبية الشرقية من منطقة نجران . وكان قد وعدني أن يمهد لاجتماعي بالشيخ حسين بن حسن بن عبد الله المكرمي ، إمام أهل نجران ، وفي هذا المساء أخبرني أن الشيخ حسيناً ذهب إلى العمرة ومن ثم يزور النجف ، ثم أخرج إلي أوراقاً وكتباً لم أر فيها فائدة .

وكان غرض الاجتماع مع الشيخ المكرمي معرفة نسب المكارمة بصورة صحيحة ، فقد خاض فيه أناس ، فقال بعضهم إنهم من سلالة الرسول ، ﷺ ، ولكن أهل نجران وعلى رأسهم راويتنا عن يام أبي ساق يقولون : إنهم من حمير ، وقال لي الأستاذ محمد بن حسن الحازمي ـ المتقدم ـ : هم يقولون في خطبهم أنهم من حمير .

ثم أرسلت من مكة رسالة إلى الشيخ المكرمي ، سألته فيها عن نسب المكارمة وفروعهم ، وتأريخ نزولهم نجران .ولم يجب على الرسالة .

(١) من الحوازمة : فرع من الأشراف يسكن منطقة جازان .

انتهاء الرحلة إلى نجران

وفي اليوم الثامن للرحلة ٩ شعبان .

عـزمت على إنهاء الرحلة ، فأسرعت في استيفاء ما بقي من معلومات عن نجران وسكانه ، فكانت زيارة لمدير المعهد العلمي ، الذي أصر منذ أمس أن يكون الغداء عنده ، ومن ثم زرت الشريف أحمد بن طالب من أشراف عويرة ، ثم بعض المرافق في الصعيد كالبلدية والزراعة ثم المحكمة .

وبعد الظهر ذهبنا إلى منزل الشيخ محمد بن حسن الحازمي مدير المعهد العلمي ، وهناك كان لفيف من الشباب ، من المشتغلين في القضاء والدعوة والتعليم ، وكلهم من الأقاليم المجاورة لنجران ، وأهل اليمن عموماً يتعشقون الحديث في الأنساب ، وهنا كان نقاش حول بني شعبة الذين يصرون على أنهم من تغلب ، والذي أعتقده أنهم من كنانة ، ذلك أن بني شعبة الكنانية لا زالت حول الليث إلى مكة ، وديار كنانة ـ قديماً ـ كانت تصل إلى درب بني شعبة هؤلاء ، وكذلك كان نقاش حول نسب الدواسر ، فقال قائل : هم بنو زائد الملطوم (؟) وهم وبنو شعبة أهل درب بني شعبة يرجع نسبهم إلى تغلب القحطانية (؟) .

وهذا القول يحتاج إلى تمحيص ونظر ، وليست معنا قبائل تهامة في هذا الكتاب ، ولعلنا نعود إلى الموضوع في كتاب آخر يتناول تهامة وقبائلها ، إن شاء الله .

سهرة عائلية : وبعد عصر هذا اليوم فوجئنا بالشيخ القاضي ابن إبراهيم قد أعد خروفاً محنوذاً ، وأعد لرحلة قصيرة إلى أسفل وادي نجران حيث السهل

الواسع ، فقال ـ حفظه الله ـ أردنا أن نودعكم بهذا ! فذهبنا بكامل الأسرة إلى هناك فأمضينا أمسية حلوة: فالهواء عليل ، والرمل نظيف ناعم ، وأنوار المطار نشاهدها بألوانها الحمراء والصفراء ، والسيارات المتجهة إلى شرورى تشبه الصواريخ انطلاقاً .

ولم نلبث أن أحسسنا ببرودة الجو في هذا الصيف ، فعدنا أدراجنا إلى المنزل، وفي الصباح الباكر من اليوم العاشر من شعبان غادرت نجران عائداً على نفس الطريق .

قبيلة همدان

تستلزم الرحلة الحديث عن منطقة نجران: تأريخياً وجغرافياً وعمرانياً ، والحديث عن هذه الأمور لا يمكن أن يكون مفهوماً فهماً واضحاً بدون الحديث عن السكان، وجل سكان نجران إن لم يكن كلهم هي (قبيلة يام)، فاذا ذكرت نجران ذكرت يام، وإذا ذكرت يام ذكر نجران . ولكن (يام) هذه القبيلة الكبيرة المتعددة الفروع هي فرع من قبيلة اكثر حجماً وأوسع دياراً وأكثر فروعاً، فلا بد من لمحة موجزة عن القبيلة الأم (همدان) .

نسب همدان :

هي همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان. (انظر شجرتها) .

فروعها : كثرت همدان في الجاهلية حتى أصبحت من أعظم القبائل إن لم تكن أعظمها ـ بين مكة والبحر العربي . وكان منها الملوك والأقيال، ثم إنها اندمجت في فرعين عظيمين من فروعها هما: حاشد بن جُشم بن حبران بن نوف بن همدان، وبكيل أخو حاشد المتقدم . فصار اسم (حاشد وبكيل) يعني همدان ، والعكس المعنى نفسه .

ومن صدر الاسلام أصبحت حاشد وبكيل جيشاً لا يمكن لملك يريد ملك اليمن تجاهله والاستغناء عنه، وعندما جاء الهادي الى الحق ، في آخر القرن الثالث ناصره من ناصره من همدان وعارضه من عارضه، إلا أن النتيجة كانت اعتناق همدان المذهب الزيدي ، فأصبحت جيش الائمة الزيدية، وان مجرد

كلمة (حاشد وبكيل) في اليمن لا تفسر إلا انه الحرب، وهكذا تنطق دائماً (حاشد وبكيل) كما يقال: (غامد وزهران)، و(بلى وجهينة) .

ولهمدان مواقف إسلامية وسياسية تفخر بها، منها وقوفها مع الإمام علي يوم صفين ، ويفخرون ببيت لعلي كرم الله وجهه، يقول فيه :

لو كنت بوَّاباً على باب جنة   لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

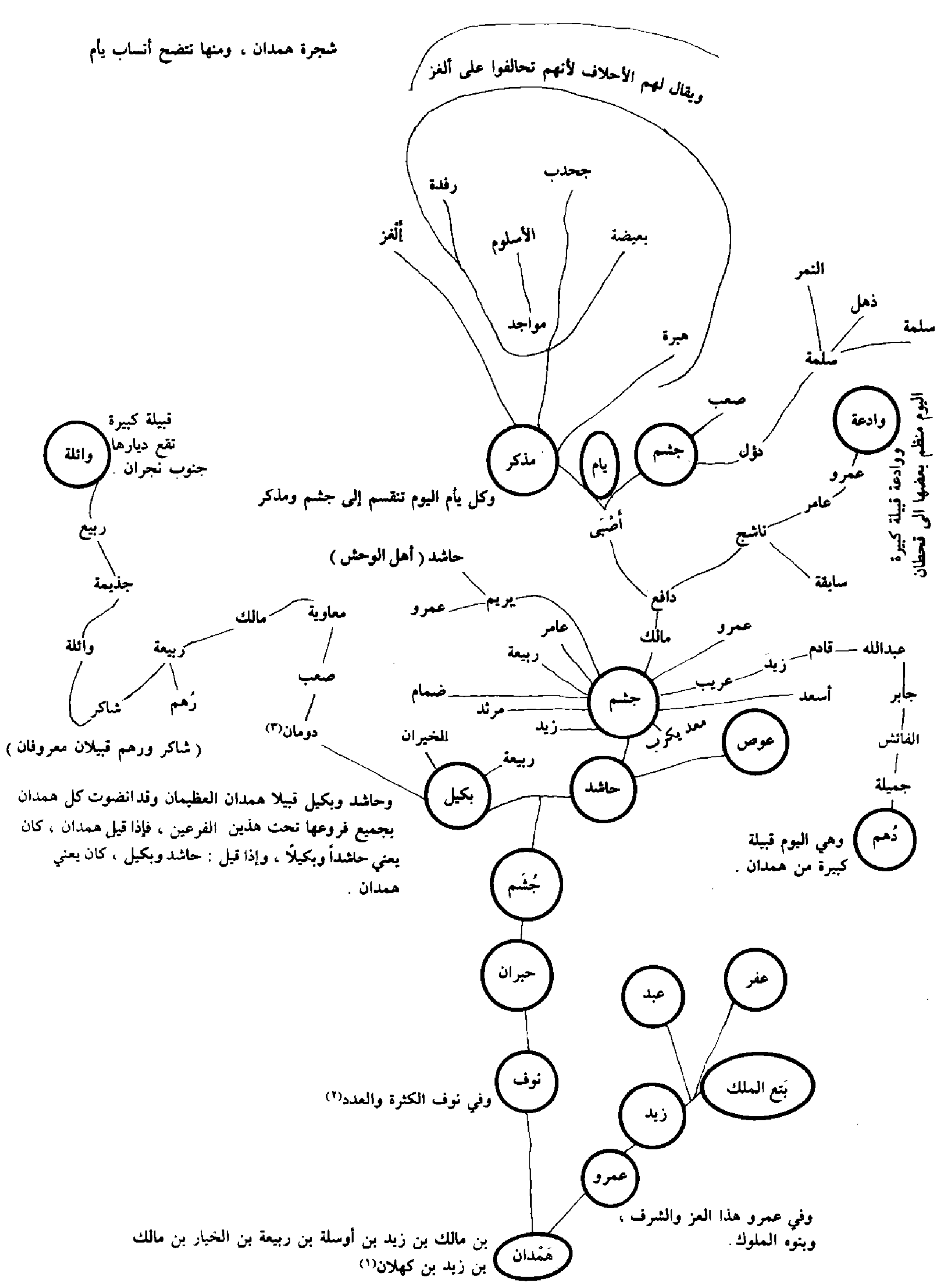
ديارها : رغم الهجرات التي خرجت من همدان اثناء الفتوح الإسلامية وبعدها فقد احتفظت بديارها إلى يوم الناس هذا، وتعتبر ديار همدان من أوسع ديار القبائل العربية اليوم، إذ تمتد من شرقي صنعاء في اليمن الى قرب حرض شرقي الرياض، وهي مسافة تزيد افقياً عن الف كيل، في عرض يتراوح بين ٤٠٠ - ٦٠٠ كيل أيضاً .

ومن أهم مناطقها في اليمن: الجوف، وسراة دهم، ونجران . ثم تمتد بين الربع الخالي ونجد على جنوب الافلاج وواحة (يبرين) وضواحي الخرج، الى حرض في المنطقة الشرقية .

فروع همدان : تنقسم همدان كما قدمنا إلى حاشد، وبكيل. ومن أهم فروع بكيل المعروفة اليوم في اليمن: وائلة، وشاكر، ورُهم، وديار وائلة تتصل بنجران من الجنوب، ومنها حي في نجران نفسها .

ومن فروع حاشد المهمة: قبيلة (دهم) تقع ديارها على يمين المتجه من نجران الى شرورى، وكلها يمنية، أي خارج حدود المملكة العربية السعودية، وهم بنو دهم بن جميلة بن الفائش بن جابر بن عبد الله بن قادم بن زيد بن عريب ابن جشم بن حاشد، وقد تقدم نسب حاشد.

و(وادعة) وتنقسم إلى قسمين : وادعة الشام وهي منضمة الى قحطان، وديارها بين نجران وخميس مشيط تلي يام من الشمال ، وهي سعودية، ووادعة اليمن، تلي يام من الجنوب مجاورة لوائلة ،ودهم وذوي حسين وذوي محمد وآل



---

(١) الإكليل ج ١٠ ص ٦ و٧ و٨ .

(٢) نفس المصدر ص ٢٨ .

(٣) ومن دومان هذا : أرحب ، قبيل كبير معروف اليوم باليمن .

مهدي، وكلها همدانية يمنية. ويوجد قسم صغير من وادعة في نجران، وهم متحضرون من زمن بعيد. وكانت وادعة تدعى في الجاهلية (عصارة المسك).

نسب وادعة: وادعة بن عمرو بن عامر بن ناشج بن دافع بن مالك بن جشم ابن حاشد، ونسب حاشد قد تقدم[1].

---

(١) الإكليل ج. ١ ص ٦٨ - ٧٤.

يام

وهذه هي القبيلة المعنية بدراستنا من كل همدان، وبعد أن مهدنا لدراستها بما تقدم عن همدان نقول:

نسب يام: هي يام بن أصبى -بالقصر- بن دافع بن مالك بن جُشَم بن حاشد[1]، فهي فرع من حاشد، وليس كما قال لي حسين أبو ساق: نلتقي نحن وجميع همدان في همدان بن زيد[2]. وأولد يام بن أصبى: جشم ومذكراً، وهما فرعا يام إلى يومنا الحاضر. (وانظر شجرة همدان المرفقة). وكان من يام رجال معدودون قادة وشعراء وعلماء في الجاهلية والاسلام، وكانت يام تدعى في الجاهلية (قتلة جبانها) وفي الإسلام (يام القِرى) ذلك أنهم كانوا يقتلون الرجل الجبان منهم حتى لا يولد له فيهم فيتفشّى الجبن بينهم[1].

فروع يام: تنقسم يام إلى فرعين كبيرين، هما: مذكر وجُشم.

١ - مذكر، وتنقسم إلى[3]:

أ - هشام بن مذكر، ومنه: وعِيْل، وعُجيم. ومن وعيل: آل فهّاد، وآل حـمد بن فاضل، وآل عمرو، وآل مُطْلِق، وآل فطيح (بالحاء) وآل رشيد، وآل العرجاء، وآل قنيبر، وآل حسن بن عيسى، وآل حسن بن فهاد، وآل عيدان، وآل دغيش، وآل صنيجة.

ومن آل مُطْلِق: آل مخلص، وآل عاطف، وآل زابن، وآل معجبة، وآل

---

(١) الإكليل ج ١٠ ص ٦٨ - ٧٤.

(٢) تقول يام: همدان بن زيد، وخولان بن عامر، وكلاهما خطأ.

(٣) الشيخ حسين بن جابر أبو ساق.

معمر، وآل راكة .

ومن آل فُطيح : آل طحفل، وآل شهوان، وآل عازم، وآل دُبيش .

ومن آل العرجاء: آل مرجع، وآل مُرْهِم ، وآل محسنة ،وآل سالم بن ناجع ، وآل مطرة،وآل قنيبر المتقدم، فانهم فرع من آل العرجاء ، ومن وعيل: عيال زايـد في حبونا، وفرع الجبل، وآل سفران .

عُجيم : الفرع الثاني من هشام بن مذكر، وهم العجمان الذي تقع ديارهم جنوب شرقي الرياض ، ولهم تأريخ حافل في الدولة السعودية ، ويقال للعجمان : أولاد مرزوق بـن علي ، ويقولون إن علياً هذا ابن هشام ، ولعل (عُجيم) لقب لعلي هذا .

ومن أهم فروع العجمان :(١) مرزوق، ومنه آل ابن حثلين : بيت إمارة العجمان، ومن فروعه : آل محفوظ، وآل خويطر، وآل معيض، وآل سليمان، وآل هتلان، وآل علي، وآل عامر .

(٢) وبَيْر : ومن فروعه: آل ريمة، آل ضاعن ، آل حماد، الأسلوم .

وقد ذكر الشيخ حمد بن ابراهيم الحقيل فروعاً اخرى لم تروَ لنا، فراجع كتابه « كنز الأنساب». ومن حواضر العجمان: آل عـساف أمراء الراس بالقصيم، وآل عـذل في الرس أيضاً، والغفالي -واحدهم غفيلي -وآل شارخ ، وآل رميح، وآل قرناس. كل هؤلاء في الرس ونواحيه. انقضت فروع العجمان وكذلك فروع هشام بن مذكر .

ب ـ واصل بن مذكر (وهو هبرة بن مـذكر المتقدم معنا) (انظر شجرة همدان) وهذا هو الفرع الثاني من مذكر، ومن فروعه :

(١) آل سالم، ومنهم: آل حمد، وآل زيد، وآل شِرْمة .

(٢) آل محمد بن شرية، ومنهم: آل مُنْجم، والدلاسعة، وآل زُنيم ، وآل حُمْير .

(٣) آل مُسعِد، ومنه: آل غانم بن علي، وآل زُوَيح .

(٤) آل زُعيرزع، ومنهم: الحامض ، وآل سُليم .

(٥) اليحامدة، ومنهم: آل ذيبان، والزبادين، وآل حمامة ،وآل مطير، وآل قايد .

(٦) ولْد مِرّة ومنه : آل زمنان أو زمانان، وآل مردف، والقشانين، وآل تايه وآل حامد، وآل قفيلي، ومن آل قفيلي : ولد بشر، وكبارهم آل حامد، المتقدم آنفاً .

وهذان الفرعان: هبرة وهشام، وفروعهما يقال لهم (آل فاطمة)، وفاطمة أم هبرة وهشام .والذي في نسب مذكر: هبرة ومواجد وألغز- كاحمر- وفيه ان هبرة ومواجد تحالفوا على أَلْغز فسموا الأحلاف، ولكن لا يستبعد ان يكون (اسم (أَلْغَز) لقباً لهشام بن مذكر، وكثيراً ما يغير الناس هذه الاسماء والالقاب ،فيام اليوم تقول ان هبرة اسمه واصل، وان هبرة لقب له لا اسم. وشيخة آل فاطمة في آل أبي ساق .

ج - مواجد بن مذكر: الفرع الثالث من مذكر بن يام اليوم، وهو كذلك الابن الثالث في نسب يام بن أصْبَى . ومن فروع مذكر:

(١) الأسلوم بن مواجد بن مذكر بن يام، وتنقسم إلى: الخفرة ، آل قُرَيْع ، آل عامر، آل مفلح، ومنهم: صُليع، وبنو هُميم. ومن الخفرة آل قعوان، شيوخ الاسلوم[١] .

(٢) آل الحسن، ومنهم: آل مهري، وآل غانم، وآل الحارث، وآل رزق، وآل ابا الطحين . انقضت فروع مذكر كافة. وشيخة (مواجد) في آل نصيب .

---

(١) عبد الرحمن بن ناجي آل قعوان روى هذا .

ويقول عبد الرحمن بن ناجي بن قعوان: إن شيخة مواجد كانت في ابن قعوان، وكانت بينه وبين آل سعود مواثيق وعهود، فلما غزا محمد علي الدرعيّة وساعدته يام تخلف ابن قعوان عنها، فعين المكرمي حسن بن هبة[1]، ابن نصيب على مواجد كافة، ومن يومها تحولت (شيخة) مواجد إلى آل نصيب .

٢ ـ جُشم، وهم: جشم بن يام بن أصبى بن دافع بن جشم بن حاشد، وبقية النسب قد تقدم، ويام اليوم يقولون : (جْشَم) فيسكنون الجيم والميم، وتسكين الجيم في أول الكلمة لحن واضح، كان لجشم من الولد: دؤ ل وصعب، وكان لدؤ ل سلمة فأنجب سلمة: سلمة بن سلمة، وذهل بن سلمة، والنمر بن سلمة. وقد بينا ذلك في الشجرة. فانقسمت جشم اليوم الى :

أ ـ ذهل، ومن فروعه :

(أ) بنو هندي، ومنهم: آل منصور، وآل حسن، وأبا لحارث (بلحارث) وآل سليمان وأهل خميس (ومنهم ابن منيف شيخ شمل جشم) .

ب ـ عيال سلمان، ومنهم: آل هنيلة، وآل سِدران، وآل مستنير، وآل سوار، وبنو علي[2] .

ح ـ آل مُرّة ،وتنقسم الى فرعين رئيسيين، هما: شبيب بن مرة، وعلي بن مرة، وتخلطهم بشر، ويقول الياميون: مرة خليط من يام .

ومن الفروع الصغرى فيها: آل فهيد، وآل هادي، وآل دمنان، وآل

---

(١) كذا في رسالة ارسلها إليَّ عبد الرحمن مطبوعة بالآلة الكاتبة ثم مصورة ، وفي كتاب تأريخ الدعوة الاسماعيلية أن حسن بن هبة الله تولى سنة ١١٨٩هـ الى سنة ١١٩٥هـ وهذا لا يكون ، لأن غزو محمد علي للدرعية كان في أول القرن الثالث عشر سنة ١٢٣٣هـ .

(٢) رواية حسين أبي ساق ، ولعلك ترى أنه قصر بفروع جشم عن مذكر كثيراً ، ولعل السبب معرفته بقبيلته أكثر من غيرها ، إذ هو كما تقدم من آل فاطمة .

زيدان، وآل حسن، كلهم في شبيب، وبعضهم من بشر .

والعينة واحدهم عيناني، وقد يقال: العيانين، وآل جابر، وابن نعام، وهؤلاء من علي بن مُرّة .

انتهت فروع جشم، وبها انتهت فروع يأم .

ديار يام

من أهم الذين اعتنوا بمنازل القبائل في اليمن: لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، وقد ركز في كتابه(صفة جزيرة العرب) على ذكر كثير من منازل قبائل اليمن ومن جاورها، بل وفي كثير من أصقاع الجزيرة العربية .

وإذا تتبعنا ما ذكره عن يام نجده يذكرها في مّوضعين متباعدين: أحدهما قرب مأرب، والآخر في نجران وحبونن، فقال في وصف ما حول مأرب: ثم بعد مأرب أودية لطاف الىالجوف-أي متجهاً شمالاً- مشاربها من شُرُفات ذي جُرَة ، ومن شرقي مخلاف خولان العالية، ومنها العَوْهَل الأعلى والعَوْهَل الأسفل وَحَمِص ، ويكون على هذه الأودية بنو الحارث بن كعب يسيمون النعم، الى أن يقول: ومساقط بلد عُذَر مطرة[1] وبلد يام وهيلان .

ثم يعلق على ذلك الاستاذ محمد الأكوع محقق الكتاب، قائلاً: يام، قبيلة من حاشد، ولا وجود لها اليوم في هذا الحيز، وانما يوجد جبلها الذي يدعى جبل يام[2] .

قلت: والذي أراه أن (يام) هذه يام عنس المذحجية لا يام حاشد الهمدانية والهمداني هنا لم ينسبها .

ويقول الهمداني وهو يصف سيل نجران: ويتقدم في شوكان من أعلى

---

(١) عُذَرمطرة قبيلة من حاشد من همدان .

(٢) صفة ج العرب ص ١٥١ .

وادي نجران فيسقيه وينتهي في الغائط[١]، ثم يعترض بين نجران وتثليث أودية مثل (حبونن)[٢] وغيره[٣] من بلاد وادعة وبلد يام وزبيد وبلد سنحان وبلد جنب الخ[٤] . .

وفي مكان آخر يتحدث عن وادي المنبج فيقول: إن فروعه من بلد يام القديمة وبلد مرهبة، وكلاهما من همدان[٥] وهذا صريح بأن يام كانت في الجنوب ثم تحركت شمالاً في زمن لم أر من حدده . وفي مكان آخر يصرح الهمداني لنا بأن يام الجنوب هي يام عنس، إذ يقول: بلاد مذحج بعد أن تخرج من ذمار متوجهاً نحو المشرق بقدر فرسخين أرض عنس وهي واسعة، حدودها من ناحية الشمال الثنية إلى بيكلى والطِّيبار وجيرة، إلى أن يقول :ومن ناحية المشرق ثات وبها اليوم من بطون عنس: النهديون ، والقرِّيون، واللميسيون، والياميون، وهم رهط أبي العشيرة اليامي[٦] . وهذه الديار هي عند التقاء اليمن بحضرموت، أي ما نسميه بالزاوية الجبلية حيث تلتقي السراة الممتدة جنوباً بالأخرى الممتدة غرباً .

وذكر في مكان آخر: أصحر جبل يام الى هيلان الى حريب. وهو لا يخرج عما قبله .

ثم يصرح بوجود يام في نجران، على أنهم ليسوا سكانه الرئيسيين، فيقول: ليام وطن في نجران نصف ما مع همدان منها ثم بلدهم يطرد عليها ناحية الحجاز الى حدود زبيد ونهد من ناحية حارة وما يليها وهي حارة[٧] وملاح

---

(١) الغائط حيث تنتهي سيول وادي نجران ، ويسمى اليوم (القاع) .

(٢) يقولون اليوم : حبونا ، وحبونة .

(٣) هما حبونن ويدمة ، وجميع الأودية الأخرى فروع لهما .

(٤) وادعة ، وسنحان وجنب ، هي اليوم فروع من قحطان .

(٥) صفة ج العرب ١٦٢ .

(٦) ص ج العرب ١٨٨ هـ .

(٧) لعلها (راحة) وكثيرا ما يحدث سبق القلم تغيرات في مثل هذه الأسماء ، وراحة اليوم لقحطان قرب ظهران الجنوب .

وسنحان فإلى ما يصالي خليف دكم من أعالي حَبونن، والحظيرة وبـدر وصيحان وقابل نجران وهداده .

وهذا صريح بقدم ديارهم الحالية، فكل من بدر وهدادة وسنحان روافد لحبونن، وكلها ليام. وفي مكان آخر يتحدث عن طرق الحج من حضرموت الى الحجاز ، فيقول :

أما محجتها السفلى فمن العَبَر في شئز صيهد الى نجران شبه من ثمانية أيام، ثم من نجران حَبَونن ، وهو واد يغيِّب في بلد يام من ناحية سحنان[1] .

وفي مكان آخر يذكر أن ليام زراعات في نجران وراحة، إذ يقول: من ذلك الذُّرة بنجران في قابل يام من ناحية رعاش وراحة يكون في قصبة الذُّرة مطوان وثلاثة واكثر[2] . أي ان القصبة من الذرة تحمل إلى ثلاث سنابل، وهذا ليس غريباً، ففي تهامة تجود الذرة بما لا يصدق به إلا من رآه .

ديارها اليوم :

تمكنت يام من نجران حتى أصبح قريناً لاسمها. فلا يذكر نجران إلا وتذكر معه، وكل من فيه وما فيه لها أو منضم إليها بالجوار والتبعية، وتوجد بطون كثيرة في نجران من غير يام يسمونها (بِيَع) أي باعة تجار، وسنتحدث عنهم بعد هذا .

فاذن ديار يام - حتى وان امتدت شرقاً وشمالاً مسافات بعيدة- فان عاصمتها نجران، وهو قلبها وسنامها، وما عداه صحار جرد إلا ما يوجد من واحات أو أودية مثل حبونن ويدمة .

ولا تبعد ديار يام جنوب نجران، إذ يحدها الجبل المشرف على نجران من

---

(١) صفة جزيرة العرب ص ٣٤٢ .
(٢) نفس المصدر ص ٣٦٠ .

الجنوب على شعوف جبل (رير) وعقبة نهوقة، ولا تبعد كثيراً شمالاً إذ تقف قبل ظهران الجنوب الذي يبعد عن نجران (   ) كيلاً، في الشمال الغربي، وتقف عند بدر أو وراءها بقليل على (   ) كيلاً، حيث تبدأ ديار قحطان، ولكنها تمتد شرقاً الى ما وراء شروري أي ما يقارب ٤٠٠ كيل من نجران، ويأتي امتدادها اللامتناهي في الشمال الشرقي حيث تأخذ على جنبات الربع الخالي من الشمال وتتوغل فيه حسب الحاجة، وتأخذ على السفوح الشرقية من جبل العرض جنوب طويق، ثم تأخذ في الامتداد الى ما وراء الخرج وربما أحاطت بالرياض من الشرق والشمال الشرقي ولكن ببعد في صحارى الدهناء، وتعرف هناك ببني مرة والعجمـان ، وقد تقدمنا في فروع يام، وتكاد قبيلة العجمان اليوم تعد منفصلة عن يام في نظر بعض الناس، ولكنها ترفض ذلك .

أهم أقسام ديارها: نجران، وحبونا ، ويدمة، وصيهد والربع الخالي، والدهناء . وسيأتي تفصيلها في بحث القسم الجغرافي للمنطقة .

القبائل المجاورة لقبيلة يام

وتوجد في نجران قبائل وبطون ليست من يام، ،منها ما هو همداني وغير همداني . فمن القبائل الهمدانية في يام فروع قال راويتنا انهم من ولد عبد الله، ولا أدري ولا أراه يدري من هو عبد الله هذا ! غير انه يدخل فيها من نجزم انه لا علاقة له بعبد الله. مثل وادعة كما سيأتي، ولم أجد على نسب همدان إلا عبد الله بن قادم بن زيد بن عريب بن جشم بن حاشد، فلعل تلك الفروع تحفظ انها من ولد عبد الله ولكنها لا تستطيع صلة النسب . قال راويتنا هي ثلاث قبائل بعضها منضم الى بعض بطون من يام :

١ ـ آل عباس، ومن فروعهم: آل حيدر، وآل نعمان، وآل حريد، وآل عُقيل، وآل جمهور، ورئيس هذا الفرع ابن حيدر. وتنضم آل عباس إلى الاسلوم بن مواجد بن مذكر بن يام، فيسمون (منصور) وهو اسم وضعوه للاجتماع وليس بنسب .

٢ ـ آل الشُّهَي : في بلدة نجران نفسها، ويتبعون بني جشم بن يام .

٣ ـ وادعة، وهي غير وادعة الشام المنضمة الى قحطان، وليست وادعة اليمن، بل قسم منها ، اذ انقسمت وادعة الى : وادعة الشام، ووادعة اليمن، ووادعة نجران، وهم متحضرون في البلد، ومن فروعهم ، آل دغرير، وآل غصنة، وآل نيسان . ولم يذكر راويتنا انضمام وادعة نجران الى أي فرع من يام .

الاشراف ذوو ناصر :

فرع من الأشراف الحسنيين جاءوا من الجوف باليمن في زمن لم يستطع الشريف أحمد بن طالب تحديده، ولكن يبدو ان الذي أتى هو الشريف ناصر بن حمد بن محمد بن الحسين بن علي بن القاسم بن الهادي، وينتهي نسبهم الى القاسم الرسي، وبنوه اليوم على (١٢) جيلاً، اي انه له من الزمن بعد نزول نجران قرابة(٥٠٠) خمسمائة سنة .

وتفرع من ناصر هذا ثلاثة فروع، هم : عبد الله بن ناصر، ويقال لذريته : آل حمد بن عبد الله بن ناصر. وآل محسن بن ناصر. وآل ياسين بن ناصر. وتفرع من آل محسن : آل أحمد بن محسن بن ناصر، وآل هِدران بن محسن بن ناصر. وسكنهم قرية خبيئة ، قرب صنعاء الأشراف. أما آل ياسين ففيهم فرعان : آل حمد بن عُجيم بن ياسين، وآل علي بن عُجيم بن ياسين. وقرية آل ياسين (صنعاء) إحدى قرى نجران، ويقال لهم أشراف صنعاء أما آل حمد بن ناصر فانقسموا إلى : آل عبد الله، وآل راكان .

وقريتهم عويرة، في نجران، ويقال لهم : أشراف عويرة. ويوجد لذوي ناصر أقارب في الجوف باليمن . وينقسمون الى مذهبين : مذهب زيدي، وهم آل حمد بن ناصر، ومذهب اسماعيلي، وهم بعض الاشراف الآخرين، علمت هذا من غير الاشراف أنفسهم، قال ذلك حسين أبو ساق، قال : منهم حنيف

وزيدي، فظننته يقصد مذهب أبي حنيفة، فقال: لا، وأكد ان الحنيف هو المذهب الاسماعيلي ! وصدق الله العظيم ﴿ كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ .

أسر متحضرة

ومن القبائل المجاورة ليام أسرة متحضرة تتعاطى التجارة والصنائع السائدة في البلد، ولما سألت أبا ساق عن أصولهم، قال (بِيَع) أي باعة، والبائع عند عرب الجزيرة أقل مكاناً من التاجر، ولكن القبائل لا تتمسك بحرفية مثل هذه الالفاظ ، فكثيراً ما يوقعون الباحث في أخطاء فادحة،فأنت تسأل ـ مثلاً ـ أحدهم عن قوم يجاورونه فيقول لك: هنود، أو يقول: صناع، أو : مالهم أصل !

ثم تكتشف أنه قال ذلك لأمر ما من أمور المتجاورين والمتعاصرين .

والذي يبدو لي أن بعض هؤلاء من أهل نجران الموغلين في القدم، قد تحضروا فنسوا أو ـ لأمر ما ـ تناسوا جذورهم، خاصة إذا علمنا أن سكان نجران القدامى بني الحارث بن كعب المذحجيين كانوا قد تعرضوا لحروب تشبه الابادة أجبرت الكثيرين منهم ـ لا شك ـ على النزوح عن بلادهم،والتصق بعضهم ـ كما هي عادة البشر في مثل هذه الظروف ـ بأرضهم وأملاكهم ، مضحين بالنسب والرفعة في سبيل المال والوطن .

وهذه الاسر هي :

١ ـ آل صُمَع .

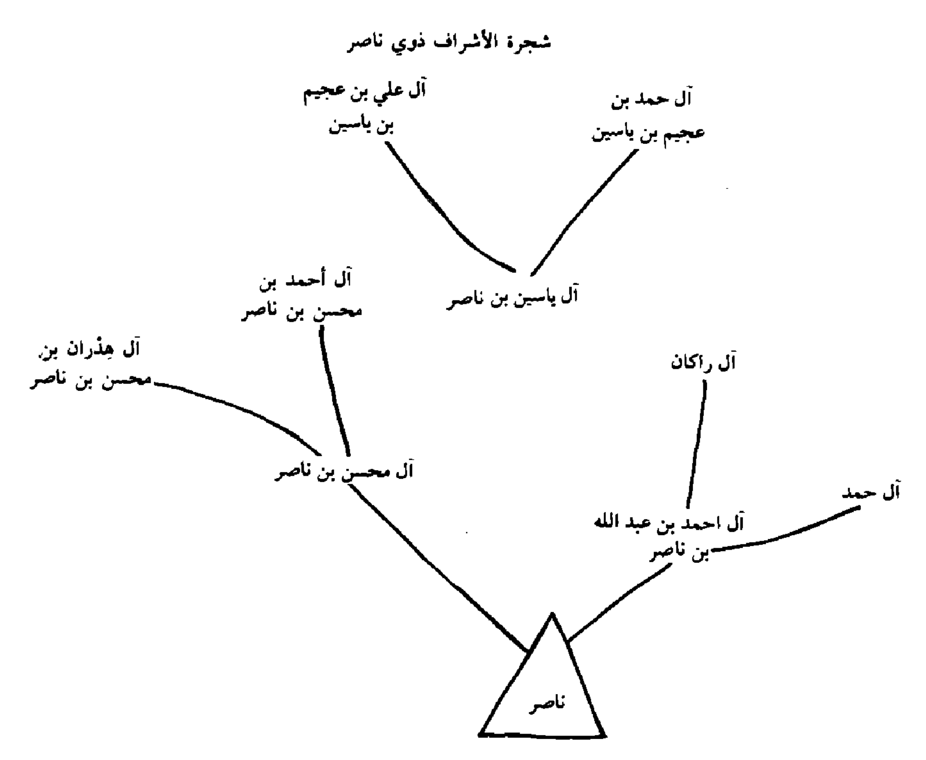
٢ ـ آل الخيوان .

٣ ـ آل رجب .

٤ ـ آل اسحاق .

٥ ـ آل مقبول .

٧ ـ الدواسر، جاءوا من وادي الدواسر .



الشريف ناصر بن حمد بن محمد بن الحسين بن علي بن القاسم بن الهادي بن محمد بن حمد بن الإمام المنصور عبد الله(١) بن حمزة بن سليمان بن الحمزة ـ كذا بخط أحمد بن طالب - ابن علي ابن حمزة بن الامام أبي هاشم(٢) بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم الرسي(٣) ابن ابراهيم بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن بن علي ،عليهم رضوان الله(٤) .

---

(١) احتل نجران ، وتوفي سنة ٦١٤ هـ (الأعلام) .

(٢) لم يذكره صاحب الأعلام .

(٣) نسبة إلى الرس : جبل غرب المدينة ، كان قد لجأ إليه ، توفي سنة ٢٤٦ .

(٤) من قائمة قدمها لي أحمد بن طالب ، وقد راجعت كثيرا منها على مراجع معتبرة فظهرت لي صحتها .

قبائل اخرى تجاور يام :

تجاور يام من الغرب ثلاث قبائل هي : خولان ، وجماعة، وسمار ، لها كثير من نواشغ نجران العلا كوادي العرض والأودية الآتية من صعدة، ويقول حسين أبو ساق : خولان بن عامر، وجماعة بن عامر، وسحار بن عامر . وليس الأمر كما قال، ولكن أهل نجران يغيرون كثيراً من أسماء آباء القبائل كقولهم: همدان بن زيد، وقولهم: نلتقي نحن وبطون همدان في همدان بن زيد، وقد تقدم معنا خطل هذا القول .

أما هذه القبائل الثلاث المتقدم ذكرها فصوابها الآتي :

١ ـ خولان : قال الهمداني في صفة جزيرة العرب[1]. خولان بن عمرو بن الحاف . وفي مكان آخر[2] يقول: وقال علقمة بن زيد بن بشر اخو بني صحار بن خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، يطلب المدد على هوازن وبني سُليم، ووصف البلاد التي سلكها من بلده الى صعدة ثم من صعدة الى صنعاء :

سقى طللاً بالجلهتين رعود وغر سوارٍ سيلهنّ مُجودُ
منازل من أم الحصين عهدتها تقادم منها العهد وهو جديد

وهي طويلة .

من هذا ترى ان خولان بن عمرو وليس ابن عامر .

أما قول الهمداني : أن خولان هذا من قضاعة ففيه نظر لم أتمكن منه، لأن الهمداني فصل أنساب خولان في الجزء الأول من الإكليل، وليس هذا الكتاب تحت يدي حين تأليف هذه الرحلة، وقد جهدت في الحصول عليه فلم يتيسر لي حتى في عدد من البلاد العربية، وقد وعدني أحد الاصدقاء بإعارته حتى إذا حان

(١) ص ٩٨ .

(٢) نفس المصدر ص ٣٨٥ .

وقت النظر فيه لم يفِ .

٢ ـ سحار: صوابها صحار، وقد تقدم معك في قول الهمداني : (أخو بني صحار بن خولان) . وفي مكان آخر يقول[١] وبوصان لبني جماعة من خولان ولبني رشوان بن خولان سراتها إلى دفا لبني ثور والابقور ورازح، ودفا لبني صحار بن خولان. وكل الفروع التي عددها من خولان . ونص في مكان آخر أن بني جماعة من خولان .

فاذا القبائل الثلاث ليست اخوة، إنما هي أصل وفرعان، كما انه لا وجود لعامر هنا ، وإن كان حتى من له علم بالنسب هناك سمعت يقول بهذا .

أما من الشمال فتجاور يام قبائل من مذحج في الجبل الاسود وما حوله وقد شملها اليوم اسم قحطان كما تقدم معنا، وأصبح الجبل الأسود يسمى « سراة عبيدة » .

قبائل منطقة شرورَى

في رحلتنا إلى شرورَى قلنا : إن أربع قبائل تلتقي ديارها هنا ، فتحدثنا فيما مضى عن إحداها ، وهي قبيلة يام ، أما القبائل اخرى فقد ذكر أنها : الكرب ، الصيعر ، ونهد . وهذه الثلاث تختلف عن يام فيما يأتي :

١ ـ تمت إلى بعضها بقربى النسب أو التحالف .

٢ ـ تلتقي ديارها عند شرورى والوديعة ، ثم تأخذ في الجنوب والجنوب الشرقي والجنوب الغربي متوغلة داخل حضرموت حيث توجد جذورها التي خرجت منها ، ومنازلها في الأصل .

---

(١) نفس المصدر ٢٥٠ .

الكـــرب

قبيلة الكرب ذات شهرة واسعة في هذه الصحراء ، لايدانيها فيها سوى جارتها (الصيعر) ويأتي اسمهما دائماً مقروناً بـاسم (الكرب والصيعر) حتى يخيل إلى السامع أنهما قبيلة واحدة. ولعلك تستغرب إذا عرفت أن الكرب هذه فرع من قبيلة أكبر منها تدعى (باحيان) ولكن لا يكاد يسمع أحد بباحيان هذه ، وأن باحيان فرع من قبيلة كبرى تملأ حضرموت ، تدعى (بلعُبَيد) بني العبيد ، ولها نظائر عند العرب مثل : بلحارث ، وبلقين ، وغيرها .

ويؤكد نسابو اليمن وحـضرمـوت وعلى رأسهم السيد علوي بن طاهر الحداد العلوي النسابة المؤرخ - يرحمه الله - أن بلعبيد هذه من كندة[1]، ولم أجد فيما بين يدي من كتب النسب من ذكر (الكرب) ولا باحيان . إنما أورد الهمداني شيئاً قد يستأنس به عن (عُبيد) سنذكره في أول الحديث عن فروع الكرب ، وبما أنه من المجزوم به ان الكرب من كندة ، أردت إعطاءك لمحة سريعة عن نسب كندة وديارها لتكون لديك فكرة عمن تقرأ عنه (الكرب) ولالحاق المعاصر بتراثه .

قال الهمداني[2]: قال علماء الصعديين[3] واصحاب السجل القديم سجل ابن أبان : إن مرتع بن معاوية بن كندي بن عفير أولد ثوراً وهو كندة ومالكاً (الصدف) .

وفي « نهاية الأرب »[4]: كندة قبيلة من كهلان ، وكندة هذا أبوهم واسمه

---

(١) قال هذا الشيخ هادون العطاس ، نقلاً عن السيد علوي .

(٢) الإكليل ج ٢ ص ١٤ ، وللهمداني اراء وأقوال في نسب أهل اليمن يخالف فيها مدرسة ابن الكلبي في كثير من الجذور .

(٣) أهل صعدة .

(٤) ٣٧٤ .

ثور ، وبلاد كندة باليمن ، وكان لكندة ملك بالحجاز (يقصد نجد الحجاز) واليمن .

وفي « الاشتقاق » لابن دريد[١]: ومن قبائل زيد بن كهلان ، وهو كندة واسمه ثور .

وفي « سبائك الذهب »[٢] : كندة بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ .

كانت منازل كندة بحضرموت ، ثم نزح منهم قبيل كبير إلى الحجاز فنزلوا نخلة الشامية ، حيث أحد روافد نخلة باسمهم (غمر ذي كندة) ويسمى اليوم وادي كندة ، وهو الذي ذكره عمر بن أبي ربيعة في شعره ، فقال[٣]:

إذا سلكت غمر ذي كندةٍ مع الركب ، قصد لها الفرقد
وحث الحداة بها عِيرها ، سراعاً ، إذا ما ونت تطردُ
هنالك ، إما تعزي الفؤاد وإما على أثرهم تكمد

ثم دارت حروب بينهم وبين العدنانية فجلت إلى نجد ، فكونت مملكة كندة ، كان من أشهر ملوكها : حجر بن عمرو الملقب بآكل المرار ، والمرار نبت شديدة المرارة ، قيل إن حجراً هذا اكله عند غيظه دون أن يشعر بمرارته . ومنهم الحارث بن عمرو ، وعمرو بن الحارث الملقب بالمقصور لاقتصاره على ملك أبيه وعدم زيادة رقعة المملكة ، ثم الحارث بن عمرو ، وحجر بن الحارث والد امرىء القيس الملقب بالملك الضليل . وحجر هذا آخر ملوكهم ، وقد كان حياً في أول القرن السابق للهجرة .

ويبدو أن كندة نجد كانت على صلة وثيقة بقومها في حضرموت ، إذ نجد

---

(١) ص ٣٦٢ .

(٢) ص ٥٢ .

(٣) ديوانه ص ٨١ .

امرىء القيس يذكر (دمون) في شعره وغيرها من القرى الحضرمية ، وأنه كان يتردد عليها ويلهو فيها[1].

وكانت لكندة أدوار في أحداث التأريخ ، في الجاهلية والاسلام ، وقد وفدوا على رسول الله ﷺ سنة ٩ هـ[2] وكان عليهم الأشعث بن قيس .

ثم ارتدت كندة نجد سنة ١١ هـ ، وكان لكندة خطة بالكوفة ، وشاركت كندة في قتل الحسين بن علي ـ عليهما السلام ـ وأصحابه سنة ٦٥ في كربلاء .

وجاء ذكرهم في حوادث سنة ١٢٢هـ[3]. وكانت كندة تبلغ مهر البنت مائة ناقة وأكثر ، وذلك لاعتزازها بشرفها .

وكان من بطون كندة العظيمة : السكاسك ، والسكون ، ومعاوية . ومن بني معاوية بن كندة ـ هذا ـ ملوك نجد بنو آكل المرار . ومن بطون كندة أيضاً : بنو تُجيب ، قبيل كبير . وكان من كندة من ينسأ الشهور لأنهم كانوا ملوك العرب ، فنسأ ثعلبة بن مالك ، ثم الحارث بن مالك وهو القلمس ، ثم ابنه سرير ، وقام الاسلام والنساءة في بني فقيم من بني ثعلبة وكان آخر من نسأ منهم ثمامة بن جنادة بن عوف بن أمية بن عبد بن فقيم .

بلعبيد

أتينا على لمح عن كندة تمكن القارىء من تتبع بطونها بفهم ، ومن هذه : بلعبيد باعتقاد من تقدم ذكرهم من النسابين ولوجودهم في ديار كندة القديمة ،

---

(١) على أن من النسابين من يرى أن كندة من معد ، فقالوا : أشرس أبو السكون والسكاسك ابني أشرس بن ثور بن عفير بن جنادة بن معد . « معجم ما استعجم » ص ١٨ ، وهذا القول ضعيف ، إنما قيل لسكنى كندة بالقرب من مكة مجاورة لمعد .

(٢) « الطبقات » ص ٣٢٨ .

(٣) « معجم قبائل العرب » (كندة)

(٤) ج ٢ ص ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ .

وجاء في « الإكليل » : أولد ألْمَى بن الصدف : عمراً والعواجب ، فأولد عمرو: الريان ودهفلاً، وأولد دهفل: قطبة، وأولد قطبة غانماً، فأولد غانم سعسماً ، فأولد سعسم عُبيداً . وبعده بقليل يقول : ـ برواية أخرى ـ أولد سعسم دهفلاً ، فولد دهفل عُبيداً .

وبنفس سياق النسب ، يقول : وولد حمار بن عُبيد أربعة رهط :

عبد الله وكاملاً وعبيداً وجليحاً . الخ .

من هنا استأنسنا بأن عُبيداً هذا ربما تحدر من هناك . والصدف على أرجح الأقوال ، هم بنو عمرو بن مالك أو مالك بن أشرس بن شبيب بن السكون بن أشرس بن كندة . وقال في « نهاية الأرب »[1] : هو مالك بن مراتع بن كندة ، وقال : ودعوتهم مع كندة . وقوله : مالك بن مراتع ، لا أراه شيئاً .

فروع بلعبيد :

وقد يقال أبا العبيد ، وبالعبيد :[2]

١ ـ سَلْم : ولم يفصلها لنا رواية بلعبيد، وقال : (إذا فسرت لك سلم لازم أذكر لك كل الحضارم الذين في مكة وجدة) . أي أن هذا الفرع تقع إقامته الرئيسية في حضرموت ، وأن جميع الجالية الحضرمية بالحجاز ـ أو جلها ـ هي من سلم هذا . وحبذت أن (يفسر) لي سلماً ، ولكن عائقاً عاقه عن ذلك .

٢ ـ باحَيَّان : الفرع الثاني من بلعبيد ، وكلمة (با) عند الحضارم ـ ولا توجد في غيرهم ـ تعني (أبو) ثم استعملوها منصوبة (أبا) فبنيت على السماع ، ثم حذفوا الهمزة الأولى تسهيلاً فصارت (با) ومن الجاليات التي تحمل هذا

---

(١) « نهاية الأرب » ص ٦١ .

(٢) رواية سليمان بن علي بن زيد الكربي ، ابن شيخ شمل الكرب ، امام أمير شروري .

الاسم في الحجاز : باخشب ، وبا محرز ، وبا معوضة ، وبالبيد ، وغيرهم كثير .

وتنقسم باحيّان إلى الفروع التالية :

أ ـ آل عمرو ومن فروعها : آل حنيش ، وآل الأعسم ، وآل ماخش ، وآل حمودش ـ كذا بزيادة الشين المعجمة في آخره ـ وآل صالح بن سالم ، وآل عِشان ، وآل البقية .

ب ـ آل حَيْد ، ومن فروعه : آل معمر ، وآل جبهة ، وآل هشام ، وآل موسى .

حـ ـ المشايعة ، ومن فروعهم : آل بازقور ، وآل الغضبان ، وآل محمد .

د ـ آل بريك ، ومن فروعهم : آل عبد الرحيم ، وآل سالم بن عمر ،وآل عقيل ، وآل فضل ، وآل بام ـ بالباء الموحدة ـ وآل أحمد .

ومن فروع آل صالح بن سالم من آل عمرو : آل دُلَيع ، وآل محمد ابن صالح ، وآل سالم بن علي ، وآل صينية ، وآل قاهران ، وآل فعفع .

هـ ـ الكُرَب ، والنسبةِ إليهم كربي ، هذه هي القبيلة التي عنينا بتفصيلها أكثر ، لشهرتها ، ولذا أفردنا لها فصلاً . ولم أجد للكرب ذكراً يعول عليه فيما بين يدي من مراجع ، وهذا قول تقدم ، ولكني رأيت علامة اليمن : محمداً الأكوع ، قال : والصيعر : قبيلة مشهورة إلى هذا العهد ، وتقرن بأختها (الكرب) فتقول العرب : الكرب والصيعر . ولم يزد على ذلك[1].

الكُرَب

والنسبة إليهم كُرْبي : بضم الكاف ، وسكون الراء ، وصيغة اسم القبيلة على زنة (زفر) ، وهي كما تقدم فرع من باحيان من بلعبيد أز أبا العبيد .

---

(١) « ذيل صفة جزيرة العرب » ص ١٦٨ .

وتنقسم الكُرَب إلى :

عيال الأسود ، وقال راويتنا : هو الفرع الرئيسي . وتنقسم عيال الأسود إلى :

١ ـ عيال سليمان ، ومن فروعهم : آل جُعَيْول ، وآل مسفر ، وآل الأصقع ، وآل الأفشع ، ويجمع آل الأفشع وآل الأصقع : آل عويرة ، وهي أمهم .

أ ـ ومن فروع آل جُعَيْول : آل زيد وآل محمد ، ومن آل زيد : آل علي بن زيد ، وآل سلم بن زيد . ومن آل محمد : آل فرج ، وآل باوزبور ـ بالزاي والباء الموحدة ـ وآل الأركب .

ب ـ آل مسفر ، من فروعهم : غالب ، وفرج ، وحُبَاك ، وصُرَّان. ومن غالب : آل الشكل وآل سالم ، ومن آل سالم هذا : الحسن ، وبوطان ، وآل منجوب .
ومن آل فرج بن مسفر : آل صُمكع ، والعُصيمي ، وَمُقيفط .
ومن آل صُرَّان : آل حليمان ، والوهران .

حـ ـ آل الأصقع ، منهم : آل كعلان ، وآل العويراء ، وآل الحُرّ .

د ـ آل الأفشع : آل الأعسم ، وآل القناص . ومن آل الأعسم : القطيان ، وآل حمد بن الأعسم . وهم يقولون : آل لَفْشَع ، وآل لَعْسم ، في الأفشع ، والأعسم .

والأفشع : الأفشح . وأهل هذه الديار فيهم قتمة في اللفظ، ولا تظهر الألف في أول الكلام إلا نادراً ، فهم يقولون : حْمَد في أحمد ، ونحو ذلك .

٢ ـ عيال سالم بن الأسود :

أ ـ القعطة ، والنسبة إليهم (قعيطي) .
ب ـ آل مخيريان ، أو آل مخير ، والنسبة إليهم مخيري .
جـ ـ آل ذبيان ، والنسبة إليهم ذبياني .

وهنا تواجهنا المشكلة المزمنة في رواة القبائل ، ويبدو أن راويتنا من عيال سليمان ، لذا استطاع أن يسهب في هذا الفرع ، ولكنه عندما وصل الفرع الثاني (عيال سالم) لم يستطع غير ذكر الفروع الكبيرة ، وكون البدوي يعرف خاصة قبيلته أمر بديهي ، ولكن تقصيره في القبائل المجاورة أمر مؤسف .

وبعد أن ذكر راويتنا عيال الأسود ، قال : وهذه فروع بقية الكرب من غير عيال الأسود :

١ ـ المطاحلة ، وفيهم : آل غانم ، وآل جمعان ، وآل الأقزع ، وآل مشارك .
٢ ـ الحُولان : واحدهم أحول ،
٣ ـ آل الأحمر .
٤ ـ آل دليع .
٥ ـ آل باثنية .

انتهت فروع الكرب ، وبانتهائها انتهت بلعبيد .

الصَّيْعَـــر

الصيعر ، والنسبة اليهم : صيعري ، بفتح الصاد ، وسكون الياء المثناة تحت .

نسبهم : قال الهمداني[1] ، ما خلاصته : الصيعر بن أشموس بن مالك ابن حُريم بن مالك (الصدف) والصدف على ما قدمنا في بحث كندة ، وفيه خلاف أراه يسيراً .

وقال الهمداني في مكان آخر[2] ، وهو يعدد فرق كندة وجيرانها : وفرقة من بلحارث بن كعب بَرَيْدة الصيعر ، وإليها تنسب الابل الصيعرية[3] والأشِلَّة الصيعرية[4] والصيعر قبيلة من الصدف تنسب إليها رَيْدة ليفرِّق بينها وبين ريدة أرضين[5]. من هنا ترى أنه لا غموض في نسب الصيعر كما في نسب اختها الكرب .

فروع الصيعر[6] :

تنقسم الصَّيْعر اليوم إلى قسمين رئيسيين ، هما : آل محمد بللَّيث ، وآل

---

(١) « الاكليل » ج ٢ ص ٢٦ وما قبلها .

(٢) « صفة جزيرة العرب » تحقيق الأكوع ص ١٦٨ ، ١٦٧ .

(٣) المقصود بالابل ـ هنا ـ النجائب ، وهي نوع من المطايا سريعة العدو خفيفة الحركة ، صبر على العطش والتعب ، ومن مشهوراتها عند العرب : العمانيات ، والمهريات ـ نسبة الى مهرة ، والحويطيات ، نسبة إلى قبيلة الحويطات ، والابل لا تنجب إلا في الصحاري القفر .

(٤) نوع من أثاث المطايا يوضع على أعجازها .

(٥) ريدات كثيرة ، أورد الأكوع طائفة منها في ذيل « صفة جزيرة العرب » ص ١٦٨ ، فراجعه إن شئت . .

(٦) رواية الشيخ صالح بن عوض بن جربوع شيخ شمل آل محمد بلليث من الصيعر .

علي بلَّليث .

١ ـ آل محمد بلَّليْث (بنو الليث) وتنقسم الى ثلاثة فروع :

أ ـ الهُجَمة ، وتنقسم إلى قسمين : المسادسة ، والكنادشة ، وتنقسم المسادسة إلى : آل حاري ، وآل سعدان ، وآل قائد ، وآل سويد . وتنقسم الكنادشة إلى : آل عون بن كندش ، وسلامان بن كندش والدعالجة . ومن آل عون بن كندش حُتيش وآل غانم . ومن آل سلامان : آل عون بن سلامان ، وآل علي بن سلامان . ومن عَون بن سلامان : آل علي بن عون ، وآل معروف بن عون . ومن آل معروف بن عون : آل غضبان ، وآل سلامان بن معروف ، وآل بصيّص بن معروف .

وتنقسم آل علي بن سلامان بن كندش إلى : ابن جربوع ، وفيهم شيخة آل محمد بلليث ، ومنهم راويتنا عن جميع الصيعر ، وابن حوالان ، وابن الدلخ ، وابن دحيان .

ب ـ آل خشيمة ، ومن فخوذهم : آل عبد الله بن عون ، والعساكرة ، وآل عبيدون (كذا ولعله عبدون) . وآل فرج ،وآل خشيدل .

ومن آل عبد الله بن عون : آل حرمل ، وآل قريم .

حـ ـ آل الليث بن عمرو ، ومن أفخاذه : آل شُمَيل ، والصقعان .

ومن بطون الصقعان : آل سعدون ، وآل عوض بن محمد ، وآل بعران ، وآل رُبيّع .

٢ ـ آل علي بلليث : القسم الثاني من قبيلة الصيعر ، وينقسم إلى قسمين . . الكسالين ، وآل مسلَّم :

أ ـ الكسالين ، ومن فروعهم : آل علي ، وآل مبارك . ومن آل علي : آل الأفنخ ، وآل قردود ، وآل محمد بن علي ، والزبابنة . ومن آل مبارك :

المزاريع ، وآل مكوّم ، والأشموس .

ب ـ آل سُلَّم ، ومن فروعهم : آل عِذْرب ، وآل قروان .

ومن آل عِذْرب : آل باراح ، وآل باقي مسلم (كذا روي) والسمادعة .

ومن آل قروان : آل علي بن قروان ، وآل دومان ، وآل قروان الأصغر ، وآل حبران ، وآل هديب . ومن آل قروان (الثاني) الأصغر : آل رميدان ، والمواشحة ، وآل هذال ، وآل عدانة .

قبائل تلتحق في الصيعر رأساً

١ ـ آل محفوظ ، ومن بطونهم : آل عمرو بن محفوظ ، والمراشدة ، وآل طيران ، والقعاوشة ، وآل الشيبة ، منهم الشيخ سالم بن أحمد بن محفوظ ، الغني الكبير صاحب البنك الأهلي التجاري ، وله إحسان ولطف ، مشهور بأعمال البر .

٢ ـ الدحابجة ، ومن فروعهم : الدهاملة (دهيملي) وآل خميس .

يقال : إن ليثاً ودحباجاً ومحفوظاً أبناء الصيعر ، هذا متوارث حسب قول راويتنا .

توابع محمد بلليث :

ثم استدرك الشيخ صالح بن جربوع فقال : وهذه قبائل تتبع آل محمد بلليث ، أي أنها ليست من صلب النسب ، وهي :

١ ـ اليحايين (بنو يحيى) ومن فخوذهم : آل جَنْب ، وآل حديل .

٢ ـ المحارقة ، ومن أفخاذهم : آل عيَّاف ، وآل سبعان ، والملاقيط .

آل اســحاق :

وأراد الشيخ صالح أن يدخل آل اسحاق في الصيعر ، ولكن أمير شرورى انتهره وعنفه ، وكثر الجدل ، فقلت : يهمني أن أقيد هذه القبيلة ، وأرجو أن يكون الراوي أميناً مع نفسه أولاً ، ثم مع من يسترويه . فقال الشيخ صالح : هم

جيران الصيعر ، ونسبتهم (فقراء). والحقيقة أن في الجزيرة أسراً منتشرة لا يكاد يحيط بها علم شخص تتعدد أسماؤ ها ويتخذ الكثير منها ميزات ، مثل عدم تزويج بناتهم لعامة الناس ونحوه ، من هؤلاء نجد : الفقهاء والفقراء ، والمشاييخ ، والصُّلاّح ، والأولياء ، إلخ . وجاءت هذه الميزات من انتشار آل البيت وأبناء الصحابة والأنصار ، ومن يمت إلى النبي ﷺ بصهر أو نسب هاشمي أو قرشي ، فكان يسمى الرجل منهم فقيهاً أو صالحاً أو ولياً ، أو يلقب نفسه بالفقير إلى الله ، ثم تحج هذه الألقاب على الذرية فينسون أصولهم مع احتفاظهم بميزة الترفع وعدم التكافؤ . وعدم التكافؤ في الزواج قال به الشافعي رضي الله عنه ، وأبو حنيفة ،وقصراه على بني هاشم ثم قريش ، وعداه بعضهم إلى كنانة ، كجذر من جذور قريش ، ولما شاع ذلك وطبقه بنو هاشم شايعهم فيه أقوام ليست لهم ، مثل بعض الأنصار رضي الله عنهم ، ومثل عدوان بالطائف ، وغيرهم . ويظهر أن معظم (الذين انتشروا في الجزيرة من أبناء الصحابة شايعوا هذه الأسر في تطبيقه[1]) .

فروع آل اسحاق :

آل شيبان ، وآل حمدان ، وآل ربيع ، وآل النهم ، وآل عقيل ، والغشاليق .

---

(١) في كتابي «الرحلة النجدية» حاولت أن أدحض هذه الميزات ، وخاصة في هذا العصر الذي أصبح الامتياز فيه للعلم ، فتلقيت مكالمات ورسائل من أخوة عرب أقحاح يرون خلاف ما أرى .

نهـــد

ألمحنا فيما مضى إلى أن نهداً هي القبيلة الرابعة التي تلتقي منازلها عند شرورى ، وهي والصيعر يد واحدة على من سواهما ، فإذا كانت الكرب أخت الصيعر ـ كما قدمنا قول الأكوع ـ نسباً أو قرينتها لفظاً ؛ فإن نهداً حليفتها وصيحتها دون الكل .

فمن هي نهد هذه ؟ ما نسبها وأين كانت ديارها ؟؟ .

جميع ما لدينا من القرائن وكل ما يعتقده النسابون هو أن نهداً هذه هي نهد القضاعية ، لا يشوب ذلك إلا ما ذكره العلامة الأكوع في حاشية الجزء الثاني من كتاب « الإكليل »[1] .

وما ذكره الهمداني في « صفة جزيرة العرب »[2] ولكن العلامتين اليمنيين جاءا بعد اختلاط القبائل وتماوجها بعضها في بعض بسبب كثرة الحروب ، وكثرة الحروب تسبب الهجرة والتحالف والتداخل ، وقد ساق لنا الهمداني أمثلة كثيرة وها هو يقول لك : آل فلان من ولد فلان وهم اليوم يتبكلون (أي يدعون) نسبهم في بكيل ، وآل فلان يتمذحجون . إلخ ولتعرف شيئاً عن نهد في الماضي

---

(١) قال العلامة محمد بن علي الأكوع الحوالي محقق الجزئين الأول والثاني من كتاب الإكليل للهمداني : رخية ـ بالفتح ـ بلاد واسعة تحمل هذا الاسم إلى عهدنا هذا ، وهي من أوائل حضرموت من جهة اليمن ، يسكنها بعض قبائل نهد من حمير والمشايخ آل باوزير . ولم يزد على هذا . قال ذلك في حاشية ص ٢٦ .

(٢) قال الهمداني ص ١٨٨ : . . . ومن ناحية المشرق ثات وبها اليوم بطون عنس (من مذحج) النهديون والقريون ، واللميسيون واليامیون .

وتشاركنا الاستنتاج لا بد من معرفة شيء عن قضاعة القبيلة الأم ، فنهد هذا ابن زيد بن ليث بن سود بن أسلـم بن إلحاف بن قضاعة .

نسب قضاعة

اختلف في نسب قضاعة ، فقائل يقول : هي من حمير ، وآخر يقول : هي من معد بن عدنان. وقال آخرون: تزوج معد أم قضاعة وهو في حجرها، فنشأ في بيت معد فعد من ولده وليس كذلك . قال القلقشندي في « نهاية الأرب »[1]: هم بنو قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير ، هذا هو المشهور فيه ، وعليه جرى ابن الكلبي وابن إسحاق وغيرهما . وعلى هذا خرجه صاحب « سبائك الذهب »[2]. وذهب بعض النسابين إلى أن قضاعة من العدنانية ،ويقولون: هو قضاعة بن معد بن عدنان، قال ابن عبد البر : وعليه الأكثر[3].

وما يجدي في الموضوع هو ما نقله أبو عبيد البكري في مقدمة معجمه (معجم ما استعجم) عن ابن الكلبي ، وأورد لمعاً منه ياقوت في مواضع ، وإني لمختصر لك منه ما لا يمل باطالته ، ولا يخل بقصره ، وفيه ترى تقلب القبائل في تلك العهود وكيف تتنافر وتتآلف وفقاً لمصالحها وأمنها ، وأنها صورة لا تختلف عن صورة الدول اليوم ، في مشاكلها وخصوماتها وتحالفها وتفككها .

قال[4] : فاقتسمت ولد معد بن عدنان هذه الأرض[5] على سبعة أقسام : فصار لعمرو بن معد بن عدنان، وهو قضاعة، لمساكنهم ومراعي أنعامهم :

---

(١) ص ٣٦٦ .
(٢) ص ١٩ .
(٣) نهاية الأرب ص ٣٦٦ .
(٤) ص ١٧ - ٤٣ .
(٥) يقصد أرض الحجاز وتهامة فيما حول مكة وجدة .

جُدَّة ، من شاطىء البحر وما دونها إلى ذات عرق الى حيز الحرم ،وبجُدّة ولد جدة بن جَرم بن رَبّان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وبها سُمِّي .

وكان لجُنادة بن معَدّ : الغَمْر غمر ذي كندة وما صاقبها ، وبها كانت كندة في دهرها الأول ،ومن هنا احتج القائلون في كندة ما قالوا[1] .

فنزل أولاد جُنادة هنالك ، وهو أشرس : أبو السكون والسكاسك ابني أشرس بن ثور بن جنادة ؛ وكندة بن ثور بن جنادة . . الخ .

وصار لمضر بن نزار : حيز الحرم إلى السروات . وصار لربيعة بن نزار : مهبط الجبل من غمر ذي كندة ، وبطن ذات عرق وما صاقبها من بلاد نجد ، إلى الغور من تهامة .

وصار لإيّاد وأنمار[2] ابني نزار : ما بين حد أرض مضر ، إلى نجران وما ولاها[3] .

وصار لقَنَص بن مَعَدّ وسنام بن معد وسائر ولد معد : أرض مكة ، ومعهم بقايا جرهم .

ثم وقعت الحرب بين بني معد ، وأول حرب وقعت بينهم : أنّ حَزِيمة بن نهد بن زيد ، كان يتعشق فاطمة بنت يذكر بن عَنَزَة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد[4]، وكان اجتماعهم ـ أي بنو معد ـ في محلة واحدة ، وتفرقهم النُّجَع

---

(١) أي أن كندة عدنانية ، وهو ما ألمحنا إليه فيما تقدم .

(٢) هذا على أن أنماراً هو ابن نزار ، وقد تقدم الاختلاف في نسبه .

(٣) كانت إياد حول الحرم ، وهنا وقعت الحرب بينهم وبين اخوتهم ربيعة ومضر فأجلوهم ، أما أنمار فقد كانت في السراة الواقعة جنوب شرقي مكة حيث بجيلة كانت ، وتمتد ديارهم على نواشغ الليث وحلية ومعالي بيشة ، ولكنها بعيدة عن نجران .

(٤) عنزة اليوم من أكبر قبائل العرب . أنظر كتابي (معجم قبائل الحجاز) .

فيظعنون ، فقال حَزِيمة :

إذا الجوزاء أردفت الثريا ظَنَنْتُ بآل فاطمة الظنونا
ظننت بها وظن المرء حُوبٌ وإن أوفى وإن سكن الحَجُونا
أرى ابنة يذكرٍ ظعنت فحلّت جنوب الحزن يا شَحْطاً مُبينا[1]

فبلغ شعره ربيعة ، فرصدوه ، حتى أخذوه فضربوه ، ثم التقى حَزيمة ويذكر ، وهما ينتحيان القَرَظ ، فوثب حزيمة على يذكر فقتله ، وفيه تقول العرب : (حتى يؤب قارظ عنزة) فسئل حزيمة عن يذكر ، فقال فارقني ، فلست أدري أين سلك . فاتهمته ربيعة ، ولم يتحقق أمرُه فيؤخذ به حتى قال حَزيمة :

فتاة كأن رضاب العصير بفيها يُعلُّ به الزنجبيل
قتلتُ أباها على حُبِّها فتبخل إن بخلت أو تنيل

فاجتمعت نزار بن معد على قضاعة ، وأعانتهم كندة ، واجتمعت قضاعة ، وأعانتهم عَكٌّ[2] والأشعرون (الأشعريون) ، فاقتتل الفريقان ، فقُهِرت قضاعة ، وأجلوا عن منازلهم ، وظعنوا منجدين ، فسارت تيم اللات بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وفرقة من بني رفيدة بن ثور بن كلب بن وَبَرَة ، وفرقة من الأشعريين نحو البحرين[3] حتى وردوا هَجَر[4] ، وبها يومئذ قوم من النبط فأجلوهم ، فقال مالك بن زهير :

نزعنا عن تهامة أي حيٍّ فلم تحفل بذاك بنو نزار
ولم أكُ من أُناسكم ولكن شرينا دار آنسةٍ بدار

---

(١) الحزن : موضع شرق المدينة .
(٢) عك قبيل من الأزد ، وقال بعضهم : بل عك أخو معد من العدنانية .
(٣) كان اسم البحرين يطلق على الشاطىء الغربي لبحر فارس (الخليج العربي اليوم) .
(٤) تسمى اليوم الهفوف أو الحسا .

فلما نزلوا بهجر تتنخوا فسموا تنوخاً[١].

ولحق بهم قوم من الأزد ، فصاروا في تنوخ .

وخرجت فرقة من بني حلوان بن عمران ، يقال لهم بنو تزيد بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، فنزلوا عبقر من أرض الجزيرة[٢].

وسارت سليم بن عمرو بن الحاف يقودها الحِدْرِجان بن سَلَمة حتى نزلوا ناحية فلسطين ، على بني أُذينة بن السَّمَيْدع ، من عاملة . وسارت أسلم بن الحاف : (عذرة ، ونهد ، وحوتكة ، وجهينة ، والحارث بن سعد) . حتى نزلوا من الحجر إلى وادي القرى[٣].

ونزلت تنوخ بالبحرين سنتين . ثم ارتحلوا حتى نزلوا الحيرة ، فهم أول من اختطها ، فأقاموا بها زماناً ، ثم أغار عليهم سابور الأكبر (سابور الجنود) فقاتلوه ، وكان شعارهم يومئذ : (يا لعباد الله) فسموا العباد ، وهزمهم سابور فسار معظمهم إلى الحَضْر من الجزيرة[٤]، يقودهم الضَّيْزن بن معاوية التنوخي . وأغارت حمير على بقية قضاعة ، فخيّروهم بين أن يقيموا على خراج يدفعونه إليهم أو يخرجوا ، فخرجوا ، وهم : كلب وجرم ، والعلاف ، وعلاف : لقب رَبَّان ، . . فلحقوا بالشام .

وقال ابن شبّة : ثم ظعنت قضاعة من غور تهامة بعدما كان من حرب بني نزار لهم ، وساروا منجدين ؛ فمالت كلب بن وَبَرَة بن تغلب بن حلوان بن عمران

---

(١) تنخ إذا أقام بالمكان ، فهو تانخ ، والقوم تنوخ .

(٢) الجزيرة ـ هنا ـ ما يكتنفه نهرا دجلة والفرات ، ويقال الجزيرة الفراتية ، وغير : ما يكتنفه نهرا النيل الأبيض والنيل الأزرق بالسودان ، وجزيرة العرب .

(٣) الحجر ووادي القرى متقاربان ، وما بينهما لا يسع قبيلة ، إنما أراد : وما حولهما .

(٤) الحضر : بناء لا زال معروفاً على الضفة اليمنى لنهر الثرثار بالجزيرة في موقع متوسط بين دجلة والفرات . (البادية للراوي) .

بن الحاف بن قضاعة إلى حضن والسي وما صاقبه ، غير شُكْمْ اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب ، فإنهم انضموا إلى فَهم بن تيم اللات بن أسد بن وبرة ، وصاروا معهم ، ولحقت بهم عصيمة بن اللّبْو بن أمر مناة بن فتيئة بن النمر بن وبرة فانضمت إليهم ، ولحقت بهم قبائل من جَرم ابن رَبَّان فثبتوا معهم بحضن فأقاموا هناك وانتشرت قبائل قضاعة في البلاد[1]. ثم افترقت قضاعة فرقاً أربعاً : فسارت قبائل من سَليم وأخرى من بقية قضاعة ، إلى أطراف الشام فانضمت إلى ظرب بن حسان بن أُذَينة بن السميدع بن هَوْ العمليقي[2] وكان ملك العرب بالشام ، فأنزلهم مناظر الشام من البلقاء إلى حُوَّارين . ثم صاروا مع الزباء بنت عمرو بن ظرب المذكور ، فلما قتلها عمرو بن عدي بن نصر اللخمي[3]، استولوا على الملك بعدها ، فلم يزالوا ملوكاً على تدمر وما والاها حتى غلبتهم غسَّان . ثم سار عمرو بن مالك التزيدي في تزيد وعِشْم ابني حلوان بن عمران ، وجماعة من عِلاف ، وهورَبَّان بن حلوان ، وهم عوف وجرم ابني ربَّان ، إلى أطراف الجزيرة .

وسارت بَليٌّ وَبَهْراء وخولان ، بنو عمرو بن الحاف بن قضاعة ، ومَهْرة بن حيدان ومن لحق بهم إلى بلاد اليمن ، فوغلوا فيها ، حتى نزلوا مأرب : أرض سبأ ، بعد افتراق الأزد منها . ثم اقتتل القوم بسبب عبد لاراسة بن عامر ، من بلي ، قتله زيد اللات بن عامر ، فتفرقوا . فتقول قضاعة : إن خولان أقامت باليمن ، فنزلوا مخلاف خولان ، وإن مَهرة أقامت هناك ، وصارت منازلهم الشِّحْر ، وإنه مهرة بن حيدان بن عمران بن الحاف ، وإنه خولان بن عمرو بن

---

(١) معجم البلدان (حضن) وعن جميع المواضع الحجازية أنظر (معجم معالم الحجاز) فقد استوفاها .

(٢) ويروى هوثر ـ بالثاء ـ من ذرية السميدع ملك قاطوراء اخوة جرهم ، وكانوا قد نزحوا من مكة إلى الشام ، ومن ذريته الزباء ملكة تدمر .

(٣) قيل : إن الزباء لما شعرت بقوة تريد القبض عليها ليقتلها عمرو ، التهمت سماً ، وقالت : (بيدي لا بيد عمرو) . فضرب مثلاً ، فماتت منتحرة لا مقتولة .

الحاف . ويأبى نُسَّاب اليمن ذلك[1]، فيقولون : هو خولان بن عمرو بن مالك بن مرة بن أُدَد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ . ولحق عامر بن زيد اللات بن عامر بن عَبيلة بسَعْد العشيرة ، فبنو زيد اللات فيهم ، فيقولون : زيد اللات بن سعد العشيرة . قال المثلَّم بن قُرط البلوي :

ألم تــر أنّ الحي كـانــوا بغبـطة ... بمـأرب إذ كـانــوا يحلونهـا مَعَـا
بــليٌّ وبــهــراءٌ وخــولانُ إخــوةٌ ... لعمرو بن حاف فرع من قد تفرعا
أقـام بهـا خـولان بعـد ابن أُمِّــه ... فأثرى لعَمْـري في البلاد وأوسعـا
فلم أر حيـاً مـن معـد عـمـارةً ... أجـل بـدار العــز منا وأمنعـا[2]

وانصرفت جماعة من تلك القبائل راجعين إلى بلادهم من تهامة والحجاز فقدموها ، وتفرقوا فيها ، فنزل ضبيعة بن حَرَام بن جُعَل بن عمرو بن جشم ـ إلى بلي ـ بين أمج وغران[3]، فطرقهم السيل وهم نيام ، فذهب بضبيعة وإبله ، فقالت نائحته : (سال الواديان ، أَمَج وغران[3]، فذهبت بضبيعة بن حرام وإبله الدجحان) . فتحول ولد ضبيعة إلى المدينة ، وهم سَلَمة بن حارثة ، وواثلة بن حارثة ،والعجلان بن حارثة ، بنو ضبيعة المتقدم ، فحالفوا الأنصار ، فاستوبأوا المدينة فتحولوا إلى : الجندل ، والسقيا[4]، والرحبة . ونزل بنو أُنيف بن جَشم ، من عَبيلة قباء ، ونزلت أحياء كثيرة أخرى المدينة ، فدخلوا في الأنصار . وأقام بِمعدِن سليم فَرَّان بن بليّ ، في طائفة من بلي ، وهم بنو الأخثم بن عوف بن حبيب بن عصية بن خفاف ـ من سليم ـ وهم الذين يقال لهم :

---

(١) وجاء الهمداني ـ من نساب اليمن ـ بعد ذلك فأثبته ، ولعله تأثر بهذه الرواية ، وإلاَّ فإن أهل اليمن الأقدمين أعلم بأنسابهم .

(٢) نستشهد بهذا الشعر على : ١ ـ أن الذين بمأرب هم خولان قضاعة ـ وقد نفى هذا الهمداني ـ ٢ ـ إن قضاعة من معد لا من حمير .

(٣) في الأصل : عروان ، وهو خطأ .

(٤) هي قرب ساحل البحر غرب وادي القرى ، وليست بين تيماء والمدينة ، ولا زالت من ديار بلي . أنظر : معجم معالم الحجاز ، ورحلات في بلاد العرب ، للمؤلف .

القيون ، ويزعمون أن أصلهم من بَليّ ، مع أناس وجدوهم هناك من العاربة الأولى ، من بني فاران بن عمليق . ونزلت قبائل من بلي أرضاً يقال لها شغب وبَدَ ، وهي فيما بين تيماء والمدينة[1] ، فلم يزالوا بها حتى وقعت الحرب بين بني حِشنة بن عُكَارمة بن عوف بن جشم بن ودم بن هميم ـ إلى بلي ـ وبين الرَّبَعة بن معتم بن ودم ـ هكذا قال ابن شَبَّة ـ وإنما الرَّبَعة ولد سعد بن هيم بن ذهل بن هني بن بلي . فقتلوا نفراً من بني الرَّبَعة ، ثم لحقوا بتيماء ، فأبت يهود أن يدخلوهم حصنهم وهم على غير دينهم ، فتهودوا ، فادخلوا ، فكانوا معهم زماناً ، ثم خرج منهم نفر إلى المدينة، فأظهر الله الاسلام وبقية من أولادهم بها . ولحق إخوة عامر بن زيد بمذحج ـ في اليمن ـ فانتسبوا في سعد العشيرة ، فقال : هو زيد اللات بن سعد العشيرة . ولحق الديل وعوف وأشرس ، بنو زيد ابن عامر بن عَبيلة ، في بني تغلب ، فقالوا : نحن بنو زيد اللات بن عمرو بن غنم بن تغلب .

وكان أول من طلع من قضاعة إلى ارض نجد فأصحر في صحرائها : جهينة ونهد وسعد هذيم ، بنو زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة ، فمر بهم راكب ، فقال لهم : من أنتم ؟ فقالوا : بنو الصحراء . فقالت العرب : هؤلاء صُحار ، اسم مشتق من الصحراء[2] .

وقال زهير بن جناب الكلبي :

فما إبلي بِمُقتَدر عليها ... ولا حلمي الأصيل بمستعار
ستمنعها الفوارسُ من بليٍّ ... وتمنعها فوارس من صحار
ويمنعها بني القين بن جَسْر ... إذا أوقدتُ للحدثان ناري
ويمنعها بنو نهد وجرم ... إذا طال التجاول والغِوار

---

(١) هي قرب ساحل البحر غرب وادي القرى ، وليست بين تيماء والمدينة ، ولا زالت من ديار بلي . أنظر : معجم الحجاز ، ورحلات في بلاد العرب ، للمؤلف .

(٢) قد تقدم معنا أن قبيلة قرب نجران تدعى صحاراً ، ونسبها في خولان .

وقال حاجز الأزدي : في حرب كانت بين الأزد ومذحج وأحلافها ، وهو يعني نهد بن زيد ، وقد ضم إليهم جرم بن ربّان بن حلوان ، وكانت نَهْد وجَرْم حلفاء ، وكانت جرم قد أصحرت فأقامت بنجد[1]:

فجاءت خثعمٌ وبنو زبيد ... وَمَذْحِج كلها وابنا صُحار
فلم نشعر بهم حتى أناخوا ... كأنهم ربيعة في الجمار

وكان نهد كثير الولد ، وقد عمَّر عمراً طويلاً ، وله من الولد أربعة عشر ذكراً : مالك ، وحزيمة ، وعمرو ، وهو الذي كان يقال له كبد بني نهد ، وزيد ، ومعاوية ، وصباح ، وكعب ، وحنظلة ، وعائر ، وعائذة ، وجشم ، وشبابة ، وأَبَان ، وعائذة . ورحلت جهينة بن زيد بن ليث بن أسلم بن الحاف ابن قضاعة ، إلى جبالهم وحلوا بها[2]، وتلاحقت قبائلهم وفصائلهم فصارت نحواً من عشرين بطناً . ثم ظعنت ـ بعد جهينة ـ سعد هذيم ونهد ، ابنا زيد بن ليث بن اسلم بن الحاف ، فنزلوا وادي القرى والحجر والجناب ، وما والاهن من البلاد ، ولحقت بهم حوتكة بن سود بن أسلم ، وفصائل من قدامة بن جرم بن ربَّان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وبنو مَلَكان بن جرم ، غير شُكْم بن عدي بن غَنْم بن مَلَكان بن جرم ، فنزلت هذه القبائل تلك البلاد ، فلم يزالوا بها حتى كثروا وانتشروا ، فوقعت بينهم حرب ، فأخرجوا نهداً وحوتكة وبطوناً من جرم ، ونفوهم ، وكان رئيس سعد بن زيد ـ وفيها العدد والقوة ـ رزاح ابن ربيعة بن حرام بن ضنة بن عبد بن كبير بن عُذْرة بن سعد بن زيد ، وهو أخو قصي بن كلاب لأمِّه[3] وسارت قبائل نهد وجرم إلى بلاد اليمن : مالك،

(١) إذا كان نجد اليمن فنعم ، لأن نهداً وجرماً كانت قد نزلت أرض مذحج قرب جرش .

(٢) هي : الأشعر والأجرد ورضوى ، ومن أضاف إليها قدساً وأرة فقد وهم، فتلك ديار مزينة ثم حرب ، ولم تنزلها جهينة مدى الدهر .

(٣) هو الذي جمع قضاعة فساند بها قصياً في مطالبته بملك مكة حتى ملكه ، وقد اغتاظ قصي لاجلاء رزاح بعض قضاعة ، وله في ذلك شعر .

وحزيمة ، وصباح ، وزيد ، ومعاوية ، وكعب ، وأبو سود[1] ، فجاوروا مَذْحِج في منازلهم من نجران ، ونزلوا منها أرضاً تلي السراة ، يقال لها (أُدَيم) وغلبوا على بعض البلاد ، فناكرتهم طوائف من مذحج وطمعوا فيهم ، فقال عبد الله بن هثم النهدي :

لأخرجن صُريماً من مساكنها والمرَّتين وهمّامَ بن سيَّار
لم أدر ما يَمن وأرض ذي يمن حتى نزلت أديماً أفسح الدار

وقال عمرو بن معدي كرب الزبيدي :

لقد كان الحواضر ماء قومي فأصبحت الحواضر ماء نهد

وهذا يدلنا على أن نهداً كثرت هناك وقويت حتى صارت تنازع قبائل كباراً من مذحج كزبيد ، وكانت مذحج تغطي مساحة هائلة من اليمن ، فنهد حينئذ قبيلة مهابة صائلة جائلة .

ثم لحقت نهد بن زيد ببني الحارث بن كعب ، فحالفوهم ، ولحقت جرم ابن ربّا ببني زبيد ، فحالفوهم ، فتحاربت بنو الحارث وبنو زبيد ـ كلاهما من مذحج ـ فالتقوا وعلى بني الحارث عبدالله بن عبد المدان ، وعلى زبيد عمرو بن معد يكرب[2] .

وهذا بيت القصيد ، وهو ما أطلنا من أجله ، أي أن نهداً قام الإسلام وهي بديار بني الحارث بن كعب شرق نجران وحبونن ، ولا تبعد ديارها اليوم عن تلك الديار (في حدود ٣٠٠كيل) إذا اعتبرنا الزمن وما حدث في اليمن من حروب ، خاصة تلك التي شنها الهادي على بني الحارث ، وتفرقها وشتات أمرها ، فكان لا بد لقبيلة تريد التماسك ولا بد من إزاحتها أن تندفع إلى أضعف البلاد ، فكانت صيهد القفر فلاة لا منازع عليها ، ومنها يمكن التمدد حسب الظروف ،

---

(١) وهذه تسمى نهد اليمن ، ولهم خبر سيلحق ، وذهب أخوتهم إلى الشام فسموا نهد الشام .
(٢) عبد الله بن عبد المدان وعمرو بن معد يكرب ، كلاهما أدرك الإسلام .

فكان تمدد نهد بعد ذلك إلى أطراف حضرموت حيث المياه والظل ، ونجد شذرات لا يحتج بها تذكر أن مرة في نهد ، فربما هي مرة يام اليوم ، التي تتصل بنهد جنوباً وديار بني الحارث شمالاً وتنساح في نجد .

ومن كل ما تقدم ترى أن نهداً ما زالت تقذف بها النوى حتى انقسمت إلى نهد الشام ونهداليمن، وذكر الهمداني[1] أن نهداً كانت بنجد ـ نجد اليمن ـ بعد أن اصطلحت قبائل خولان[2] ، وكأنها كانت جيرة لجنب وزبيد وحليفة لهم على عنز بن وائل .

ونجده ـ الهمداني ـ يحدد ديارهم[3] في عهده فيذكر مواضع كثيرة تقع كلها بين حبونن وتثليث ، فقال : قبائل نهد ، معرِّف ، وحرام ، وهي أكثر نهد ، وبنو زهير ، وبنو دويد ، وبنو حزيمة ، وبنو مرمَّص ، وبنو صخر ، وبنو ضنَّة ، وضنّة من عذرة ، وبنو يربوع ، وبنو قيس ، وبنو ظبيان . ولبعض هذه الأسماء ذكر اليوم في بقايا مذحج ، ولكن الأسماء مشتركة بين الناس . وفي مكان آخر يقول الهمداني[3]: ثم بلد نهد من جُرش إلى كتنة : الهُجَيرة . والهجيرة يتردد ذكرها بأنها كانت قرية نهد وقاعدتهم ، وكانت المحطة الأولى قبل تثليث مما يلي اليمن ، في شرقي جُرَش .

فروع نهد

تنقسم قبيلة نهد اليوم إلى ثلاثة فروع رئيسية ، هي[4] :

١ ـ بنو كليب : وتنقسم إلى :

---

(١) الإكليل ج ٢ ص ١٦٣ ، ١٦٤ .

(٢) حرب كانت بين سعد بن سعد بن خولان ، والربيعة بن سعد بن خولان ، لم يذكر انتهاءها وإنما ذكر راوية سيرة الامام الهادي أن الصلح كان بعد ٢٨٠ هـ .

(٣) « صفة جزيرة العرب » ص ٢٥٣ .

(٤) رواية الشيخ : سالم بن حمد المقصف النهدي ، في مجلس أمير شرورى .

أ ـ العجاج ـ بالتخفيف ـ أو آل عجاج .

ب ـ آل ثابت .

جـ ـ آل بدر ، ومن فروعهم : آل بشير ، وآل محمد ، والعواهمة ، وآل حُزَيم ، وآل حدجان .

د ـ آل مقيزح . و ـ آل منيف . ز ـ آل صَرِيمان ـ ح ـ آل بشر . ط ـ آل البُقْري . ي ـ آل مذعذع . ك ـ آل حويل . ل ـ آل كوير ، بالتصغير ، ومنهم بيت تجارة معروف في مكة . م ـ آل نهيد . ن ـ آل عَبْري . س ـ الشراشرة . ع ـ آل مهنى . ف ـ آل طاهر . ص ـ آل صايل . ق ـ آل كليب ، فرع أصغر . ر ـ آل جذنان . ش ـ آل عزّون . ت ـ آل شرمان . ث ـ آل كرشين . خ ـ الضلفان ، واحدهم ضُلَيف ، بالتصغير . فهذه أربعة وعشرون بطناً نسبها راويتنا إلى كليب رأساً ، والظاهر أن بعضها أفخاذ وخوامس من بطون رئيسية أكبر منها ، وعدم الترتيب وحسن التفريع لا يلام عليه مثل هؤلاء ، وإن كان ـ في الواقع ـ تحبذ العناية به .

٢ ـ بنو يزيد : الفرع الثاني من نهد ، ومن بطونه :

أ ـ المقاصفة : واحدهم مقصّف ، بتشديد الصاد . ب ـ آل ذياب . جـ ـ آل مقدّع .

د ـ آل العَوْد . هـ ـ آل جبل . و ـ بنو شبيب . ز ـ الحمضان . ح ـ آل الزوع . ط ـ البهوع . ي ـ الرماة . ك ـ آل فهيد .

٣ ـ اليُمَيْني : تصغير يمني ، الفرع الثالث والأخير من فروع نهد اليمن في يومنا هذا ، ومن بطونه :

أ ـ آل عتنان . ب ـ آل قحّام . جـ ـ آل غانم . د ـ الغشمان . هـ ـ آل وريدان . و ـ آل الرام . ز ـ آل خويران .

انتهت فروع بني نهد كما رواها لنا الشيخ سالم ، وقد تقدم القول بأنهم

حلف للصيعر دون غيرهم من القبائل المجاورة ، وقال سالم : تمتد ديار نهد من شروري شمالاً إلى وادي حضرموت جنوباً ، مارة قرب (العَبَر) و(زمخ) ولها أودية زراعية تفيض من جبال حضرموت باتجاه الشمال فتصب في تلك الصياهد والرمال ، كرملة السبعتين ، وغيرها .

جغرافية المنطقة

تعتبر الرحلة ـ أية رحلة ـ فناً من فنون الأدب ، تأتي بمزيج من المعلومات منها ما هو مشاهد بالعين ، وما هو مسموع بالحديث والرواية ، ويلزم كاتبها أن يعود إلى مراجع ويجري استفسارات لتثبيت معلوماته وإيصالها إلى القارىء بأفضل ما يمكن أن تصل إليه .

من هنا كان يصعب تصنيفها في باب من أبواب العلم ، فأطلقوا عليها اسم (أدب الرحلات) ، وتوضيحاً لما قدمنا لك من مشاهدات وروايات أردت إفراد باب يوضح تلك المعالم الجغرافية ويعين على فهم تاريخ هذه المنطقة الذي سنتعرض له بعد هذا .

لمحة عن جغرافية الجزيرة[1] :

قسم العرب جزيرتهم إلى ستة أقاليم رئيسية ، ونقول : رئيسية ، لأن بعض الأقاليم الكبيرة ـ كنجد مثلاً ـ قد يقسم إلى أقاليم عديدة[2] ، وهذه الاقاليم الرئيسية هي :

١ ـ الحجاز : وقد اختلف المتقدمون اختلافاً كثيراً في حدوده وسبب تسميته ، إلا أن أوسط الأقوال أنه يمتد من الشراة في الأردن إلى حلى وتثليث وجُرش جنوباً ،وهذا القول عليه الهمداني وياقوت وغيرهما. وتدخل فيه تهامة الممتدة من حلى الى العقبة،ومن الشرق فقد أغربوا في تحديده،فقال بعضهم :

---

(١) الذي نقدمه هنا هي الجغرافية الطبيعية ، أما الجغرافية السياسية فإنها لا تتمشى ولم تتمش على مر العصور مع الحدود الطبيعية للأقاليم ، ومكانها كتب التأريخ .

(٢) انظر كتابي : الرحلة النجدية .

حده ثنايا ذات عرق ، وقال آخر : حده الشعراء في نجد ! وكلاهما وهم وتمحل ، وخير منهما من قال : إن حد الحجاز قرب الحناكية، فهو قول معقول بالمشاهدة[1] . ويحتضن الحجاز أقدس بقاع العالم : مكة، والمدينة .

٢ ـ نجد : أوسع أقاليم جزيرة العرب ، أكثرها صحارى ، وحدوده : من الحجاز غرباً إلى البحرين (الأحساء) شرقاً ، ومن الربع الخالي جنوباً إلى جبلي طيء (أجا وسلمى) شمالاً ،وفي داخليته أقوال وله تقسيمات[2] وهو قلب جزيرة العرب، وأكبر مدنه اليوم مدينة الرياض العاصمة .

٣ ـ اليمن : وحده الطبيعي من حدود الحجاز شمالاً إلى بحر العرب جنوباً ،حيث عدن ولحج ،وغرباً البحر الأحمر،وشرقاً الصياهد المتصلة بالربع الخالي ، ومن أشهر مدنه من زمن الجاهلية : صنعاء ، وتقول فيها العرب : (لا بد من صنعاء ولو طال السفر) ومأرب ، ذات سد العرم المشهور في القرآن ، ومخا والحديدة ، وعشرات المدن الاخرى كصعدة،وذمار،وزبيد ، المشهورة بزبيد العلم .

٤ ـ حضرموت : آخر أقاليم الجزيرة في الجنوب ، يطل على بحر العرب جنوباً ويتصل برمال الربع الخالي شمالاً ، واليمن غرباً وعمان شرقاً ، ومن أهم مدن حضرموت : المكلا ، وهي قاعدة الأقاليم ، وسيئون، وتريم ، وتتوسط حضرموت سراتان تمتدان من الشرق إلى الغرب،وبين السلسلتين وادي حضرموت الخصيب .

٥ ـ ويتصل بحضرموت من الشرقي الشمالي أقليم عُمَان الذي يكون

---

(١) تغني عن الاطالة الاحالة إلى « معجم معالم الحجاز » مادة (حجاز) .

(٢) انظر كتابي : الرحلة النجدية .

الزاوية الشرقية الجنوبية لجزيرة العرب ، يحده من الجنوب والشرق البحر العربي وخليج عمان ،ويرتكز هذا الإقليم في الشمال الغربي والغرب على الربع الخالي (رمل يبرين سابقاً)، أما في الشمال فانه يتصل باقليم الأحساء . وأشهر مدنه : مسقط : العاصمة ، ونزوى أهم مدينة داخلية في الجبل الأخضر ، وهو جبل عمان ، وعلى الساحل مدن عديدة مثل :مطرح : قرب مسقط ، وصور : قرب رأس الحد في آخر جنوب عمان، وقلهات : قرب صور ، وسلالـة ومرباط : في ساحل ظفار .

٦ ـ إقليم الأحساء : كان يعرف بالبحرين[1] وسمي (هجراً) نسبة إلى أكبر مدينة فيه آنذاك وهي الهفوف ، يحد هذا الاقليم من الشمال مشارف طف العراق الشرقية أو كاظمة (الكويت اليوم)، ومن الغرب الدهناء : أشهر صحاري العرب ، وشرقاً الخليج ، وكان هذا الخليج يسمى « الخليج الفارسي » وهذا اسمه في كتب التأريخ ، ثم سماه العرب في الأونة الأخيرة ـ في السبعينات الهجرية من هذا القرن ـ « الخليج العربي » وهذا اسمه اليوم ، وصارالإيرانيون يسمونه اليوم الخليج الاسلامي ، فهو في كتاباتهم كذا .

ومن أشهر مدن إقليم الأحساء : الهفوف ، وكانت تسمى هجراً ، وقد تسمى اليوم الحسا ، وهي كبرى مدنه وأخصبها ، والقطيف : كانت ميناء الجزيرة العربية في الجهة الشرقية .

والدمام ، والظهران ، والخبر : من مدن هذا العصر نهضة واتساعا .

وعندما توحدت المملكة العربية السعودية أطلق على الإقليم اسم (المنطقة الشرقية) ، كما أطلق على نجد (المنطقة الوسطى) . وعلى الحجاز (المنطقة الغربية) وهذا بالنسبة للحجاز يشمل مكة ، وجدة ، والطائف وما انضم

---

(١) هذا غير البحرين الدولة القائمة الآن في وسط الخليج ، فهذه كانت تسمى جزيرة (أوال) .

إليها إدارياً ، أي إمارة منطقة مكة . ويخرج من هذه التسميات في المملكة : منطقة حائل من نجد ، ومنطقة المدينة في الحجاز ، والمقاطعة الشمالية وقاعدتها تبوك ، ومنطقة عسير ، وقاعدتها أبها .

هذه لمحة موجزة عن جغرافية الجزيرة ، لا أراها أتت بجديد ، غير أنني قصدت بها التمهيد لجغرافية الرحلة .

جغرافية الرحلة

سارت رحلتنا كما تقدم معك خلال المنطقة الممتدة من مكة المكرمة مروراً بالطائف والباحة وأبها ونجران إلى حدود حضرموت في آخر جنوب جزيرة العرب ، وقد مررنا بكثير من هذه المعالم ووصفناها وصفاً موجزاً أثناء الرحلة ، غير أن إبراز باب خاص بها هنا يقصد منه التفصيل والايضاح ، لذا قسمنا هذه المنطقة إلى ستة فصول رئيسية، هي :

١ ـ السراة الممتدة من قرب الطائف إلى صعدة جنوب نجران .

٢ ـ الأودية المنحدرة من هذه السراة شرقاً وغرباً .

٣ ـ السهل الشرقي : منطقة بهذا الاسم لها شهرة هناك ، أردت أن أذكر لمحة بسيطة عنها .

٤ ـ الطرق والمسالك القديمة والحديثة في هذه المنطقة، وهي من الأمور المهمة للقارىء والباحث على حد سواء .

٥ ـ جغرافية منطقة نجران : كنا ألمحنا سابقاً أن الرحلة كان المقصود منها دراسة منطقة نجران ، ولكن كما قال الشاعر المكي : (والشيء بالشيء يذكر) فبمرورنا في هذه المنطقة استلزم الأمر إدخالها في البحث .

١ ـ السراة

سراة كل شيء علوه وظهره ، والسراة عند العرب الجبال المتقاودة الآخذ بعضها برقاب بعض ليس بينها فاصل تام ، والسراة هنا ـ كما قدمنا ـ هي المنطقة الجبلية الممتدة بامتداد رحلتنا ولا تقف بوقوفها .

فأول جزء منها (الهدأة) وهي الجبل الضخم الواقع غرب الطائف ، وسكانه ثقيف ، وتشركهم في أجزاء منه هذيل ، يلي ذلك من الجنوب شفا هذيل ، وقد يقال شفا الطلحات ، بطن من هذيل ، ثم يليه شفا بني سفيان ، بطن من ثقيف ، يلي ذلك من الجنوب سراة بني سعد من عتيبة[1]، ثم سراة بلحارث ، وهذه السروات والأشفية تسمى سراة الطائف ، فالهدأة وشفا هذيل تهامتها هذيل ، وجلسها ثقيف ، وشفا بني سفيان وبني سعد وبالحارث ، غورها فهم ، وجلسها عتيبة وبني الحارث[2] .

سراة بني مالك

هذه ما كانت تعرف بسراة بجيلة ، وبنو مالك فرع من بجيلة انضوت تحته بقاياها ، وتبدأ سراة بجيلة على بعد مائة كيل تقريباً جنوب الطائف . مياهها الشرقية في تربة ، والغربية في الليث ، وبسفوحها الغربية قبائل: بني يزيد ، وبجالة، والعمرين[1] .

سراة غامد وزهران

تبدأ هذه السراة من أول حدود بني مالك وبلحارث ، وأول ما تصعد في شمرخ العقبة الكؤود التي مرت معنا في الرحلة، وتمتد جنوباً إلى بلاد خثعم ، وتكون مياهها الشرقية شمالها في تربة وشرقها في رنية ، أما مياهها الغربية فهي من الشمال إلى الجنوب : وادي عليب ، وادي دوقة ، وادي الأحسبة .

سراة خثعم

تبدأ بعد سراة غامد وزهران جنوباً ، وهي على الطريق قضيفة، وتمتد شرقاً وشرقاً جنوبياً إلى السهل ، مياهها الشرقية في بيشة ، والغربية في قنونا

---

(١) أنظر عن هذه القبائل والبطون (معجم قبائل الحجاز) .

(٢) تفاصيل هذه الأرض في (معجم معالم الحجاز) وكتاب (الرحلة النجدية) .

الذي يصب على القنفذة من الشرق .

سراة بلقرن

ثم يلي هذه سراة بلقرن ، بين خثعم ورجال الحجر ، وهي كسابقتها ، سراة قضيفة ولها تهامة تسمى تهامة بلقرن ، تصب مياهها إلى القنفذة غرباً ، وإلى بيشة شرقاً ، حيث يسيل وادي تبالة ، وقاعدة بلقرن (سبت العلاية) .

سراة رجال الحجر

وهذه السراة طويلة عريضة عند الطريق تمتد من بلاد بلقرن شمالاً إلى قرب أبها جنوباً ، وكل السروات كثيرة القرى والأودية خصبة التربة نقية الهواء ، ومياه سراة الحجر الغربية في واديين (يبة) و(حلى) وكلها تصب جنوب القنفذة ، أما في الشرق فلا زال وادي بيشة يبتلع كل أودية هذه السروات ، ويحتلب جميع سفوحها الشرقية ، وأهم روافد بيشة هنا : وادي ترج ، يأخذ جل مياه سراة الحجر ، ووادي عياء ، ووادي صلحلح ، وكلها ستأتي .

سراة عسير

تقع هذه السراة فيما يحيط بأبها ، وأعلى ارتفاع لها جبال السودة غرب أبها ، وهي قمة ما تقدم من سروات ، ذات مناظر خلابة وقرى ومدن متشابكة ، مياهها الشرقية أعلى مياه بيشة ومن هنا تنحدر مياه وادي ذهبان[1] الذي يسمى فيما بعد وادي ابن هشبل ، وهو حيمول وادي بيشة ورأسه ، أما مياه هذه السراة الغربية فتصب على البرك والقحمة والشقيق : موانىء كلها ، وأهم الأودية هنا : وادي محايل في حلي ، ووادي عرمرم ، ووادي ريم ، يصبان على الشقيق ، ووادي عتود ، يصب جنوب الشقيق ، والبرك ، والقحمة ، والشقيق : سواحل أبها .

---

(١) هذا ذهبان الشرقي ، وذهبان آخر يصب على ميناء البرك . وآخر قرب صنعاء ، ورابع شمال جدة .

سراة عبيدة

تقع هذه السراة شرق أبها إلى الجنوب ، وهي طود عظيم بين السهل شرقاً وتهامة غرباً ، وهذه بلاد قحطان عسير كلها إلا أنهم يطلقون عليها اسم سراة عبيدة ، وقد تقدم عن قحطان ، وهذه السراة تقسم مياهها إلى ثلاث جهات : شمالاً في بيشة ، وغرباً في بيش ، فبيشة وبيش يتقاسمان الماء من هذه السراة بين أبها ونجران ، وكل منهما له فروع تنتشر حتى تبلغ مئات الأكيال ، وشرقية تذهب في واديـي حبونن واليدمة إلى بلاد يام . وهذه السراة كغيرها من السروات ذات مصايف بديعة ، غير أن طرقها ما زالت وعرة .

٢ ـ الأودية المنحدرة من هذه السروات

أولاً ـ الأودية الشرقية :

أودية الطائف

اعترضنا أثناء السير عدد من الأودية تسيل شرقاً ، منها : نـواشغ النخلتين ، ورأس عقيق الطائف ، ووادي وج ، ووادي لية ، ووادي السر ، ووادي كلاخ ، وهذه الأودية سبق إيضاحها في كل من (معجم معالم الحجاز) و(الرحلة النجدية) فأغنى عن التكرار والاعادة .

وادي تربة

من الأودية الفحول التي تأخذ مياه قسم كبير من وجه السراة الشرقي ، ويسمى أعلاه تربة ، ويميز باسم تربة البقوم ، وفي هذا القسم قاعدة البقوم ، وهي بلدة عامرة تسمى بنفس اسم الوادي : ثم يتجه شمالاً شرقياً فيسمى الغريف[1] وهو من بلاد سبيع ، ثم ينحدر إلى بلدة الخرمة : قاعدة قسم كبير من قبيلة سبيع ، وهي بلدة متقدمة تقع شرق الطائف مع ميل إلى الشمال على قرابة

---

(١) ظهر في كثير من الخرائط باسم (الغريث) بالثاء بدل الفاء ، وهو خطأ .

مائتي كيل ، وتتبع الطائف إدارياً ، وكذلك تربة ، ثم يعطف الوادي إلى الشرق فيقع في سهل كثير الحبال الرملية ، وفيه بئر القنصلية المورد المشهور هنا ، ثم يصطدم بعرق سبيع ، وهو رمل كالجبال المتقاودة، وهو ما كان يعرف برمل بني عبد الله ، بطن من عامر بن صعصعة ، وهنا تضيع مياه وادي تربة ـ بعد أن يسمى وادي الخرمة ـ في قاع واسع يسمى (الفرشة) تختلط فيه مياه : الخرمة ، ورنية ، وبيشة، وهي تعرف هنا باسم (الوديان الثلاثة) وكلها كثيرة النخل الجيد تمره .

روافد تربة

لتربة روافد عديدة ، من أهمها :

أ ـ وادي العقيق : يسيل من بلاد زهران ، ويميز بعقيق تربة ، وهو رأس الوادي وامتداده الطبيعي ، وفيه قرية كبيرة بهذا الاسم ،لقبيلة زهران .

ب ـ وادي بواء : يأتي من سراة بجيلة ويمر في بلاد بلحارث ، وقد تقدم موقعه في أول الرحلة .

جـ ـ وادي ابيدة : من الأودية الكبيرة ، يسيل من شمال الباحة فيصب في وادي عردة .

حـ ـ وادي عُردة : واد كبير يأتي من شمال سراة زهران وجنوب بلحارث فيدفع في تربة من الغرب في صدره .

وادي رَنْيَة

واد فحل من الأودية الشرقية ، وقد خاض المتقدمون في تحريف اسمه ، فقالوا : رنّية ، بتشديد المثناة التحتية، وقالوا : زبية ، بالزاي ، والموحدة بعده ، وغير ذلك .

وصواب اسمه (رَنْية) بفتح الراء ، وسكون النون ، ثم مثناة تحت، فهاء .

وكثيراً ما يطلق عليه اسم وادي سبيع ، ذلك أن كثيراً من بطون سبيع

تقيم في هذا الوادي وعلى جنباته ، يسيلْ هذا الوادي من سراة غامد على قرابة مائتين وثلاثين كيلاً جنوب الطائف : ثم ينحدر شمالاً شرقياً كسابقه ، وأعلاه لغامد ، ثم يسمى الأملح ، لآل عمير من سبيع ، ثم يسمى رنية مرة ثانية وفيه الروضة بلدة هي قاعدة إمارة سبيع في هذه الناحية ، وتقع الروضة شرق بلدة تربة البقوم على خط مستقيم ، وتقع تربة البقوم شرق الطائف على خط مستقيم أيضاً وعلى قرابة (١٥٠) كيلاً رأسياً .

فإذا تجاوز وادي رنية بلدة الروضة عدل إلى الشرق فاختلط مع مياه الخرمة وبيشة في الفرشة . والفرشة : قاع واسع تحيط به الرمال المرتفعة كعرق سبيع من الشرق والشمال الشرقي ، والمرتفعات من الجنوب والغرب ، ولا تفيض مياهها أبداً ، غير أن بعضهم قال : لو اجتاح المنطقة فيضان فلربما كسرت المياه دعوص هناك ثم ذهبت إلى وادي الدواسر الواقع إلى الشرق من هذه الفرشة ، وعندما عرضت هذا القول على أحد الشيوخ من هذه المنطقة ، قال : هذا أمر لم يحدث في عهدنا وما سمعنا به ممن كانوا قبلنا .

وادي بيشَة

أكبر أودية السراة الشرقية على الاطلاق ، ويحتلب منطقة تقدر بستمائة كيل طولاً ، بين الفرشة شرق الخرمة إلى جنوب أبها وخميس مشيط ، بين الدرجتين ١٨ و٢٢ عرضاً ، ويعتبر هذا الوادي وادي خثعم إذ أن جميع البطون القاطنة فيه وفي معظم روافده هي بطون من خثعم ، وقد تقدم الحديث عنها .

وله روافد كبار ، أهمها : تبالة : يسيل من بلاد خثعم السراة وبلقرن ، وهرجاب : من سراة آل حجر ، وأودية عديدة غيرها ، فهو يقاسم وادي (بيش) الماء في جنوبي أبها . ويسمى رأس الوادي عند خميس مشيط ذهبان ، ثم يسمى وادي ابن هشبل ، والهشابل من العوشز (العواسج) دخلوا في شهران ، ويسمى وادي شهران أيضاً ، وبيشة . فاذا اجتمعت به تبالة من الغرب وقبلها وهرجاب من الغرب أيضاً سمي وادي بيشة، ومنذ بدئه من خميس مشيط وأبها

يسير شمالاً عدلاً ، فإذا تسهل من السراة وقع في اتساع كبير ثم انحرف شرقاً إلى الشمال حتى يدفع في الفرشة المتقدمة ، ويعتبر هذا الوادي من أكثر أودية جزيرة العرب نخلاً بعد خيبر ، ولجودة تمره شهرة . ولأهله صفات من الكرم ، حتى أنه كان يقصده من لا نخل له فيصدر موقرة جماله وكأنه صاحب نخل ، ويكثر في سكانه خليط أسود هم بقايا أو سلالات العبيد فيما مضى ، حتى أنه في مكة لا يكاد يطلق كلمة (بيشي) إلا على الأسود ، لذا فان القبليين من أهله ينتسبون إلى قبائلهم ، لينفوا عن أنفسهم هذه الصفة ، وكانت بيشة من الأماكن المشهورة بالأسد ، ولكن هذه السباع انقرضت اليوم من جزيرة العرب ، إلا ما قيل أن الفهد والنمر لازالا يريان في السروات الشاهقة الواقعة جنوب وغرب أبها .

لجودة تمر بيشة صار أهله يضربون بـه المثل المعروف . بخيبر وهجر (يا مهدي التمر على أهل خيبر) و(كمستبضع تمراً إلى أهل خيبر) فيقولون : يا مهدي التمر على أهل بيشة ، ويا بائع التمر على أهل بيشة . وفي وسط وادي بيشة مدينة الروشن : قاعدة الإمارة ، وهي بلدة متقدمة .

وادي تثليث

إذا جاز أن يقال عن وادي بيشة إنه وادي خثعم ، فان وادي تثليث هو وادي قحطان ، حيث تنتشر فروعها من أعلى مساقط مياهه إلى أن يحير في الرمل .

تسيل أعلى نواشغ تثليث مما يسمى اليوم سراة عبيدة ، ويعرف قديماً بسراة جنب بن سعد العشيرة ، ويقاسم وادي حبونن الماء في الجبل الأسود وما جاوره ، ثم تندفع فروعه مشملة فيجتمع كثير منها في (سهل العمق) شرق خميس مشيط ، ثم يواصل سيره شمالاً فيما يعرف بالسهل ، تنحدر إليه من الغرب مياه الحزون الواقعة بينه وبين فروع وادي بيشة ، وتنحدر إليه من الشرق مياه مرتفعات الوحيدي والعلمان وجبال القهر الواقعة شرقاً شمالاً من بلدة تثليث نفسها ، وفي وسط الوادي بلدة تثليث قاعدة قحطان نجد ، وهي بلدة ذات نخل

وزرع ، والوادي حين يمر عندها كثير المياه والأراضي الصالحة للزراعة ، غير أن الرمال تحيط بكثير من جوانبه ، ويصل بين بلدة تثليث والروشن في بيشة طريق برية تذهب إلى تربة ثم إلى الطائف . ومنها طريق تذهب إلى وادي الدواسر فالسليل فالرياض .

وأكبر روافد وادي تثليث (وادي العرين) يسيل من سراة عبيدة عند الفيض جنوب ظهران اليمن ، وبه زراعة حسنة .

ويقول البعض : إن سيل تثليث إذا فاض دفع في وادي الدواسر ، ولا يكون هذا إلا نادراً . وتثليث كانت بلد عمرو بن معدي كرب الزبيدي (زبيد سعد العشيرة) ولا زالت هذه ديار قومه ، إذ أن قحطان ـ كما قدمنا ـ هي بقايا مذحج ، وسعد العشيرة بطن من مذحج كما تقدم أيضاً .

الأودية الغورية

فيما تقدم تحدثنا عن الأودية التي تسيل شرقاً من خط الرحلة ، وقد يسميها البعض الأودية النجدية لأنها تذهب الى نجد ، وهنا نتحدث عن الأودية الغورية ، والغور هو المنخفض الذي تجري اليه هذه الأودية ، ونأتي بأهمها من الشمال الى الجنوب ، وبايجاز لئلا يطول الحديث .

أ ـ وادي نعمان : وادٍ فحل من أودية الحجاز التهامية ، يسيل من جبل كرا غرب الطائف ثم يمر بالقرب من عرفة جنوباً ، وهناك يجتمع بوادي عُرَنَة الآتي من الشمال فيسمى الواديان وادي عرنة ، حتى يفيض في البحر جنوب جدة ، أعلاه لهذيل ووسطه لخزاعة والأشراف ذوي نمي ، وساحله لحرب والأشراف العرامطة . وقد أكثر الشعراء من ذكر نعمان والتغني به فأتوا فيه بما لا يتسع له البحث هنا[1] .

---

(١) أوفينا ذلك في المعجم .

ب ـ وادي ملكان: واد فحل كسابقه، يباريه من الجنوب، يسيل من طود هذيل، وله رافدان كبيران(دفاق وضيم) فينحدر غرباً حتى يصب في البحر عند الشعيبة، وسكانه كسكان سابقه[١]، يقطعه درب اليمن القديم على ٣٢ كيلاً من مكة، أما الطريق المعبدة فتقطعه في الساحل .

جـ ـ وادي ادام: أقل من سابقيه أهمية، وهو يباريهما من الجنوب، بينه وبينهما وادي البيضاء: المرحلة الأولى من مكة على نظام القوافل القديم .

د ـ وادي يلملـم: ميقات أهل اليمن على الطريق التهامي، فيه بلدة السعدية منها يحرم الناس، ومآتيه من شفا بني سفيان وسكان صدره بنو فهم، ويمر في الخبت عند شامة وطفيل ثم يبحر، وهو بين الميقات وطفيل لبني شعبة من كنانة .

هـ ـ وادي الليث: أكبر ما تقدم من الأودية، يأخذ مياه سراة بجيلة حيث يقاسم وادي تربة الماء هناك، ثم يبحر عند بلدة الليث الواقعة جنوب مكة على ١٨٦ كيلاً. سكانه في صدره: بنو يزيد، وبجالة، والعمرين، وبعض بني فهم، وأسفله لبني شعبة من كنانة، وأحياء من الأشراف .

و ـ أودية الشواق ـ جمع شاقة ـ وهي البطحاء التي خدها السيل، وهي: الشاقة الشامية، أعلاها (حلية): وادٍ زراعي خصيب كثير المياه، وأسفل الشاقة للأشراف ذوي حسن[٢] كان يزرع فيها الدخن فيجود. الشاقة اليمانية: أعلاها (عليب) فيه سوق الحجرة، وبقية وصفها كسابقتها، ولهما أمارة واحدة من الأشراف ذوي حسن تتبع الليث .

ز ـ دوقة: وادٍ زراعي آهل بالسكان ـ وكل أودية تهامة آهلة ـ صدره وساحله لقبيلة زهران، فيه بلدة (دوقة) المرحلة السابعة من مكة على نظام القوافل القديم .

---

(١) أوفينا ذلك في المعجم .
(٢) هم بنو الشريف حسن بن عجلان .

ح ـ وادي قرماء: وادٍ يمر بين دوقة والقنفذة، كثير المياه والزرع، وسكانه زبيد من حرب في الساحل، وأعلاه لزهران .

ط ـ ناوان: وادٍ كسابقه وسكانه سكانه، يباري سابقه من الجنوب ، فيمر شمال القنفذة ،أعلاه لزهران، وأسفله لزبيد من حرب .

ى ـ وادي الأحسبة: أحد الأودية المهمة في تلك الناحية ، يسيل من سراة غامد وبلقرن، فيصب في البحر شمال بلدة القنفذة ، ويعتبر المرحلة الثامنة من مكة على نظام القوافل القديم، وسكان تهامته الاشراف العبادلة، وصدوره لغامد التهم، وفيه زراعات كثيرة وقرى عديدة .

ك ـ قنوني : وادٍ فحل يصب من السراة الواقعة غرب بلادِ الحجر، فيدفع عند بندر القنفذة . وهو والقنفذة المرحلة التاسعة من مكة، وتبعد القنفذة قرابة (٣٥٠) كيلاً من مكة، وهي كبرى بلدان هذا الساحل بين مكة وجازان .
وفي وادي قنوني كان سوق حباشة: السوق العربية الشهيرة، وبه قبر الرافضي « خندق بن مرة الأسدي » الذي رثاه كثير عزة قائلاً :

أصادرة حجاج كعب ومالك   على كل عجل ضامر البطن محنق
بمرثية فيها ثناء محبّر   لأزهر من أولاد مرة معرق
جزى الله خيراً خِنْدِقاً من مكافىء   وصاحب صدق ذي حفاظ ومصدق[1]

ل ـ وادي يبه، وقد وقع في بعض المراجع(يبت) أخذاً مما جاء مسكناً في الشعر . واد فحل يسيل من السراة، أعلاه لبارق، ثم يمر شمال حلي بينه وبين وادي قنوني .

م ـ وادي حلي : لا يضاهيه في الاتساع وعظم الروافد والأهل إلا جازان أو بيش، فهو من أكبر الأودية التهامية، وله رافدان عظيمان: وادي بقرة من سراة بني

---

(١) هذا هو البيت العاشر ، والقصيد في ١٥ بيتاً ، ديوان كثير ص ٢١٥ ، ٢١٦ .

شهر، ووادي الحمض، وكلاهما من سراة بني شهر، وسكان الواديين اذا انحدرا عن السراة بنو بارق القبيلة الأزدية المتقدم ذكرها .

وفي ساحله بلدة عامرة تسمى « حلي ابن يعقوب » ولبقر حلي شهرة في الحجاز، ففيها عظم وسمن وجلد على الحرث. ومياه حلي غيول على وجه الأرض، وخيراته كثيرة، وكثافة سكانه لا نظير لها فيما تقدم من أودية. وقال ياقوت : إن حلي حد الحجاز من اليمن. ومثل ذلك قال الهمداني، ولعل ياقوتاً نقله عنه . قال عبد الله الذروي[1] :

بالقنا الخطي أو بيض الظبا ... وبخيل تتبارى شزبا
نحمي ذا البيت ونحمي جدة ... وربى(حلي) وأكناف قبا
قل لمن بات يناوينا ومن ... رام يأتي بيتنا مغتصبا
لا يحج البيت إلا خاضعاً ... دافعاً عُشراً لنا ثم جبا[2]
وإذا ما كان رأساً لم يعد ... عندنا يا صاح إلا ذنبا

ن ـ وادي عتود: واد يسيل من سراة ابها فيصب في البحر شمال وادي بيض عند بلدة الشقيق، فيه بلدة (الدرب) المعروفة بدرب بني شعبة، سكانه بنو شعبة، وهم يدعون انهم من تغلب، ولعلهم من شعبة كنانة، فهذه كانت ديار كنانة .

---

(١) هو عفيف الدين عبدالله بن القاسم الذروي ، من أهل صبيا . عاش في القرن التاسع الهجري ، وكان أحمد بن اسماعيل ملك اليمن قد كتب إلى الشريف بركات صاحب مكة بأنه يريد الحج . وأن على بركات أن يخلي له بيوتها ويتلقاه في حلي ، فأجابه بهذه القصيدة ، فتخلف ملك اليمن عن الحج .

(٢) القنا جمع قناة : عصى طويلة في رأسها رمح ، الخطي : نسبة الى الخط من ساحل هجر حيث تصنع قديماً ، الظبا : رؤوس السيوف . العشر : الزكاة أو المكس ، الجبا : ما يعطى بلا مقابل ، وهي كلمة لا تزال معروفة عند أهل مكة ونواحيها ، ومعناها أيضاً تفضل مع الاحترام ، فإذا مد عليك فنجان الشاي ، قال : جبا . فتقول له : عدوك هبا ، أو بختك نبا وعدوك هبا ، وفي بعض المطاعم يكتبون : ممنوع الجبا . أي الدفع عن الآخرين .

س ـ وادي بيض : ليس بعيداً عن سابقه جنوباً بينه وبين بيش، وليس في درجتهما، وكثيراً ما ينتسب سكانه إليه (بيضي) . قال بديل بن عبد مناة الخزاعي :

ونحن منعنـا بيـن بيض وعتـود   إلى خيف رضوى من مجر القبائل

قلت : هذا الشعر بكنانة أليق، لأنها هي التي كانت تمتد ديارها من بيض هذا او قربه إلى ينبع، أما خزاعة فما كانت تحتل إلا جزءاً من هذه الديار، وليس لها أن تدعي هذه الحماية .

ع ـ وادي بَيْش : واد من أكبر الأودية التهامية وأخصبها وأكثرها قرى، يأخذ من السراة الواقعة جنوب أبها من بلاد جنب وخولان، ويقاسم وادي بيشة الماء ثم يذهب الى البحر، قاعدته أم الخشب قرية كبيرة تتبعها عدة قرى، منها السلامة والدهناء والعالية. وله روافد عظيمة من أهمها : وادي وساع[1]: واد يسيل من الصهاليل من السراة ثم يدفع غرباً فيجتمع بأودية اخرى كثيرة تكون عند التقائها حوض وادي بيش الواسع. ووادي شهدان، ووادي عوان، روافد كلها اودية كبار .

ف ـ وادي صبياء: واد فحل زراعي يأتي من السراة فيصب في البحر جنوب وادي بيش، وتقع في ساحله مدينة صبياء التأريخية، وبـه قرى عديدة منتشرة، ومن أهم روافده[2] : وادي قصي ،ووادي دامس، وحوض صبياء حيث ينفرش فيكون دلتا عظيمة خصيبة تسمى (الحسيني) تتوسطها مدينة صبياء. وفي صبياء، يقول القاسم بن علي الذروي :

يـا أخـلائي بـصبيـاء الـلوى   وأصيـحـابي بتـيـاك الـرُّبـى
هـل لنـا نحـوكـم من عـودة؟   فـنـرى سـدركـم والـكـثـبـا

(١) « معجم جازان » للاستاذ محمد بن أحمد العقيلي ص ٢٣٨ .
(٢) « أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان » للعقيلي المتقدم ص ١٢٨ .

فلكم حاولت قلبي جاهداً يتسلى عن هواكم فأبى
فأذكروا صباً بكم ذا لوعة بان عنكم كارهاً مغتصبا
وإذا ما سجعت قمرية صاح من فرط الجوى وأحربا!

ومنها :

إخوتي بالشام بل يا سادتي[1] وأعز الناس أماً وأبا
الشناخيب الذرى من هاشم الصناديد الكرام النجبا

ص ـ وادي ضمد: واد مشهور في منطقة جازان، وبه اليوم بلدة عامرة بهذا الاسم رأيتها سنة١٣٨٥هـ ،وقيل لي أنها تقدمت بعد ذلك كثيراً. يسيل ضمد من جبال فيفا وبني مالك ويرفده وادي جورا الكبير، وكانت به بلدة نجران (غير نجران الشرق) .

ويصب ضمد في البحر بين صبياء شمالاً وجازان جنوباً .

ق ـ وادي جازان: أكبر اودية تهامة بعد وادي مور، له مجارٍ تجعله يسيل معظم فصول السنة ومن مسافات تزيد على ثلاثمئة كيل داخل السراة، وهو يقاسم وادي نجران الماء في سراة خولان الشمالية، وبعض سراة جنب من قحطان ، يسيل اكثر من ستين سيلة في السنة بين صغير لا يصل الى الخبت ومخبت ومبحر، وفي الثمانينات من هذا القرن أقيم فيه سد كبير يختزن وراءه بحيرة من الماء العذب يقدر طولها بثلاثين كيلاً، رأيت ذلك سنة١٣٨٥هـ عندما سال الوادي فامتلأت .

وله حوض واسع في الخبت ويسمى «خبت أم مسرحى» (المسرحي) ، سكانه قبيلة المسارحة، تدعي النسب في حرب بن سعد،

---

(١) العرب تسمى كل ماهو شمال شاماً ، وكل ما هو جنوباً يمناً ، وهذا ديدنهم إلى يومنا هذا والذروي قال هذه القصيدة وهو مسجون في زبيد يتشوق قومه وموطنه ، وهي طويلة تقرب من أربعين بيتاً .

وبعض أهل اليمن ينكر ذلك، ولا زال بنو حكم تلك القبيلة ذات الشهرة التاريخية هناك تسكن حيزاً من هذا الخبت مما يلي البحر، وبلدتهم هناك المضايا(٣٠) كيلاً شرق مدينة جازان ، وعلى مصب الوادي مدينة جازان قاعدة ذلك الاقليم الذي كان يسمى (المخلاف السليماني) وعشرات بل مئات القرى المنتشرة بين تلك المدينة والجبال الشرقية على بعد يزيد عن ٤٠ كيلاً ،ويجتمع في وادي جازان في الخبت أودية عديدة تتخلل ذلك الخبت، منها [١]: واديالأملح، ووادي المعاين، ووادي عقاب، ثم وادي الكور، ووادي الرباح، ووادي الفجا، ووادي الخمس، وهذا الاخير يجاور وادي خُلَب من الشمال .

ر ـ وادي خُلَب: واد فحل، ولكنه أقل من جازان وبيش، يسيل من السراة من جبل شدا ـ بالدال المهملة، وهو غير شدا زهران. وتسمى صدوره « بلاد الحُرَّث»: قبيلة معروفة هناك. قال أحدهم: انها من خولان، وديارها تتصل بخولان في الشرق، ثم يمر في ديار المسارحة المتقدم ذكرهم، بين خبت المسرحي شماله ، بلاد بني شبيل جنوبه، ثم يصب في البحر بين جازان شمالاً والموسم جنوباً، وهو ليس بعيداً عن حدود المملكة مع اليمن. وفيه عشرات من القرى، من اهمها: حاكمة ورمادة والدغارير ومختارة ، وكلها على عدوته اليسرى، واحد المسارحة،وجحا، وسوق الليل،على عدوته اليمنى، وقاعدته في الخبت (الأحد) أحد المسارحة ،والمسافة بينها وبين مدينة جازان ٦٠ كيلاً قبل التعبيد، الى الجنوب الشرقي، ومنها الى سامطة جنوباً عشرة أكيال أو نحوها، وكنت أرابط سنة ١٣٨٥ هـ في الدغارير، وعددت بنفسي ستين سيلة لوادي خلب، فكنا نذهب الى جازان في الصباح وليس هناك مطرولا سيل فنعود بعد الظهر وقد قطع السيل علينا الطريق، وعكس ذلك يحدث ، ومن قراه الشهيرة (الخوبة) قاعدة قبيلة الحرث .

(١) « معجم مقاطعة جازان » للعقيلي ص ٢٣٧ .



قبائل تهامة عسير

عن كتاب (عسير) لمحمود شاكر

أودية تهامة عسير

عن كتاب (عسير) لمحمود شاكر

ش ـ وادي لِيَة : واد ذو حوض واسع يجاور وادي خلب من الجنوب يتباريان في المنبع والمصب، يجتمع به في الخبت وادي (تعشر)، سكانه بنو شبيل جيران المسارحة في خلب، تمتد ديارهم على لية ويجاورهم بعض الاشراف العبادلة، ويجاور بني شبيل في الجنوب قبيلة بين (حُمَّد) لها تعشر ونواحيه أما قرب البحر فيجاور بني شبيل بنو مروان على الحدود بين الحضرور (قرية) والموسم ، وكلاهما على الحدود وقسم من بني مروان يمني الجنسية وقسم سعودي ، فوضعهم كوضع بني عطية على حدودنا من الأردن[1] وأهم قرى هذا الحوض : مدينة سامطة ، بلدة كبيرة تقع على ضفة وادي لية من الشمال وهي قاعدة هذا الحوض الى الحدود ، وتتبع جازان إدارياً ، ثم بلدة الموسم : ميناء صغير على الحدود بيننا وبين اليمن الشقيق ، وبلدة الطوال : تقع على الضفة اليسرى لوادي تعشر ، وفيها إمارة بني حمد ، والركوبة ، والقفل : للأشراف العبادلة ، وأبو حجر ، وغيرها .

والى هنا نأتي الى نهاية ما أردنا تسميته من الأودية التهامية المنحدرة من السراة التي مرت فيها الرحلة، ذلك ان رحلتنا ـ في السراة ـ وقفت عند نجران ، وهذا حذاء نجران من الغرب .

٣ ـ السهل الشرقي

هنا منطقة تعرف باسم (السهل) لأن اطلاقها في السراة لا يعني ، الا هي ، ولذا فهي عندهم لا تحتاج الى تمييز، إنما ميزناها باسم السهل الشرقي لأن السهول في الجزيرة كثيرة، يمتد هذا السهل من السفوح الشرقية لسراة ما بين الباحة الى نجران أو ربما الى مأرب، بين الرُّبْع الخالي الذي يعتبر جزءاً منه ـ أحد ـ حداً له من الجنوب إلى أودية بيشة والدواسر ،وما جاورها في الشمال ، ويقطعه في مسيره شرقاً امتداد جبل الطويق شرقي تثليث، حيث يوجد قسم كبير

---

(١) انظر كتابي « رحلات في بلاد العرب » فهناك ما أشرت إليه .

من هذا الجبل يمر غرب السليل فيمتد جنوباً. ويكون شمال شرقي نجران، ولعل جبل (خطمة)ـ شرق نجران الى الشمال قليلاًـ يعتبر امتداداً لجبل العارض .وغرب العارض تتخلل هذا السهل جبال أقل منه أهمية، مثل: جبال القَهَر، وجبل الوحيد، والعلم، وغيرها. وليس لهذا السهل حدود في الشرق؛ فهو يتصل بالدهناء عند التقائها بالربع الخالي، ويتصل في شماله الشرقي بالأفلاج من إقليم اليمامة ، ويشمل نفود الدحي على يسار وادي الدواسر .

وكما تتخلله جبال فيما بين السراة والعارض اليماني، نجد أن العروق وهي ـ حبال الرمل ـ تتخلله عندما يتجاوز العارض ، بحيث يصبح السير فيه في غاية الصعوبة إلا في الطرق المعبدة، وهي ليست كثيرة اليوم .

سكان السهل

تسكن هذا السهل أربع قبائل كبيرة ، كلها سبقت الاشارة اليها وتحدثنا عن فروعها وأنسابها .

١ ـ قبيلة شهران: وهي كما تقدم فرع من خثعم، وتسكن هذه السهل الممتد من السفوح الشرقية على امتداد وادي بيشة وما جاوره، وقد تحدثنا عنها فيما مضى .

٢ ـ قبيلة قحطان: (بقايا مذحج) : هذه تلي شهران من الشرق، وقاعدتاها: بلدة تثليث في السهل، وسراة عبيدة في الجبل بين الخميس ونجران . وتميل قحطان الى أسافل وادي بيشة عند الفرشة .

٣ ـ تلي قحطان من الشرق قبيلة(الدواسر) في وادي الدواسر، وقاعدتها السليل، وتنتشر هذه القبيلة حول جبل العارض اليماني، ونفود الدحي، وجبال القهر الى الافلاج . وتنقسم الى فرعين: الدواسر، وآل زائد. ويدعي الأولون منهم أنهم بنو دوسر بن تغلب، ولم أر مرجعاً قديماً ذكر ذلك . ويقال للثاني (آل زائد) عيال الملطوم . ويظنونه ملطوم مأرب .

وللباحثين فيهم آراء لم يتيسر ترجيح شيء منها . ولعلنا نعود الى موضوع الدواسر في مكان آخر من مؤلف آخر أن شاء الله .

٤ ـ آل مرة القبيلة اليامية المتقدم ذكرها في يام ، وهذه تقع شرق وجنوب الدواسر، وتتوغل في الربع الخالي، وفي الدهناء وتشرق حتى تصل الى واحة يبرين في الجنوب الشرقي من مدينة الخرج، وجنوب مدينة الهفوف الى الغرب قليلاً .

٤ ـ الطرق والمسالك

في هذه المنطقة كأيّة منطقة اخرى طرق ومسالك، بعضها يوغل في القدم إيغال تنقل الانسان وتنظيم السفر والقوافل، وطرق نشأت بنشوء وسائل المواصلات الحديثة، وهي طرق معبدة شقت بين المدن تاركة الطرق القديمة كلما كانت لا تتلاءم مع تخطيطها . وللطرق في الدرس الجغرافي مهمة قصوى، فأنت تقرأ أن بلدة كذا تقع على مسافة كذا على طريق كذا، وتنظر الى خريطة الطرق الحديثة فلا تجد ما تبحث عنه، لأن الطرق الحديثة لا تسير مسار القديمة، ولذا فقد رأيت أن اذكر هنا الطرق الرئيسية لهذه البلاد، وذلك بمتابعة المهم منها من مبدئه الى منتهاه .

أ ـ الطرق القديمة، وهذه طرق قوافل الجمال في العهد القديم، ثم سارت عليها السيارات، إلى زمن قريب :

(١) طريق الحج الحضرمي: يتجمع حجاج حضرموت في مكان يسمى (العَبَر) جنوب شرورى، بينها وبين الرأس الشرقي لرملة السبعتين، وهو مجمع طرق تتفرق في حضرموت ثم تجتمع في (العَبَر) ثم يتجه الطريق من العبر غرباً مع ميل تدريجي الى الشمال، فيمر بالخضران والعقير والريان، جاعلاً رملة السبعتين على يساره، وجل صيهد ـ بما فيه شرورى والوديعة ـ على يمينه، فيدخل اليمن من نجده، جاعلاً السراة على يساره فيمر بالمعو، ثم لا يلبث أن يأتيه طريق من اليسار آتياً من مأرب . ثم يأخذ شمالاً في السفوح الشرقية لسراة دهم من همدان، وفي الطرف الغربي لصيهد في أودية بها مياه، حتى يدخل نجران عند بئر خضراء (قرية الخضر الآن) . وهنا يجتمع إليه حاج نجران وما جاورها ، ثم يخرج من نجران باتجاه مطلع الشمس حتى يصل الى فم وادي حبونن فيعدل فيه قبلاً الى الشمال، وهنا تفترق منه طريق تأخذ الى اليمين سائرة في السهل الى السُّلَيّل ، وسنعود اليها. أما طريق الحاج فيبتل شاماً على طول وادي حبونن، ثم ينكثب في وادي تثليث ماراً ببئر الجعيفرة وأم الضباع ثم

تثليث، ثم يخرج من تثليث غرباً حتى يهبط بيشة في بلدة (الروشن) وهنا يجتمع بحاج صنعاء وصعدة السروي، ثم يفترق الى طريقين : (١) يأخذ شمالاً غربياً على بئر الجضعة ثم على (رَنْية) ثم يأتي الخرمة من الشرق . (٢) يأخذ من بيشة غرباً بشمال فيصعد حرة البقوم(حرة بني هلال قديماً) فيهبط في وادي كرا ذي المياه الوفيرة، ثم ينزل تربة فيأخذ منها غرباً جاعلاً جبل حضن على يمينه بينه وبين ذلك الذي افترق منه المار بالخرمة، ثم يمر بجبل عُنّ ثم كلاخ ثم الطائف في الآونة الأخيرة، أما قديماً فكان إذا هبط كلاخاً أخذ في جلذان جاعلاً الطائف يساره، ثم يمر في عكاظ ثم يأخذ المناقب إلى السيل الكبير(قرن المنازل)ثم في نخلة اليمانية ماراً بالزيمة فحنين (الشرائع الآن) فمكة. أما الذي خرج من بيشة الى الخرمة فيأخذ في جبل حضن ويرد بئر بريم ثم يجتمع مع سابقه في عكاظ ويسايره الى مكة .

(٢) طريق الحاج اليمني السروي :

يخرج هذا الطريق من صنعاء، بعد أن يجتمع اليه حاج : ذمار، ورداع، وقعطبة وجميع أنحاء اليمن الشرقي الجنوبي عدا مأرب ونواحيها، فيخرج شمالاً ماراً بحضور ثم عمران ثم خَمَر ثم حوت الى صعدة، وخلال هذه المسيرة تتفرق منه وتجتمع إليه طرق عديدة كالشرايين لبلاد اليمن .

وفي صعدة يجتمع به طريق اليمن الشرقي، وهو يخرج من مأرب، بعد أن يجتمع اليه حاج حَرِيب وبيحان والعوالق، وما صاقب تلك الديار. ثم يخرج في صحارٍ وجبال فيمر بأبراد عبيدة ثم (معين) ، وفي الجوف حتى يجتمع مع سابقه في صعدة. ومن صعدة يبتل شمالاً جازعاً فروع وادي نجران الفَرْع والعِرض، فيمر في ظهران ثم حرجا ثم تندحة- قرب خميس مشيط وكان قديماً يمر بمدينة(جُرَش) الواقعة شمال شرقي خميس مُشَيط، ولما اندثرت هذه المدينة[1]

---

(١) لم تعطنا المراجع المتيسرة لدينا تأريخاً لاندثارها ، غير أنها كانت عامرة في القرن الرابع الهجري .

مر الطريق بسوق الخميس خميس بن مشيط ، ثم يستقيم شمالاً مسايراً وادي بيشة، ماراً بخيبر[1] ثم بئر ابن سرّار ثم بلدة الروشن في بيشة، فيلتقي بالطريق الحضرمي. وهذا كان يطلق عليه اسم درب البخور، لأن توابل اليمن وحضرموت كانت تجلب الى الحجاز والشام على هذا الدرب . وهناك طريق يمني سروي آخر، وهذا الطريق يفترق من سابقه قرب أبها، فيأخذ منها شمالاً، ماراً ببلاد بالأسمر على عرف السراة، فيمر قرب النماص ثم على الظفير من بلاد غامد ثم معشوقة في بلاد زهران، ثم العقيق ثم وادي بسل ثم الطائف فإلى مكة .

(٣) طريق الحاج اليمني التهامي :

تخرج طرق كثيرة من تعز، ولحج، والمخا، وغيرها، وتكاد تجتمع هذه الطرق في الحُدَيدة ميناء اليمن الرئيسي، ثم يأخذ من الحُدَيدة على الزَّيْدية، ثم على لاعة، ثم بيت ضمار ثم حَرَض، ثم يجزع وادي لِيَة ثم وادي خُلب، ويستمر على الساحل ماراً بأبي عَريش، وصَبْياء وأم الخشب والشُّقَيق والقَحْمَة[2] وحلي والقنفذة ثم دوقة ثم الليث ثم السعدية الميقات على هذا الطريق .

ولما جاءت السيارات تخلخل هذا الطريق فأصبح عدة طرق ، ولكنها تسير كلها في مسار واحد على طول تهامة من أقصى اليمن الى مكة المكرمة .

ولما تقدمت الآلة أجريت إصلاحات على كثير من الطريق، وبموجب نظرية القز[3] فقد أهمل تتبع الطرق القديمة، فاندثرت قرى كثيرة أو تأخرت، ونشأت أخرى أو تقدمت بعد خمول. ولا زالت الطرق نؤثر في القرى وانتعاشها

---

(١) خيبر هذه ليست خيبر شمال الحجاز .

(٢) رأيت الملك عبد الله في مذكراته كتبها (القحبة) بالباء ، والمسموع بالميم ، ولا يعدو الأمر أن يكون سهواً أو أن اسمها القديم بالباء فغيّر استكراهاً ، ولهذا نظائر من عهد النبوة .

(٣) القز في اصطلاح المخططين : هو أن يكون الطريق مستقيماً قدر الإمكان .

أو ركودها، فجل القرى في صحراء العرب ما قامت إلا محطات للقوافل والمسافرين . وتحويل الطرق عنها يؤثر فيها تأثيراً جوهرياً ، فحبذا لو عمل المخططون قدر الامكان لتلافي ذلك .

ب ـ الطرق الحديثة في المنطقة :

بدأت الآلة في جزيرة العرب ببداية الحرب العالمية الأولى، ثم أخذت تنتشر، وتطورت طرازاتها وتنوعت أشكالها، فاستعملت استعمالاً واسعاً في الحجاز ونجد، غير أن الجزء الذي ندرسه ظل متأخراً، وظل انتشار الآلة يسير فيه ببطء وتركز فيما يعرف بسيارات الجيب، وهذه عندها قدرة على السير في الأراضي الوعرة وعلى الطرق الشاقة، فاستعملت الكثير من طرق القوافل القديمة، ولذا ظلت طرق اليمن[1] قريباً من حالتها عندما ابتدعها أهلها، غير ان العقد التاسع من هذا القرن ـ ١٤ ـ شهد تحسناً ملحوظاً في مواصلات ما بين مكة وحضرموت، وما بين مكة وصنعاء، فعبدت بعض الطرق فأصبحت على أعلى درجات الطاقة والحداثة، ويتركز هذا في عدة طرق حديثة رئيسية منها :

(١) طريق اليمن التهامي : هذا الطريق اشتق حديثاً سنة ١٣٩٨ هـ ، ولما يكمل بعد . خرج من مكة من المسفلة فترك درب اليمن القديم على يساره فأخذ في الساحل على أسافل أودية عرنة ، وملكان، والبيضاء ، وإدام، ويلملم ، وسعيا، ومركوب، ثم بلدة الليث الميناء المشهور[2] ثم على دوقة، فالقنفذة، فحلي ، فالقحمة، فالشقيق، فبيش، فصبياء، فجازان، فالموسم الى الزيدية والحديدة .

---

(١) العرب تطلق كلمة اليمن على كل ما هو جنوب مكة ، كما تطلق الشام على كل ما هو شمال ، حتى لو كان في اليمن .

(٢) أنظر عن هذه المعالم (معالم مكة التأريخية والأثرية) .

ومن الحديدة طريق معبدة الى صنعاء وطريق الى المخا من الحديدة ومن صنعاء .

ومن صنعاء طريق معبدة الى صعدة . وجدير بالذكر أن الطريق من مكة الى الحديدة تتحمل تكاليفه المملكة العربية السعودية .

(٢) الطريق السروي : وهذا شق من الطائف الى نجران، وهو ما وصفناه في سير الرحلة إذ كانت عليه إلى هناك .

(٣) طريق تخرج من خميس مشيط إلى الرياض مارة بتثليث فالسليل فالأفلاج فالخرج فالرياض .

(٤) طريق تخرج من نجران الى الرياض جاعلة الأرض الجبلية على يسارها ورمال الربع الخالي على يمينها فتلائم سابقتها في السليل .

(٥) أخرى تخرج من نجران الى الوديعة . وقد فصلنا ذكرها في الرحلة إلى شروري والوديعة . وباختصار فإن هذه الطرق الحديثة تكاد اليوم تعم كل مدن المملكة العربية السعودية وقراها، وما لم تصله فلن تلبث ان تصل اليه في القريب العاجل .

جغرافية منطقة نجران

ونعني بها هنا منطقة إمارة نجران[1] السعودية الواقعة جنوب أَبْهَى ، وقد ذكرنا المسافة بينهما في طريق هذه الرحلة .

ونقسم هذا البحث إلى أربعة أجزاء رئيسية ليسهل تفهمه : وادي نجران وسراته ، وادي حبونن ، وادي اليدمـة ، الصياهد والربع الخالي .

١ ـ وادي نجران : يأخذ وادي نجران أعلى مساقط مياهه من السراة الواقعة شرق جازان . حيث يتقاسم الواديان (نجران وجازان) الماء ، ويأخذ مياه ما بين صعدة في الجنوب الى قمة جبل الريث في الشمال ، وهي سراة خولان : سحار وبني مالك وبعض وادعة ، وله روافد عظيمة ، من أهمها : وادي العرض ، ووادي الفرع ، ويسير ـ حسب قول من وجدناه من يام عند السد ـ ثلاث مائة كيل من رأس السراة الى السد ، وقبيل السد تجتمع فيه ثلاثة أودية عظام ، هي :

١ ـ وادي مروان ، ويقولون (مرْوَن) : يأتي من جهات صعدة من الجنوب ، وهو امتداد وادي الفرع السابق ذكره ، وفيه مزراع وكروم ، وسكانه خولان ومعظمه في حدود جمهورية اليمن ، وفيه يسير طريق حاج اليمن من صعدة شمالاً ، ويسمى رأسه (سَرُوم) . .

٢ ـ وادي العرض : وهو ما قدمنا ، يأتي الى نجـران من الغرب العدل ، وله روافد وعليه قرى عديدة ومزارع ، وهو أيضاً لخولان ، سحار وبني مالك ،

---

(١) وكان هذا يسمى نجران اليمن ، تمييزاً عن نجرانات أخرى أقل منه شهرة ، منها نجران : قرية بوادي ضمد قرب جازان ، ومكان بالعراق .

وغيرهما، وكذلك قبيلة جماعة .

٣ ـ وادي كرا : واد يأتي من الشمال من بلاد وادعة الهمدانية، وهو قصير المدى قليل الأهمية بالنسبة الى سابقيه، وهو كله في حدود المملكة العربية السعودية .

ثم ينحدر وادي نجران بعد السد في ما يطلق عليه اسم نجران ، حيث الغابات من النخيل والأرض الزراعية الخصبة ومدينة نجران وقراها ، وهذا بلد يام ومقر الإمارة السعودية ، ويسمى وادي نجران ـ هنا ـ (دُلْهَام) وذلك على تعبيرهم لأن مسيله يدلّهم إذا سال فيكون جارفاً هائلاً ،ولكن هذا السد سيحد ، ولو نسبياً ـ من هياجه .

روافد دِلْهام ، أي روافد وادي نجران بعد أن يتسهل بين السد وجبل تصلال : من الضفة اليسرى أي الشمالية : دحضة : شعب يصب من جبال نجران الشمالية ، وفي مصبه حي باسمه. الأملاح : شعب يصب من الشمال . ذوحمى : شعب أيضاً من الشمال . الحج : من الشمال قرب الصعيد . الحيدين (جبلان) وشعب باسمها . أبو الرشاش : يصب على آخر مزارع نجران من الشمال ، به وشل ومنتزه حسن . وإذا تجاوزت مزارع نجران وقراه أتاك من الشمال على التوالي : الشعبين ، وعشر ، وصحبان ، والحشرج ، وعرجان ، والأثاية ، والدخول ، وهذه نهاية روافده الشمالية . ومن كل منها ترى جبل تصلال (جبل كعبة نجران) .

روافد نجران من الجنوب

نَهُوقة : واد متسع قابل للاصلاح ، وهو أولها مما يلي السراة بينها وبين جبل رير الضخم الذي يشرف على مدينة الأخدود . نهيّقة : بتشديد الياء والتصغير : تلي نهوقة مما يلي الشرق من جبل رير . سقام : من رير أيضاً . رِيْر : اسم شعب يصب من جبل رِيْر الضخم فوق آثار الأخدود . صخا : من الجنوب بعد الأخدود . الدريب : يلي صخا من الشرق . الشرفة : من الجنوب ، تراها من الصعيد جنوباً . عقرم وعقيرم شعبان : يصبان من الجنوب

قرب قرية الخضراء .

ويسير نجران بين سلسلتين من الجبال آخذة من السراة مشرقة كالساعدين ودلهام بينهما ، ولا فصل فيهما لمرور السالك حتى جاء عهد السيارات فشق الطريق في عقبة شلية في جبل بريم ، ثم يتجه شرقاً حتى يصب في الصياهد فيما يسمى بشقة نجران قرب الربع الخالي ، وهناك قد يجتمع به أو يقرب منه وادي حبونن .

جبال نجران

يقع وادي نجران ومدينته اليوم بين سلسلتين جبليتين ممتدتين من الغرب إلى الشرق ، مبدؤ هما من السراة ومنتهاهما في الرمل ، وهما تتكونان من جبال مغر جرد وعرة المسالك ، أهم مسالكها طريق نهوقة ، ولذا كان حاج حضرموت يأتي إلى نجران من الشرق ويعود مرة أخرى إلى الشرق حيث يسلك وادي حبونن . ومن أهم الجبال المحيطة بنجران :

١ ـ من الجنوب الغربي الى الجنوب الشرقي : **أبو همدان** ، **رعوم** : عليه قلعة بناها عبد الله بن يحيى إمام اليمن وفي أول هذا القرن ، ورعوم هذا وفي وسط الوادي من صدره . ريـر : جبل ضخم هو أهم ما في السلسلة الجنوبية يشرف على كل نجران ويقع جنوب وسطه . الأحمر ، ويقولون : الحَمَر : يشرف على الأخدود من الجنوب . صخا : أسفل الوادي يمين الدرب المشرق . **الدُّرَيب** : بعد صخا من الشرق بينه وبين قرية الخضراء . **النصال** : قبل صخا بينه وبين رير . **زُكَم** : بعد صخا والدريب ، ثم تليه **جبيلات الشرفة** ، ثم **الخليف وجبل الخضراء** ، وما جنوب هذه الجبال يسمى **الأفراط** ، وأهله همدان .

٢ ـ من الشمال الغربي إلى الشمال الشرقي : **صامح** : يشرف على البلد من الشمال ، وكلمة البلد تعني نجران القديمة ، وتسمى (أبو السور) . **فريع بني سلمان** . **الخُلَعَة** . **العجمة** . جبل **الصقور** . **قرن سري** : بين دحضة وأبو غبار . **جُذَيم** . **جبال عكام** : فوق الصعيد . **الصريمة الكبيرة والغبراء وصهيبة والمنقح** : كلها تشرف على الصَّعِيد . **بُرَيم** : جبل

خشن أخشب أمغر ، يأخذه الطريق المسفلت إلى الشمال ، إلى ظهران وأبْهَى ، وفيه عقبة شلية الكأداء . **العان** : شرقي بُرَيم ، وأبو الرشاش بينهما . **المنارة** : تلي العان من الشرق . المسماة : غربي العُرَيّسة . **أجبل الأثاية** : أجبل قليلة الارتفاع تشرف على الطريق إلى المطار من اليسار .

عمود السفح : جبلان على يسار الذاهب إلى المطار . **المستطيل** : بين العريسة والمطار . **صهبان والوعير والشعث** - جمع شعثاء - : شمال شرقي المطار على مرأى . **تصلال** : جبل أسود في وسط السهل : أنظره في قسم الآثار .

جبال : **لهام وحامر وضبع** : بين أسفل نجران وأسفل حبونن ، شمال تصلان . **جبل بني أكلب والنبطاء** : شرق تصلال ، ولا بعدها إلا الرمل . **الرُّكيبة** : تصغير ركبة : بعد خضراء نازلة على سيل الوادي قرب الجسر على طريق شروري . **جبلا بني جعل** : الأبيض والأسود ، بعد خضراء إلى الجنوب الشرقي . **بني حميقاء** : جبلان فيهما ماء : آخر هذه الجهة من الجبال داخل الحدود السعودية ، جنوب شرقي خضراء .

استراتيجية نجران

تقدم معنا القول بأن نجران يقع بين سلسلتين وعرتين من الجبال التي لا منافذ لها، إلا منافذ محدودة معروفة جيداً، هاتان السلسلتان تحفان به ـ كما تقدم أيضاً ـ من الشمال والجنوب ، ثم يرتكز في الغرب على السراة المعروفة بعلوها وصعوبة مسالكها ، أما في الشرق فهناك صحراء تيه من الأرض لا ماء فيها ولا شجر ، تظهر في قسمها المجاور لنجران أجبل منقطعة معزولة عما حولها ، فهي بهذا أصلح ما تكون للمراقبة ، وكل باد في رأس واحد منها تنكشف له مسافات كبيرة من تلك الصحراء .

يقع بين هذه الحدود المنيعة ماء وزرع ومتسع يمكن أن يقام فيه سكن مكتفٍ ذاتياً ـ ولو نسبياً ـ عما حوله .

ولذا نرى في تأريخ نجران ظواهر لا نراها في كثير من البلدان التي تفوقه اتساعاً وسكاناً وخصباً ، منها :

١ ـ احتضانه للأديان منذ عرفت، فقد عرف اليهودية، ثم النصرانية، ثم عاشا معاً حتى جاء الاسلام ، فأصبح في نجران ثلاث ديانات تتعايش حتى نفى عمر رضي الله عنه غير المسلمين . فلما تعددت مذاهب المسلمين تسابقت هذه المذاهب إلى نجران وكل منها يراه معقلاً يمكن أن يبث منه مذهبه ، ففيه اليوم : السنة ، والزيدية ، والاسماعيلية . ولم تشأ الحكومة السعودية إرغام الناس على اتباع مذهب السنة، فتعايشوا فيه .

٢ ـ كثرة الحروب في نجران من لدن ذي نواس إلى عهد الامام يحيى إلى عهد الملك عبد العزيز . ويبدو أن أهل نجران وجدوا ضالتهم في الحكم

السعودي ، فلم نسمع ولم تحدث أية معارضة منهم منذ انضمام هذا البلد إلى المملكة العربية السعودية .

٣ ـ قيام صناعات وتجارة رائجة في نجران لكثرة السكان وخصوبة الأرض والشعور بالاستقرار .

أهم القرى في وادي نجران

١ ـ **الموفجة** : قرية زراعية جميلة غزيرة الماء كثيرة البساتين ، تقع في حلق نجران بعد السد .

٢ ـ **سلوة** : بعد الموفجة لحادر الوادي يشرف عليها من الشرق جبل رعوم ، ذات زرع ونخل .

٣ ـ **زور آل الحارث** : قرية بجوار الموفجة على الضفة اليسرى للوادي

٤ ـ **بُرّان** : تقابل رعوم ، لآل الحارث .

٥ ـ **العان** (عان المكارمة) : قرية بجنب جبل العان المتقدم ، فيها آثار وبقايا بيوت ، يقال : إن المكارمة عندما نزلوا نجران نزلوها أولاً ، ثم انتقلوا إلى خشيوة .

٦ ـ **خُشيوة** : تقع على يسار الوادي ، وهي مقر الداعية المكرمي وسكن مكارمة نجران ،والمكارمة الباقون يسكنون « بدراً » من رأس حبونن .

٧ ـ **أبو السور** : تسمى البلد ، وهي أم قرى نجران ، أي نجران القديمة ، وهي مدينة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ، وبها اسواق تجارية ضخمة ، ومبيع للأغنام والإبل ، بالإضافة إلى أنواع المجلوبات والفواكه وغيرها . وقد لفت نظري غلاء البن فيها رغم قربها من مزارعه في اليمن .

٨ ـ **صَنْعاء** : قرية للأشراف ، أصبحت تعد حياً من أحياء نجران ، ويقال لأهلها : أشراف صنعاء ، وليس المقصود صنعاء عاصمة اليمن .

٩ ـ **عويرة** : قرية للأشراف أيضاً قريبة من صنعاء .

١٠ ـ **ضَجَّة** : بين البلد والصعيد ، على يسار الوادي .

١١ ـ **الصَّعيد** : عند أول زيارة لي قبل ثلاث سنوات كان الصعيد صعيداً بالفعل ، صحراء ظاهرة على يسار الوادي ، ولكن في رحلتي هذه وجدت الصعيد مدينة فسيحة الشوارع ، كثيرة الدارات الجميلة ، وقد انتقلت إليها جميع دوائر الحكومة ، وكان انطباعي عنها يشبه الذهول ، ولكن هذا العهد مذهل حقاً وإلاّ في أي عهد تتحول صحراء قاحلة إلى مدينة عامرة خلال ثلاث سنوات ؟!

١٢ ـ **خضراء أو الخضراء** : آخر قرية يؤخرها وادي نجران يمينه وهو يؤم الصحراء الواسعة (صهيد) .

وإذا كانت هناك قرى عديدة أخرى غير هذه فعذرنا في عدم ذكرها أن جميع هذه القرى قد توسعت حتى اختلط بعضها ببعض ، فأصبح الوادي يبدو مدينة واحدة تعج بالحركة النشطة ، وهي في ثورة عمرانية وزراعية وتعليمية لم تر مثلها من قبل . هذا وصف مجمل لوادي نجران وقراه ، أما ما قاله عنه المتقدمون فلا يجوز اهماله ، إنما أجلناه لبحث (تاريخ نجران) ذلك أن التأريخ والجغرافية يختلطان في كتب المتقدمين ، فانظر ذلك الفصل .

وادي حَبَوْنَن

هكذا اسمه القديم (حَبَونن) : كذا ذكره الهمداني بفتحتين ، فقال[1] : ليام وطن بنجران نصف ما مع همدان[2] منها ، ثم بلدهم يطّرِد عليها ناحية الحجاز إلى حدود زُبَيد ونهد من ناحية حارة وما يليها ، وهي حارة وأملاح وسَمَنان فإلى ما يصالي خليف دكم من أعالي حَبَونن ، وبخليف دكم قتل عبد الله بن الصِّمَّة أخو دُريد ، والحظيرة وبَدْر وصيحان وقابل نجران ، وهدادة والحظيرة بأعلى حَبَونن . وفي مكان آخر يقول[3] : « وأما محجتها (حضر موت) السفلى فمن العَبَر في شيز[4] صيهد إلى نجران شبه من ثمانية أيام ، ثم من نجران حَبَونن[5] ، وهو واد يغيب من بلد يام من ناحية سمنان ، وهو كثير الأرطى ، وبه بئر زياد الحارثي جاهلية[6] ، وحبونن بكسر الحاء (كذا هنا) من مناهل العرب المشهورة .

وذكره ياقوت بفتحتين ، نقلاً عن صاحب الكتاب (سيبويه) ، ثم أورد للأجد بن مالك :

---

(١) « صفة جزيرة العرب » ص : ١٦٦ ، ٢٥١ ، ٢٥٤ .

(٢) ذلك أن يام فرع من همدان .

(٣) ص ٣٤٢ .

(٤) الشيز : الجهة المنحرفة عن الجادة المستقيمة .

(٥) أي على حبونن .

(٦) زياد بن عبيدالله بن عبد الحجر بن عبد المدان ، وقيل : زياد بن عبيد الله بن عبد المدان ، والي مكة والمدينة والطائف في عهد أبي العباس السفاح والمعتصم (العقد الثمين في تأريخ البلد الأمين) .

ولحقتهم بالجزع جزع حَبَوْنن يطلبن ازواداً لأهل ملاع

ولو علة الجَرْمي :

ولقد صبحتُهُمُ ببطن حبونن وعليّ إن شاء المليك به ثنا
سعي أمرىء لم يُلهه ، عن نيله بعض المفاقر من معايشة الدنا

ثم لم يلبث أن اورد الاسم (حبونى) بالتحريك والقصر ، وهو قريب مما ينطق اليوم، ثم أورد قول ابن يحيى السمهري :

خليليَّ لا تستعجلا وتبيَّنا بوادي حبونَى : هل لهن زوال؟
ولا تيأسا من رحمة الله واسألا، بوادي حبونى ، أن تهب شمال
ولا تيأسا أن ترزقا أرحبيةً، كعِين المها أعناقهن طوال
من الحارثيين الذين دماؤهم حرام ، وأما مالهم فحلال[1]

وتركنا هناك تعليلاً وأقوالاً .

قلت : أما اليوم فيقال (حبونا) بفتح أوله وضم ثانيه ، ولما قلت للشيخ عبد الرحمن بن قعوان شيخ حبونا : حبونة . قال : لا ، بل حبونا .

مجرى حبونا وفروعه وقراه

يأخذ وادي حبونا أعلا مساقط مياهه من السراة الواقعة إلى الشمال الغربي من بلدة نجران ، وإلى الغرب من ظهران اليمن ، وهناك سراة وعرة تسمى (قلة الموت) من أطراف بلاد الريث الشرقية، يأخذ حبونا مياهه الشرقية ومياه الفيض والجبل الأسود الذي يغلب اليوم عليه اسم **سراة عبيدة** ، أما من الشمال فيقاسم تثليث الماء من حزوم تقع جنوب سهل العمق شرق خميس مشيط .

ويعتبر وادي حبونا ثاني واد مهم في المنطقة بعد نجران ، وسكانه يام ، ما

---

(١) الحارثيون : بنو الحارث بن كعب ، وكانوا أهل حبونى .

عدا نواسغه العلا فلـوداعة وفروع من قحطان .

وتتجمع فروعه في مكان يسمى **المجمع** ، وقد وصفناه في مذكرات الرحلة ، ثم يتجه الى مطلع الشمس ماراً بين جبال شقران إلى يساره ورملة عرمرم إلى يمينه فيدفع في صيهد ليس بعيداً عن مصب وادي نجران حيث يضيع ماء الواديين في ذلك السهل القاحل الرملي ، وربما اجتمع سيلاهما هناك .

فروع حبونا

١ ـ **صيحان** : من أكبر روافد حبونا ، يأتي من الجهة الغربية ، وفيه من الروافد : كُهلان : بضم الكاف ، ومَطَارة : بالتخفيف ، وخَيْرة ، وقاب ، فيه قرى وزراعة ، واهله الوعلة من آل فاطمة .

٢ ـ **وادي حَلاَل** : بالتخفيف ، ثاني وادٍ يرفد حبونا ، فيه قرى عديدة وتصب فيه شعاب كثيرة .

٣ ـ **وادي بدر** : وبدر قرية كبيرة لها إمارة وشرطة وسمي الوادي بها ، وهو رأس حبونا من جهة الشمال ، يمر شرقي ظهران اليمن ويأخذ مياه سراة عبيدة الشرقية .

٤ ـ **كتنة** : شعب كبير هبطنا فيه من عقبة دَسُـوم ، يصب في حبونا من اليمين فوق شط الأسلوم (قاعدة حبونا) ، فيه لزم مياه إذا جاء المطر .

٤ ـ **وادي تَريمة** : يصب في حبونا من اليسار ، في وسطة من تحت شط الأسلوم ، وفيه عدة قرايا ، منها : الجوفاء ، وفيه زراعة ، وأهلة الوعلة من آل فاطمة .

٥ ـ **وادي الحِبَابة** : بكسر المهملة وتخفيف الموحدة : يصب من يسار الوادي على قرية الوسيعة بينها وبين شط الأسلوم ، وجدنا عند مصبه منزل العمدة وشيخ الأسلوم ابن قعوان .

٦ ـ **وادي ثار** : بالمثلثة والتخفيـف : يصب في حبونا من اليسار أيضاً ، فيه قرى وزارة وشرطة ومدارس ومستوصف صحي ، سكانه الوعلة من آل فاطمة والأسلوم ، وهو يصب في اسفل حبونا ، ومن هذا السياق تعرف أن آل فاطمة لهم شرك كبير من الوادي مع الأسلوم .

٧ ـ **قَطَن** : يصب في حبونا من اليسار أيضاً في اسفله بعد وادي ثار ، وهو آخر الروافد مما يلي السهل ، فيه قرى وزراعة وإمارة ومدرسة ، وسكانه الوعلة من آل فاطمة .

٨ ـ **سَبُوحة** : يصب في حبونا من اليمين في وسطه .

٩ ـ **ظِلْم** : كذا نطقه ابن قعوان بكسر الظاء المعجمة وسكون اللام : يصب من اليمين بعد سبوحة ، فيه سد طبيعي .

١٠ ـ **وادي مريخة** : بعد ظلم .

١١ ـ **وادي صِخي** : نطقه ابن قعوان بكسر الصاد ، والياء بعد الخاء المعجمة : واد يأتي حبونا من اليمين كثير السكان من البادية المستقرة أي المتهجرة .

أهم الجبال التي تحيط بوادي حبونا :

١ ـ **الجبل الأسود** : سراة تعرف اليوم بسراة عبيدة ـ فرع من قحطان ـ أو جزء من تلك السراة ، يقع شمال ظهران ، ويرتفع (٢٢٩٤) متراً عن سطح البحر ، وهو ذو قرى ومزارع لقبيلة عبيدة .

٢ ـ **جبل النظيم** : ويقع شمال قاعدة حبونا (شط الأسلوم) تسيل مياهه الغربية في حبونا ، والشمالية في وادي يدمة ، وتسيل الشرقية في (المندفن) صيهد قرب نهاية العارض من الجنوب بينه وبين جبل خطمة ، يرتفع النظيم (١٤٤٢) متراً عن سطح البحر ، وسكانه يام .

٣ ـ **خصارة حبونا** ـ كذا ظهر على الخريطة بخاء معجمة وصاد مهملة وراء بعد

الألف فهاء ـ جبل من أهم الجبال في الجانب الأيمن من وسط حبونا ، فيه العقبتان المارتان معنا في مذكرات الرحلة : دَسوم وضُببين . ويرتفع عن سطح البحر (١٢٧٤) متراً ، وجميع مياهه في حبونا ، وسكانه قبيلة يام .

٤ ـ **جبل شَرُقان** : يشرف على قاعدة حبونا من مطلع الشمس ، ويسقيها ماءه الجنوبي .

٤ ـ **جبل أم خرق** : بعد شرقان من الشمال ، فيه خرم يتسع لدخول الجمل لينفذ فيه من جهة الغرب إلى جهة الشرق ، وسيله في وادي تريمة : أحد روافد حبونا . وقد يستغرب من لم ير جبلاً مخروقاً من عرض بحيث يرى من في شماله من في جنوبه مثلاً ، ولكن هذا أمر مألوف مشاهد كثيراً ، ففي وادي يلملم جنوب مكة جبل مخروق ترى من ورائه السماء ، وفي الرياض جبل يسمى أبو مخروق : إذا كنت في غربيه ترى مع ذلك الخرق من في شرقيه .

٥ ـ **جبل خُطمة** : بضم الخاء المعجمة : يقع قرب مصب وادي حبونا في شماله الشرقي ، منقطع في الرمل عما حوله ، شماله صيهد المندفن ، وجنوبه المنبطحات : صياهد يصب فيها كل من نجران وحبونا ، وقد ذكره الهمداني[1] فقال : وخطمة بئر بالرمل دون العارض ، احتفرها عبد الله بن الربيع المداني في عصر العباس السفاح ، والبراق ماء بأعلى وادي ثار ، والزيادية[2] بحبونن ، والحُصَينية أسفل منها على شط الوادي . قلت : وليس بين خطمة وآخر العارض إلاّ صيهد المندفن ، ولعل أحدهما يرى من الآخر ، خطمة جنوباً وخشم الفرائد ـ نهاية العارض ـ شمالاً ، وهو لقبيلة يام ، ويرتفع عن سطح البحر (٩٠٤) أمتار .

٦ ـ **جبل القصة** : كأنه أحد نعوف جبل خطمة ، أو هو جانبه الجنوبي ، ماؤه

---

(١) ص ٢٥٤ .

(٢) نسبة الى زياد بن عبيدالله المداني الحارثي المتقدمة الإشارة إليه .

يصب في المنبطح ، صيهد من الأطراف المتصلة بالربع الخالي من الغرب ، وارتفاعه (٨٨٨) متراً . فإذا عرفت أن أكثر عروق الربع الخالي ترتفع (٤٠٠ ـ ٥٠٠) متر ، عرفت أن هذا الجبل غير عظيم الارتفاع .

٧ ـ **جبل شقران** : على يسار وادي حبونا إذا فاض في الرمل ، وهو قليل الارتفاع ، تراه على يسارك وأنت تسير على طريق نجران الرياض ، الجديد .

أهم القرى في وادي حبونا(١)

١ ـ **بَدْر** : قرية قديمة تقع في الشمال الشرقي من ظهران ، في واد يعرف بها ، فيها زراعة وإمارة ومدارس ومرافق كالشرطة والمحكمة ونحوها ، وقد نزلها قسم من المكارمة دعاة الاسماعيلية في نجران ، ولعل نزولهم هذه القرية على حدود قبيلة قحطان كان يراد منه بث الدعوة في تلك القبيلة التي أصرت حتى الآن على عدم قبولها ، وتجدر الاشارة إلى أن قبائل يام الموجودة بعيداً عن القاعدة نجران : في يدمة والصياهد وقرب شروري لم تدخل حتى الآن في الدعوة الاسماعيلية، من هنا رؤ ي أن إنشاء قاعدة في بدر لا بد أن يأتي بجديد إلى هذا المذهب الذي تجمد في ثلثي أهل نجران ولم ينتشر في من جاورهم .

٢ ـ **شط الأسلوم** : شط الوادي كشط النهر : جانبه ، والاسلوم : قبيلة من يام سبق الحديث عنها ، وهذه القرية في وسط وادي حبونا ، وأصبحت تسمى (حبونا) وهي قاعدة الوادي عدا منطقة بدر ، فهي تراجع نجران رأساً ، وفي شط الاسلوم ـ عدا الإمارة ـ محكمة ومدارس وشرطة ونحو ذلك . ولها سوق وعدي هو يوم السبت، ويسمى سبت حبونا ، وتبعد عن الطريق بين نجران وظهران ٣٢ كيلاً شرقاً .

---

(١) قال عبد الرحمن بن قعوان : إن في وادي حبونا (٤٠) قرية . ونحن هنا نأتي بأهمها فقط .

٣ ـ **بنو دهيم**: قرية باسم أهلها ، تبعد ثلاثة أكيال عن شط الاسلوم إلى أعلى الوادي .

٤ ـ **النقعاء** : فوق قرية بني دهيم بينها وبين المجمع ، ذات نخل وزرع .

٥ ـ **المجمع** : عدة قرى متجاورة حيث يجتمع أهم رافدين لحبونا : صَيْحان ، وحَلال . من هذه القرى : آل أبا الطحين ، السليّمة ، دوَّح ، المخْمَرة .

٦ ـ **الحَرْشف** : عدة قرى متجاورة ، فوق المجمع .

٧ ـ **هدادة** : قرية قديمة ذكرها الهمداني ، ولها قرى تابعة عديدة ، وفيها إمارة ومدارس وشرطة .

٨ ـ **قرى صيحان** : قرى كثيرة في وادي صيحان ، منها : آل أبو طلعة ، وغيرها

٩ ـ **الجفة** : عدة قرى .

١٠ ـ **أم الحوض**: قرب الجفة .

١١ ـ **الحضيرة** : عدة قرى متجاورة ، بها مدارس وزراعة .

١٢ ـ **رَضيّة** : عدة قرى مجمعها الخانق ، منها : قرية آل قُنّة ، وآل دوكر .

١٣ ـ **القرن** : عدة قرى ، حيث يجتمع واديا كُهْلان ومطـارة رافدا صيحان وفي كهلان آثار وكذلك في مطـارة ، والى هنا تنتهي قرى يام من أعلى وادي حبونا .

١٤ ـ **الوسيعة** : من قرى أسفل الوادي تنظر منها إلى شط الأسلوم قاعدة حبونا ، وهي : ـ **الوسيعة** ـ قرية مضيفنا ابن قعوان شيخ الاسلوم .

١٥ ـ **الخضر** : جمع خضراء : ثلاث قرى متجاورة ، أسفل من شط الاسلوم .

١٦ ـ **آل عبيد** ، وقشيعة ، وزور مفلح ، وعُصيم ، والمندود ، وكلها على الضفة اليمنى من الوادي بعد القاعدة شط الاسلوم .

١٧ ـ قرية المصلب العليا ، والمصلب السفلى ، وفيها إمارة : على الضفة اليسرى من الوادي في إسفله .

١٨ ـ الحجف : في منطقة قابل ، عدة قرى .

١٩ ـ قرية سَلْوة : بئر ونزل قليل ، والاسم أصلاً لبئر قديمة مورد للبادية .

٢٠ ـ النقعاء السفلى : أسفل الوادي قرب مصبه في السهل .

٢١ ـ الضيقة : مجموعات من البيوت المتناثرة .

٢٢ ـ الحُصَينيّة : قرية مهمة ، هي آخر القرى مما يلي السهل على الجانب الأيمن من مصب وادي حبونا في السهل، يمر بها الطريق الخارج من نجران إلى الرياض ، وتقع بين جبل خصارة حبونا وجبل شقران ، ومنها طريق يأخذ ذات اليسار إلى جبال الظليم والعلم ، وهو الطريق الحضرمي الذي وصفناه في فصل الطرق .

انتهى ـ باختصار ـ ما دوناه عن حبونا ، وهناك فائدة من النظر الى خريطة التعليم في منطقة نجران .

وادي يَدَمَة

واد يقع شمال حبونا يقاسمه الماء من الجانب الأيسر ، ويأتي بعد حبونا في الاهمية ، يأخذ مياه جبال النظيم الشمالية ، وجبل القارة ،وجبال الكوكب، ومياه جبل العلمان الجنوبية ، وبعض مياه جبال الوحيدي حيث يقاسم تثليث الماء في تلك الجهات ، ثم يتجه شرقاً فيصب بين منطقته الجبلية وبين سلسلة آخر جبل العارض الجنوبية ، في صيهد . وهناك يمر طريق نجران إلى الرياض . وله روافد عديدة أكثر تسمى بالجبال التي تسيل منها ، مثل : وادي النظيم ، ووادي الكوكب ، والعلم وغيرها . ويقع وادي يدمة بين خطي الطول (٤٤ و٤٥° ، وخطي العرض ١٨ و١٩)

أهم القرى

يدمة : بالتحريك : كانت بئراً في هذا القفر ، وهي قديمة ، ثم تكونت عليها قرية أصبحت قاعدة المنطقة ، فيها مسجد ومدرسة وإمارة وشرطة ومحكمة وجل أهل يدمة سنيون .

وتقع بلدة يدمة إلى الشرق تماماً من خميس مشيط ، تبعد عنه قرابة (١٣٠) كيلاً بالمسافة الأفقية ، والطريق إليها غير معبد ، وتعتبر ـ لغير أهلها ـ من مجاهل البادية ، وقد حذرنا الكثيرون في نجران وحبونا من ارتيادها دون دليل يعرف الطرق جيداً ، ذلك أنها في أرض وعرة ومضلة لغير العارفين بها . وهي آخر ديار يام مما يلي الشمال ، وبالتالي آخر حدود إمارة نجران . وسماها الهمداني (يدمات) حين قال[1] : وقلْتُ يقال له يَدَمات ، والملحات ، ولوزة وشِسْعَى. قلتُ أيضاً من أسفل غاذ والكوكب[2] ماء أسفل حمى[3] بجبل منقطع بالغائط دون العارض[3] وخطمة . . . الخ

ثم قال ـ بعد أن عدد مياهاً كثيرة من حبونا ويدمة ـ : هذا اعداد شمالي بلاد بني لحارث . قلت : وهي اليوم ـ كما قدمنا ـ شمالي بلاد يام . وبلحارث انضم معظمها إلى يام ، ولا زال قبيل كبير منها يعرف باسمه الصريح (بلحارث) .

وكانت ديار بلحارث تضرب دائرة حول نجران حتى نهاية القرن الرابع ، ثم اختفت أخبارها ، وكانت همدان قد تغلبت على هذه الديار بمناصرتها الزيدية قبل انشقاق يام عنها ، فدخلت بلحارث في يام من همدان نتيجة الضغط وحب البقاء ، ولهذا نظائر في الأمم .

---

(١) « صفة جزيرة العرب » ص ٢٥٤ .
(٢) لا زالا معروفين .
(٣) لا زال هذا الجبل يرى بين العارض وكوكب .

الجبال التي تغذي وادي يدمة بالمياه :

يحيط بوادي يدمة عدد من الجبال الشوامخ وبعضها يتصل بجبال أخرى على شكل سلاسل جبلية ، من هذه الجبال :

١ ـ **النظيم** : وهذا مر ذكره في جبال حبونا ، لأنه يقع بين الواديين ، ويأخذ كل منهما ما يليه من مياهه .

٢ ـ **القارَة** : بالتخفيف : جبال تقع شمال منهل (حمى) تتصل بجبال النظيم من الشمال أيضاً ، وتستمر حتى تتصل بجبال الكوكب .

٣ ـ **جبال الكوكب** : تتصل بجبال القارة من الشمال ، وتنقطع في شماليه حيث يحف بها وادي يدمة من الشمال .

٤ ـ **سنح** : جبل وراء وادي يدمة شمالاً حين يصب في السهل ، يقابل القارة بينهما الوادي ، يرتفع سنح **١١٧٩** م عن سطح البحر .

٥ ـ **جبال العلم أو العلمان** : تقع على الضفة اليسرى لوادي يدمة فتعطيه سيلها الجنوبي ، بينما يذهب سيلها الغربي إلى نواشغ تثليث ، يرتفع جبل العلم **١١٩٢** م ويجاوره من الغرب جبل المطبق (**١٤٢٣** م) وكله تثليثي الماء ، بينما يجاور العلم من الشرق إلى الشمال الشرقي جبال الوحيدي : سلسلة جبلية خشباء جل مياهها في تثليث ، ثم تأتي جبال (**القهر**) في آخر شمال هذه المنطقة ، وهي سلسلة تمتد من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي ، مياهها الغربية والشمالية في تثليث والشرقية في وادي الدواسر .

٦ ـ جبل **العارض** : هذا الجبل يقبل من اليمامة ، واسمه هناك جبل (**طُوَيق**) ثم يستمر جنوباً فيمر غربي الرياض ثم غربي حوطة بني تميم ثم غربي الافلاج ثم يمر عند السُّليّل فينفصم في فج عميق يتصل فيه وادي تثليث بوادي الدواسر ، ومن السليل وجنوب يسمى **العارض** .

أما غربيه فتقع نفود السر غرب إقليم الوشم، ثم فلاة ذات جبال وأودية من عالية نجد، ثم نفود الدحي التي تتصل بوادي الدواسر في الشمال، ثم وادي الدواسر والجبال التي مر ذكرها، إلى ان ينقطع في الرمل شرق مصب وادي يدمة، واهم ما في هذا الجزء قرية (الفاو) في منتصف الطريق تقريباً بين جبال الوحيدي وقرية (**تمرة**) وقرية تمرة هذه قرب السليل من وادي الدواسر، وبها كان يسمى وادي الدواسر (**عقيق تمرة**) وهو أحد الأعقة المشهورة في بلاد العرب .

والفاو : قرية أثرية عثر فيها على آثار وكتابات مسمارية ومساند، ويعتقد بعض الباحثين أنها كانت من المحطات الرئيسية على طريق تجارة اليمن وحضرموت . ونظرة الى الخريطة تجعلك تجزم بأن الطريق بين جنوب الجزيرة واليمامة والخليج والرافدين كانت فعلاً تمر هنا، فتحمل البخور والزبيب وأطايب اليمن إلى تلك البلدان، ثم تعود قوافلها محملة بالتمور والقمح وغيرها .

وآخر جبل العارض هنا يسمى (**خشم الفرائد**) وهو قليل الارتفاع (٩٢٨ م) ومنه إلى الشرق يبدأ الربع الخالي .

انتهى إلى هنا ما أردنا ذكره عن يدمة وما حولها .

الصياهد والرُّبْع الخالي

في جنوب الجزيرة العربية صحراء قاحلة ، تتكون من بحور من الرمال آخذ بعضها برقاب بعض ، لا يكاد يوجد فيها مسلك لسالك أو مطرق لطارق ، غير مخارم وشقائق لا يعرفها إلا قلة من الأدلاء الذين عاشوا في هذه الصحراء فخبروا خفاياها وعلموا مجاهلها ، وكم قافلة ضلت طريقها فابتلعتها هذه الرمال ، فكان خبرها كخبر القارض العنزي .

قيوم هذه الصحراء الرملية الربع الخالي ، وعلى جوانبه تمتد صحار ذات رمال خفيفة تتخللها أراضٍ جلدة ، هذه الصحاري تسمى : **الصياهد** .

والصياهد : جمع صَيْهد ، وهي ـ عند العرب ـ ما ينطبق عليها وصفنا آنفاً ، أي أراض ذات رمل وجلد يتخلل بعضها بعضاً .

أما عند أهل اليمن فهي علم على صحراء ـ من هذا النوع ـ تمتد من نجران إلى رملة السبعتين شرق مأرب ، وتحدها من الغرب جبال اليمن ، ومن الشرق الرُّبع الخالي .

ونجد في « صفة جزيرة العرب » شاهداً صريحاً على ما ذهبنا إليه ، وهو قصيدة لابن الأشعث الجنبي يصف فيها مفازة صيهد حيث سلكها الى نجران ، فقال[1] :

هـلاّ أرقـت لبـارق مُتهـجّـد   بـرق تـولّـع في حبيّ منجـد
بـرق يـذكـرك الخـريـدة إنهـا   علقت عـلائقها طـوال المسنـد

(١) « صفة جزيرة العرب » ص ٣٨٣ .

علقت علائقها فما إن بعدها عندي بناقصها إذا لم أزدد
فلقد ذكرتك ثم راجعت الهوى يوم الشرى ودعوت ألَّا تبعدي[1]
وعشية قبل الطريق يمانياً حل العرائس صادراً من مذود
حزأت حوازي في حياتي أن أرى ما كنت أوعد من مفازة صيهد
فإذا مفازة صيهد بتنوفةٍ تيهٍ تظل رياحها لا تهتدي
وتظل كُدْر من قطاها ولّهاً وتروح من دون المياه وتغتدي
بلد تخال بها الغراب إذا بدا ملكاً يسربَل في الرياط ويرتدي !
فسألت حين تغيبت أعلامنا من حضرموتٍ أي نجم نقتدي
قالوا المجرة أو سهيلاً بادياً ثم اهتدوا بقفولكم بالفرقد[2]
نتجشم الأهوال نبغي عامراً متحزنين عليه إن لم يوجد

ولقد وصفها في الأبيات من ٧ ـ ١٠ وصفاً يدل على ما يكابده المسافر في ذلك القفر المضل ، وتقرب مسافة صيهد هذه بين نجران إلى العبر بحضرموت قرابة (٥٥٠) كيلاً .

وورد ذكرها في بعض المراجع القديمة (صهيد) وهو لا يعدو أن يكون تحريفاً لا غير ، ذلك أن العرب لا زالت تطلق كلمة صيهد على مثلها من الأرض ، فالدهنا لها صياهد كثيرة .

وبين الربع الخالي والأفلاج صياهد معروفة . ومما يدل على أن الصيهد كما ذكرنا قول أحمد بن عيسى الرداعي ـ في أرجوزة الحج ـ[3]:

فقلت يا ناق بجد فاعمدي فانجرفت مثل الهجان المفرد

---

(١) الشرى : اسم شائع في بلاد العرب ، فلا تكاد تجد اقليماً ليس فيه هذا الاسم ، ففي الحجاز بين الحرمين ، في السراة ، وقرب نجران ، وغيرها .

(٢) بقفولهم ، وهو لا ينسجم مع السياق .

(٣) « صفة جزيرة العرب » ص ٤١٥ .

تعتسف الفـدفد بعـد الفـدفـد   والصيهـد الأجرد بعـد الصيهـد

ويقول الهمداني : وأما محجتها السفلى ـ يعني حضرموت ـ فمن العبر في شيز صيهد إلى نجران شبه من ثمانية أيام[1]. وهو قول معقول إذا كان على الاطلاق[2]، إذ في إمكانها أن تقطع في اليوم ازيد من ستين كيلاً .

وقال « الهمداني » أيضاً ـ وهو يتحدث عن السراة الـواقعة شـرق صنعاء ـ : . . . وشرقيها القاع الأمق من صيهد ونهبيّة . . .

قلت : ينطبق هذا الوصف (القاع الأمق) على شرورى والوديعة وما حولهما .

ونرى « الهمداني » يوسع أرض صيهد هذه ، حين يقول[3]: أما فلاة اليمن وغائطه فإنه صيهد ، وهي فلاة تفترق من الدهناء من ناحية اليمامة والفلج ، ويشرع عليها جُرُز اليمن من مصامة بني عامر بناحية ترج فتثليث فيما بين تثليث ودثينة ، وتفرق هذه الفلاة بين جرز اليمن من أسافل هذه الأودية وبين حضرموت من أربع مراحل وخمس فيما بين نجران وبيحان ، وأما ما خلف نجران إلى الشمال فأكثر ، لأن صيهد يقبل عن فرقين من الدهناء ، أحدهما من شرقي اليمامة ، ويبرين. والثاني من غربي اليمامة وما بينها وبين الحضن (حضن) .

وهكذا نرى أن صيهد يصل إلى رمل الدهناء ويبرين جنوب شرقي

---

(١) نفس المرجع ص ٣٤٢ .

(٢) في الحجاز يقطرون الجمال بعضها ببعض فتسير في قطار واحد يقوده جمل واحد يسمى (القيّدة) أما في نجد فتطلق الجمال كل يسير منفرداً فتسمى الأطلاق ، وهي أسرع سيراً من القوافل المقطورة .

(٣) « صفة جزيرة العرب » ص ١٦٦ .

الرياض ، وإلى نفود الدحي غرب اليمامة وشمال وادي الدواسر (عقيق تمرة قديماً) ، وهي ذاهبة جنوباً إلى مأرب والعبر ، أي أن جميع تلك الأراض الميث التي ليست ذات حبال رملية كبيرة ولا أنقاء رملية شامخة ، كلها كانت تسمى صيهداً، وتسمى الغائط أيضاً لكثرة مراعيها زمن الربيع .

الرُّبْعُ الخالي

يطلق هذا الاسم على ذلك البحر من الرمال المتقدم وصفه ، والممتد من شواطىء الخليج العربي الغربية إلى مسافة غير بعيدة من جبال اليمن الشرقية ، حيث في الامكان رؤ يته من جبال دهم ومن بيحان ، وهذا هو طوله ، أما عرضه فمن سفوح جبال حضرموت الجنوبية ومهرة وظفار وعمان جنوباً وجنوباً شرقياً إلى حدود اليمامة الجنوبية ويبرين وإقليم البحرين (الأحساء اليوم) ، وتخرج منه عند يبرين أشهر رمال العرب ، وهي **الدهناء** : حيث تمتد شمالاً فاصلة بين اليمامة والأحساء آخذة في الميل إلى الغرب إلى أن تتصل بها **النفود** (رمل عالج قديماً) الممتدة إلى شمال الحجاز قرب تيماء ، ويسمى رأسها هنا (نفود البتراء[1]) .

متى ولماذا سمي الربع الخالي ؟ !

لا أجد فيما بين يدي من مراجع ذكراً للربع الخالي ، غير أنه من أول هذا القرن معروف بهذا الاسم ، ولا أعتقد أنه أُطلق عليه في هذا القرن ، ولكن الأحياء الذين يعلمون هذه التسمية ينحصرون في قرننا هذا (أي المنصرم تواً **١٤٠٠هـ**) أما المتقدمون فيعرفون أجزاء منه بأسماء لازالت معروفة ، ويشيرون في نصوص سوف نراها ـ بعد هذا ـ بأنه أرض مجهولة .

وكي يتضح لنا كيف كانت تعرف هذه المفازة ؛ نستقرىء ما وصل إلينا من نصوص ، ثم نبحث بعد ذلك في سبب إطلاق كل من كلمتي (**الرُّبْعُ والخَالِي ووبار**) .

---

(١) عن رمال نجد انظر كتابي (الرحلة النجدية) وكتاب « معجم اليمامة » ،للشيخ ابن خميس .

وبار

ذكر « المسعودي » ووباراً في خبر مطول في أساطير انتقدها ، نستخلص منه ما يأتي[1]: ثم سار وبار بن أميم بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه من قومه ، فنزل بأرض وبار بالأرض المعروفة برمل عالج[2]، فأصابتهم نقمة من الله فهلكوا .

والعرب ممن سلف وخلف في الجاهليه والاسلام يخبرون عن هذه الأرض كإخبارهم عن وادي القرى والصَّمَّان والدهناء والرمل الذي بيبرين وغيرها من الأرضين التي نزلوا فيها ، وزعموا أنه ليس بهذه الأرض اليوم أحد إلا الجن والإبل الوحشية .

المؤلف : إن العرب تخبر اليوم عن الربع الخالي ويعرفونه جيداً ويعرفون موارده إلا أنه منحصر فيمن ينزله كبني مرة ، والذين يتوغلون فيه هم أقوام موغلون في البداوة ، فأثاثهم لا يكاد يذكر وحاجتهم للماء تنحصر في ماء الشرب ونحوه طيلة شهور الشتاء .

ويبدو أن « **وباراً** » كانت في عهد الهمداني ـ القرن الرابع ـ معروفة ، فهو يقول[3]: **معازف الجن** : من هذه الأرض رمل حوض ، ورمل المغْسِل والسُّميرية ، ويقال بالكلبين المشرفين على الخرج ، وضلع الخريجة من معازف الجن المعروفة ، وجن البذيّ ، والبدي من أمواه الضباب ، والبقار وعبقر ، وأكثر أرض وبار . وقوله : أكثر أرض وبار ، يدل على أنها أرض واسعة .

أما « البكري » فيقول : . . لأن **العمالقة** كانت من اليمامة إلى وبار[4].

---

(١) « مروج الذهب » ج ٢ ص ١٤١ وما بعدها .

(٢) ليس هذا رمل عالج، وإنما رمل عالج شمال نجد يعرف اليوم بالنفود .

(٣) « صفة جزيرة العرب » ص ٢٩٩ .

(٤) « معجم ما استعجم » ص ١٣٨٩ .

ثم يقول : وقال الخليل[1]: وبار كانت محلة عاد ، وهي بين اليمن ورمال يبرين ، فلما أهلك الله عاداً ورث محلهم الجن فلا يتقاربها أحد من الناس .

وهنا بيت القصيد ، فالخليل أزدي نتوقع أنه يعرف هذه الأرض جيداً ، فهو حددها بأنها بين اليمن ويبرين ، وهذا هو تحديد الربع الخالي .

أما نسبة العرب الرمال إلى الجن ، فذلك أن الرياح تهبط في دوارات بين أنقاء الرمل السائب ، وبما أن الرمل مشبع بأكسيد الحديد فإنه يحدث صوتاً يشبه العزف ، فإذا تبعته لا تجده ، ولذا نسبته العرب الى الجن .

وتنص مصادر كثيرة على أن دُعَيميص الرمْل العبدي الذي يقال فيه (أهدى من دُعَيميص الرمل)، قد دخل أرض وبار هذه ولم يدخلها غيره أبداً ، فوقف بالموسم وجعل ينشد :

من يعطني تسعاً وتسعين نعجة ... هِجاناً وأُدماً أَهِدِه لَوبَار

فأجابه رجل من مهرة ، وأعطاه ما سأل ، وذهب معه بقومه وأهليهم وأموالهم ، فلما توسطوا رمل وبار طمست الجن بصر دُعَيميص ، فهلك ومن معه .

وشاهدنا من هذه الحكاية أن وباراً كانت معروفة ، وأنها أرض ذات مجاهل بحيث يدفع رجل مهري من جيرانها تسعاً وتسعين نعجة ليحصل على عيون وبار وخيراتها .

ولعل أوفى ذكر لوبار هو ما جمعه صاحب « معجم البلدان » كعادته في الاستقصاء ، فهو يقول : هي مسماة بَوَبَار بن إرم بن سام ، انتقل إليها وقت أن تبلبلت الألسن فابتنى بها منزلاً وأقام به ، وهي ما بين الشِّحر إلى صنعاء أرض واسعة زهاء ثلثمائة فرسخ في مثلها .

---

(١) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب كتاب « العين » .

قلت : هذه المسافة تساوي ٩٠٠ ميل في مثلها ، وهي إلى حد ما غير بعيدة عن مسافة الربع الخالي اليوم .

ثم يقول : وقال « الليث » : وبار أرض كانت من محال عاد (بين رمال يبرين واليمن) أي هي عين الربع الخالي اليوم .

وقال « محمد بن اسحاق » : وبار أرض يسكنها النسناس ، وقيل هي بين حضرموت والسبوب ، ولم أهتد إلى موضع السبوب هذه .

وفي كتاب « احمد بن محمد الهمذاني » : وفي اليمن أرض وبار وهي فيما بين نجران وحضرموت وما بين بلاد مهرة والشِّحْر ، وكانت أرض وبار أكثر الأرضين خيراً وأخصبها ضياعاً وأكثرها مياهاً وشجراً وثمراً ، فكثرت بها القبائل حتى شحنت بها أرضهم وعظمت أموالهم فأشروا وبطروا وطغوا وكانوا قوماً جبابرة ذوي أجسام فلم يعرفوا حق نعم الله تعالى ، فبدَّل خلقهم وجعلهم نسناساً للرجل والمرأة منهم نصف رأس ونصف وجه وعين واحدة ويد واحدة ورجل واحدة(!) فخرجوا على وجوهم يهيمون في تلك الغياض الى شاطىء البحر يرعون كما ترعى البهائم ، وصار في أرضهم كل نملة كالكلب العظيم تستلب الواحدة منها الفارس عن فرسه فتمزقه ! . . .

وعن « ابن هشام » : قرية وبار كانت لبني وبار ، وهم من الأمم الأولى ، منقطعة بين رمال بني سعد[1] وبين الشِّحر ومهرة . أي نفس تحديد الربع الخالي .

ثم يقول : ويزعم من أتاها أنهم يهجمون على أرض ذات قصور مشيدة ونخل ومياه مطر وليس بها أحد ، ويقال : إن سكانها الجن لا يدخلها إنسي إلا ضلّ ، قال الفرزدق :

---

(١) بطن من تميم ، وكانت منازلهم يبرين .

ولقد ضللتَ أباك تطلب دارماً   كضلال ملتمسٍ طريق وبار

ثم يورد « ياقوت » أساطير ، منها : وبوبار النسناس،يقال إنهم من ولد النسناس بن أُميم بن عمليق بن يلمع بن لاوذ بن سام ، وهم فيما بين وبار وأرض الشحر وأطراف أرض اليمن يفسدون الزرع فيصيدهم أهل تلك الأرض بالكلاب ، وينفرونهم عن زروعهم وحدائقهم. وعن ابن اسحاق ان النسناس خلقٌ في اليمن لأحدهم يد واحدة ورجل واحدة وكذلك العين وسائر ما في الجسد ، وهو يقفز برجله قفزاً شديداً ويعدو عدواً منكراً . ومن أحاديث أهل اليمن أن قوماً خرجوا لاقتناص النسناس فرأوا ثلاثة منهم فأدركوا واحداً فأخذوه وذبحوه وتوارى إثنان في الشجر فلم يقفوا لهما على أثر ، فقال الذي ذبحه : والله إن هذا السمين أحمر الدم ، فقال أحد المستترين في الشجر : إنه أكل حب الضَّرْو وسمن ، فلما سمعوا صوته تبادروا إليه وأخذوه ، فقال الذي ذبح الأول : ما أحسن الصمت ! لو لم يتكلم هذا ما عرفنا مكانه ، فقال الثالث : فها أنا صامت لم أتكلم .

ثم يورد شعراً لأحد النسانيس :

فررت من جَوْر الشُّراة شدّا   إذ لم أجد من الفرار بُدّا
قد كنت دهراً في شبابي جلدا   فها أنا اليوم ضعيف جدّا

والحديث عنه طويل غير أنك تجد فيه بعض التناقض ، فحيناً يصور غبياً كالذي دل على نفسه بنطقه ، وآخر عاقلاً يعرف حتى مذاهب الاسلام كقوله : من جور الشراة ! وهو شاعر عربي فصيح ! والذي أراه أن خبر النسناس ليس بشيء ، على أن عرب اليوم يسمونه (صيد أسعد) ويحكون عنه أساطير مماثلة ، ولكن ليس فيهم من رآه . وقد سألت حضارم ومهريين وعمانيين ، فلم يعرفوا خبراً .

يبرين

ويقال : أبرين ، مثل يلملم وألملم : قال « ياقوت » : هو رمل لا تدرك أطرافه عن يمين مطلع الشمس من حَجْر اليمامة (الرياض) ، ويبرين بأعلى بلاد بني سعد ، وعن « نصر » : يبرين من أصقاع البحرين به منبران ، وهناك الرمل الموصوف بالكثرة ، بينه وبين فلج ثلاث مراحل ، وبينه وبين الاحساء وهجر مرحلتان ، وهو فيما بينهم ـ أي الفلج والاحساء ـ وبين مطلع سهيل ، قال أبو زياد الكلابي :

أراكِ إلى كُثبان يبرين صبّةً   وهذا لعمري لو قنعت كثيب

وقال جرير :

لما تذكرتُ بالديرين أرّقني   صوت الدجاج وضربٌ بالنواقيس

فقلت للركب إذ جد الرحيل بنا :   يا بعد يبرين من باب الفراديس

وقال ابن التعاويذي[1] :

إن كان دينك في الصبابة ديني   فقفي المطيَّ برملتي يبرين

قلت : يبرين المنسوب إليها الرمل لا زالت معروفة ،وهي واحة عامرة جنوب شرقي الخرج ، جنوب الهفوف . وفي « معجم البلدان » : ونجد الحجاز غير نجد اليمن ، غير أن جنوب نجد الحجاز يتصل بشمال نجد اليمن ، وبين النجدين وعُمان برية ممتنعة .

خلاصة البحث

من كل ما تقدم نرى :

١ ـ أن معظم الرمل الواقع بين اليمامة وعُمان وحضرموت ونجران كان يشمله اسم وبار .

٢ ـ أن بقرب يبرين رملاً لا تدرك أطرافه ، أي أنه مجهول .

---

(١) « وفيات الأعيان » ص ٢٠٨ ج ٧ .

٣ ـ هذا الرمل (بين يبرين وحضرموت واليمن) يسمى اليوم الربع الخالي .
٤ ـ لم نجد نصاً قديماً على اسم (الربع الخالي) .
٥ ـ تنص الأقوال المتقدمة أنه مجهول لا تدرك أطرافه ولا يطرق إلا بدليل ، فهو خال من السكن .

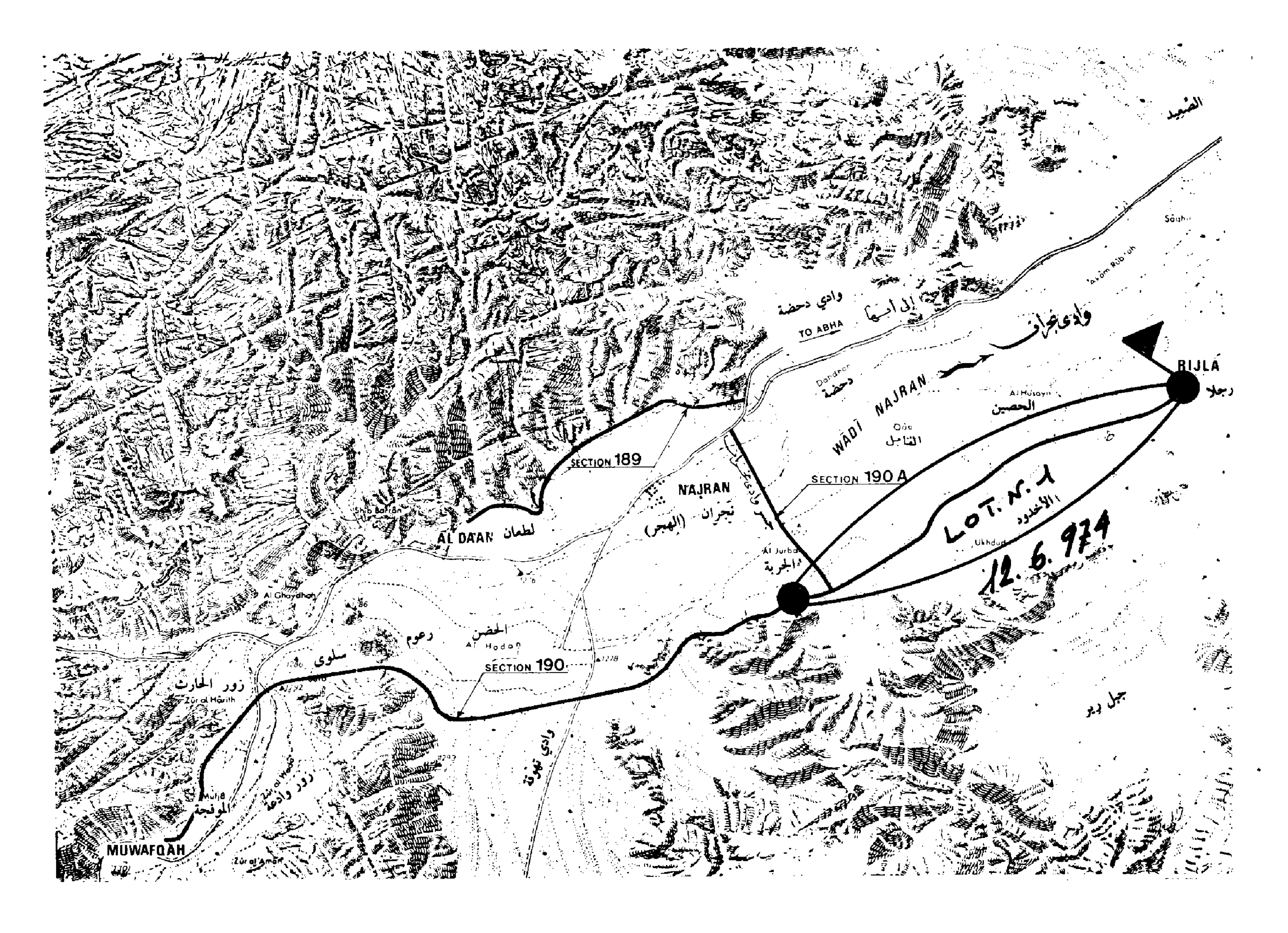
غير أن هناك ملاحظتين :

١ ـ كلمة خال من السكان نسبية ، ذلك أن قبائل بني مرة اليوم تجوبه في الربيع وترد فيه عدوداً مطوية بالحجر لا يعلم من حفرها ولا من أين أتي لها بالحجر .
٢ ـ ذكر بعض الباحثين : إن كلمة (رُبْع) يطلقها البحارة على الجهة الفرعية ، أي الجنوب الغربي والشمال الشرقي ـ مثلاً ـ وأنهم اطلقوا هذه التسمية من هذا القبيل ! ولكن هذا يجوز لمن هو في موضع يجعل الربع الخالي في جهة فرعية ، فماذا يسميه من يكون منه في جهة أصلية ؟ كمن هو في مسقط مثلاً ، أو في الكويت ؟ !

ألا ترى أن هذا تمحّلا لا لزوم له ؟!

والذي أراه ـ ولا أجزم برأيي ولا أعجب به ـ هو أن العرب نظرت إليه وكأنه يساوي ربع جزيرتهم ، وأنه شبه خال من السكان فأطلقوا عليه الربع الخالي ، وهذا أقرب إلى العقل ، ولاشك أن قياسهم له خَرْصاً وتسميته (الربع) مجازاً ، فهو يبلغ قرابة $\frac{١}{٨}$ من شبه الجزيرة العربية .

وهو اليوم في المملكة العربية السعودية ، وقد دبت في أجزاء منه الحياة ، وضربت فيه الأنابيب العمقية لسقيا منتجعيه ، ولا يستبعد أن يكون يوماً من المناطق ذات الشأن .


MUWAFQAH
الموفجة
زور الحارث
Zūr al Hārith
زور وادعة
سلوى
رعوم
الحضن
Al Hadan
SECTION 190
وادي تهوة
Al Ghaydhah
AL DA'AN
لطمان
SECTION 189
NAJRAN
نجران (الهجر)
Al Jurbah
الجربة
SECTION 190 A
WADI NAJRAN
Dahdhah
دحضة
القابل
Al Husayn
الحصين
TO ABHA
إلى أبها
وادي دحضة
وادي نجران
LOT. N. 6
الأخدود
Ukhdud
12. 6. 974
RIJLA
رجلا
جبل دير
الصيد

منطقة نجران

لمحات من تاريخها

نقول لمحات من تاريخ منطقة نجران ، لأن تأريخ نجران يملأ مجلداً ضخماً ، لا يتسع له حيز بحث في هذه الرحلة ، ثم إن مصادر تأريخ المنطقة معظمها ضمن مخطوطات صنعاء ولم يتيسر لنا الاطلاع عليها .

على أن ما لا يدرك كله لا يترك جله ، ولعل في هذه العجالة التي نقدمها ما يعطي القارىء العربي صورة ـ وإن كانت غير مجسمة ـ عن هذه البلدة العريقة التي شارك القرآن الكريم في رواية تأريخها .

قصة أبناء نزار بن معد :

إن أول خبر يدخل التأريخ لنجران هو ما تتناقله المصادر العربية عن قصة أبناء نزار بن معد بن عدنان مع الأفعى بن الأفعى ملك نجران .

نقول :أول خبر ،لأن ما لدينا من مصادر تشير إلى أن عدنان كان حياً في القرن السادس (ق م) (؟) ، وهذا يعني أن أحفاد ابنه كانوا موجودين بين القرن الخامس والرابع (ق م) ولم يصل إلينا قبل ذلك التأريخ ما يركن إليه من أخبار العرب . تقول القصة : كان لنزار بن معد أربعة أبناء : إيَّاد ، وبه كان يكنى ، ونزار ، وربيعة، ومُضَر. فلما حضرت نزاراً الوفاة دعا بنيه ودعا بجارية له شَمْطاء ، فقال لإيَّاد : هذه الجارية وما أشبهها من مالي فلك ، ثم أخذ بيد مُضَر

(١) انظر « معجم قبائل الحجاز » ص ٣٠٢ ط ١ .

فأدخله قبة له حمراء، ثم قال : هذه القبة وما أشبهها من مالي فلك ، ولذا قيل : مضر الحمراء ـ . ثم أخذ بيد ربيعة وقال له : هذا الفرس الأدهم والخباء الأسود وما أشبههما من مالي فلك ، ـ ولذا قيل : ربيعة الفرس ـ ثم أخذ بيد أنمار وقال : هذه البَدْرَة والمجلس وما أشبههما من مالي فلك ، فإن أشكلت عليكم هذه القسمة فأتوا الأفْعَى بن الأفْعَى الجرهمي ـ وكان ملك نجران ـ حتى يقسم بينكم وترضوا بقسمته ، فلم يلبث نزار حتى هلك، وأشكلت القسمة على ولده ، فركبوا قاصدين الأفعى ، حتى إذا كانوا منه على يوم وليلة من أرض نجران ، وهم في مفازة ، إذا هم بأثر بعير ، فقال إياد : إن هذا البعير الذي ترون أثره لأعور ، فقال أنمار: وإنه لأبتَر [1] ، وقال ربيعة : وإنه لأزور ، قال مضر : وإنه لشرود ! فلم يلبثوا أن أتى صاحب البعير فسألهم قائلاً : هل رأيتم بعيراً ضالاً في وجوهكم ؟ قال إياد : بعيرك أعور ؟ قال : فإنه لأعور ، قال : أنمار : بعيرك أبتر ؟ ، قال : فإنه لأبتر ، قال ربيعة : بعيرك أزور ؟ قال : فإنه لأزور ، قال مضر : أكان بعيرك شروداً ؟ قال : إنه لشرود، فأين بعيري ؟ دلوني عليه ، قالوا : والله ما أحسسنا لك ببعير ولا رأيناه ، قال أنتم أصحاب بعيري وما أخطأتم من نعته شيئاً ، قالوا : ما رأينا لك بعيراً ، فتبعهم حتى قدموا نجران ، فلما أناخوا بباب الأفعى استأذنوا عليه ، فأذن لهم ، فلما دخلوا صاح الرجل من وراء الباب : أيها الملك هؤلاء أخذوا بعيري ، فدعا به الأفعى فسأله عن شأنه ، فقال : إن هؤلاء ذهبوا ببعيري ، فقال لهم الأفْعَى : ما تقولون ؟ قالوا : رأينا أثر بعير ، فقال إياد : إنه أعور ، قال : وما يدريك أنه أعور ؟ قال : رأيته يرعى الكلأ من شق واحد ويترك الآخر ، وقال أنمار : رأيته يرمي بعره مجتمعاً فلو كان أهلب[2] لمصع به فتفرق بعره ، وقال ربيعة : رأيت أثر إحدى يديه ثابتاً والآخر فاسداً فعلمت أنه أزور[3] ، وقال مضر : رأيته يرعى الشقة من الأرض ثم

---

(١) أي مقطوع الذيل .

(٢) أهلب : ذو ذيل .

(٣) أزور : به ألم في زوره أحدث له ضَلَعاً في إحدى يديه .

يتعداها فيمر بالكلأ الملتف الغض فلا ينهش منه حتى يأتي ما هو أرق منه فيرعى فيه ، فعلمت أنه شرود . فقال الأفْعَى : صدقوا قد أصابوا أثر بعيرك وليسوا بأصحابه، إلتمس بعيرك . ثم قال الأفعى للقوم : من أنتم ؟ فأخبروه بما لهم ، فرحب بهم ثم قال: ما خطبكم ؟ فقصوا عليه قصة أبيهم ، فقال الأفعى : وكيف تحتاجون إليّ وأنتم ما أرى ؟ قالوا : أمرنا بذلك أبونا .

ثم أمر بهم فأنزلوا، وأمر خادماً له على دار الضيافة أن يحسن إليهم ويكرم مثواهم وإلطافهم بأفضل ما يقدر عليه ، ثم أمر وصيفاً له أن ينظر كل كلمة تخرج من أفواههم فيأتيه بها ، فأتاهم القَهْرمان بقرص من شهد فأكلوا وقالوا : ما رأينا شهداً أعذب ولا أحسن ولا أشد حلاوة منه ، فقال إياد : صدقتم لولا أن نحله ألقاه في هامة جبار ! فلما حضر غداؤهم وجيء بالشواء فاذا بشاة مشوية فأكلوها وقالوا : ما رأينا شواء أجود ولا أرخص لحماً ولا أسمن منه ، فقال أنمار : صدقتم لولا أنه غذي بلبن كلبة ، ثم جاءهم بالشراب فلما شربوا قالوا : ما رأينا شراباً أعذب ولا أصفى ولا أطيب من رائحته، فقال ربيعة : صدقتم لولا أن كرمه نبت على قبر ، ثم قالوا : ما رأينا منزلاً أكرم قرى ولا أخصب رَحْلا من هذا الملك . قال مضر : صدقتم لولا أنه لغير أبيه .

فذهب الغلام الموكل بهم إلى الأفْعَى فأخبره بما سمع منهم ، فدخل الأفعى على أمه ، فقال : أقسمت عليك إلا أخبرتني ، فصدقته الخبر. ثم دعا القهرمان وسأله عن خبر الشهد ، فقال إنه وجد في جمجمة ! ثم سأل صاحب المائدة عن الشاة ، فقال : لقد ماتت أمها وهي صغيرة فرضعت كلبة مع جرائها .

ثم بعث إلى صاحب الشراب وسأله عن الكرمة ، فقال : حبة كرم غرستها على قبر أبيك . فقال الأفعى : ما هؤلاء القوم إلا شياطين . ثم أحضرهم ، فقال إيّاد : إن أبي جعل لي خادماً شمطاء وما أشبهها من ماله ـ فقال : إن أباك

ترك غنماً برشاء[1] فهي لك ورعاؤها . قال أنمار : إن أبي جعل لي بدرة ومجلسه وما أشبههما من ماله ، قال : فلك ما ترك أبوك من الرِّقة[1] والحرث والأرض . فقال ربيعة : إن أبي جعل لي فرساً أدهم وبيتاً أسود وما أشبههما من ماله . قال : فإن أباك ترك خيلاً دُهْماً وسلاحاً فهي لك وما فيها من عبيد . فسمى (ربيعة الفرس) . فقال مُضَر : إن أبي جعل لي قبة حمراء من أدم وما أشبهها من ماله . فقال : إن أباك ترك إبلاً حمراء فهي لك وما أشبهها من ماله ، فصارت لمضر الإبل والقبة الحمراء والذهب ، فسمي (مضر الحمراء)[2] .

وإنما أتينا بهذه القصة على طولها لسببين : أولهما ـ لعلاقتها بالأفعى ملك نجران ، وهو كما قدمنا أول خبر يصل إلينا مكتوباً يذكر فيه أن نجران مملكة ذات كيان ، وثانيهما لطرافة قصة أبناء نزار وما أشتملت عليه من فراسة وقيافة لا زالت لها بقايا في عرب الصحراء .

النصرانية في نجران

ويقص لنا الاخباريون العرب قصة اعتناق أهلِ نجرانَ الدِّينَ المسيحي ، وهي قصة ، وإن كانت مشوبة بالأساطير في مجملها ، فهي صحيحة في جوهرها؛ إذ جاء الاسلام وأهل نجران نصارى ، وظلوا كذلك حتى أخرجهم عمر .

قال « ابن اسحاق » : فملّكت حِميَر ذا نواس ، وكان آخر ملوك حمير ، وهو صاحب الأخدود ـ بنجران ـ وتَسمَّى يوسف ، وبنجران بقايا من أهل دين عيسى بن مريم عليه السلام ، وكانوا أهل فضل واستقامة ، لهم رأس يقال له : عبد الله بن الثامر ، وكان موقع ذلك الدين بنجران (أي من جزيرة العرب)

(١) الفضة ، والبدر ـ في الأصل ـ قربة صغيرة تستعمل لحفظ الماء ، وهنا : وعاء من أدم تحفظ فيه النقود .

(٢) « مروج الذهب » للمسعودي ج ٢ ص ١١٣ وما بعدها .

وهي بأوسط أرض العرب في ذلك الزمان ، وأهلها وسائر العرب كلها أهل أوثان ، وذلك أن رجلاً من بقايا ذلك الدين يقال له : فيميون[1] وقع بين ظهرانيهم ، فحملهم عليه فدانوا به . وكان فيميون رجلاً صالحاً مجتهداً زاهداً في الدنيا ، مجاب الدعوة ، وكان سائحاً ينزل بين القرى ، فلا يعرف بقرية إلا خرج منها ، وكان لا يأكل إلا من كسب يديه ، وكان بناء ، فإذا كان يوم الأحد لم يعمل فيه شيئاً ، وخرج إلى فلاة من الأرض يصلِّي بها حتى يمسي . وكان في قرية من قرى الشام يعمل عمله مستخفياً ، ففطن لشأنه رجل من أهلها يقال له صالح ، فأحبه حباً لم يحبه قبله ، فكان يتبعه حيث ذهب ، ولا يفطن فيميون له . حتى خرج مرة في يوم أحد إلى فلاة كما كان يصنع ، وقد تبعه صالح وفيمنون لا يدري ، فجلس صالح منه منظر العين مستخفياً ، وقام فيميون يصلِّي ، فبينما هو يصلي أقبل نحوه التِّنِّين[2] ، فلما رآها فيمنون دعا عليها فماتت ، وصرخ صالح : يا فيميون ، التِّنِّين أقبل نحوك . فلم يلتفتْ إليه ، وأقبل على صلاته حتى فرغ منها ، وعرف أنه عرف ، وعرف صالح أنه قد رأى مكانه ، فقال : يا فيميون ، تعلم ـ والله ـ أني ما أحببت شيئاً قط حبَّك ، وقد أردت صحبتك ، والكينونة معك حيث كنت، فقال فيميون : الأمر كما ترى، فإن علمت أنك تقوى عليه فنعم ؛ فلزمه صالح ، وكان إذا فاجأه العبد به الضر دعا له فشفي ، وإذا دعي لأحد به ضر لم يأته ؛ وكان لرجل من أهل القرية ابن ضرير فسأل عن شأن فيميون فقيل له : إنه لا يأتي أحداً دعاه ، ولكنه رجل يعمل للناس البناء ، فعمد الرجل إلى ابنه فوضعه في حجره وألقى عليه ثوباً ، ثم جاءه فقال : يا فيميون ، إني أردت أن أعمل في بيتي عملا ، فانطلق معي إليه ، فانطلق معه ، حتى دخل حجرته ، فانتشط الرجل الثوب عن الصبي ، ثم قال : عبد من عباد الله أصابه ما ترى ، فادع الله له ،

---

(١) بالفاء وقيل بالقاف ، والفاء أشهر .

(٢) يقول المتقدمون : هو الحية ذات الرؤوس السبعة .

فدعا له فقام الصبي ليس به بأس . وعرف فيميون أنه قد عرف ، فخرج من القرية واتبعه صالح ، فبينما هو يمشي إذ مر بشجرة، فناداه منها رجل فقال : يا فيميون ، قال : نعم . قال : ما زلت أنظرك وأقول متى هو جاءٍ ، حتى سمعت صوتك ، لا تبرح حتى تقوم عليَّ ، فإني ميّتٌ الآن ، فمات وقام عليه حتى واراه ، ثم انصرف وتبعه صالح ، حتى وطئا بعض أرض العرب فعدوا عليهما فاختطفتهما سيارة من بعض العرب ، فخرجوا بهما حتى باعوهما بنجران ، وأهل نجران يومئذٍ على دين العرب ، يعبدون نخلة طويلة، لها عيْد في كل سنة ، إذا كان ذلك العيد علقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه ، وحلي النساء ، فابتاع فيميونَ رجلٌ من أشرافهم ، وابتاع صالحاً رجل آخر . فكان فيميون إذا قام من الليل يتهجّد في بيت أسكنه سيده إياه ، استسرج له البيت نوراً حتى يصبح من غير مصباح[1] ، فرأى سيده ذلك فأعجبه فسأله عن دينه فأخبره به ، وقال له فيميون : إنما أنتم في باطل ، إن هذه النخلة لا تضر ولا تنفع ، ولو دعوت عليها إلٰهي الذي أعبده لأهلكها، وهو الله وحده لا شريك له ، فقال له سيده : فافعل ، فإنك إن فعلت دخلنا في دينك وتركنا ما نحن عليه . قال : فقام فيميون فتطهر وصلَّى ركعتين ، ثم دعا الله عليها ، فأرسل الله ريحاً جعفتها من أصلها فألقتها ، فاتَّبعه أهل نجران على دين النصرانية ، فحملهم على الشريعة من دين عيسى بن مريم ، ثم دخلت عليهم الأحداث التي دخلت على أهل دينهم بكل أرض ، فمن هناك كانت النصرانية بنجران في أرض العرب . قال « ابن اسحاق » : فهذا حديث وهب بن منبه من أهل نجران[2] .

قصة عبد الله بن الثامر وأصحاب الأخدود

قال ابن اسحاق : وحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي ،

---

(١) أي يضاء من غير مصباح .

(٢) السيرة لابن هشام ص ٣١ وما بعدها طبعة البابي الحلبي .

وحدثني أيضاً بعض أهل نَجْران عن أهلها : أن أهل نجران كانوا أهل شرك ، يعبدون الأوثان، وكان في قرية من قراها قريباً من نجران - (نجران : القرية العظمى التي إليها جماع أهل تلك البلاد) - ساحر يعلّم غلمان آل نجران السحر، فلما نزلها فيميون - ولم يسموه لي باسمه الذي سماه به وهب بن مُنَبِّه ، قالوا : رجل نزلها - ابتنى خيمة بين نجران وبين تلك القرية التي بها الساحر ، فجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلِّمهم السحر ، فبعث إليه الـثامرُ ابنَه عبدَ الله بن الثامر مع غلمان أهل نجران، فكان إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من صلاته وعبادته ، فجعل يجلس إليه ، ويسمع منه ، حتى أسلم ، فوحد الله وعبده ، وجعل يسأله عن الشرائع ، حتى إذا فقه جعل يسأله عن الاسم الاعظم ، وكان يَعْلمه، فكتمه إياه ، وقال له : يا ابن أخي ، إنك لا تحمله ،أخشى عليك ضعفك عنه . والثامر أبو عبد الله لا يظن إلاّ أن ابنه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان ، فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضَنّ به عنه ، وتخوَّف ضعفه فيه ، عمد إلى الأقداح فجمعها ، ثم لم يُبق لله اسماً يعلمه إلا كتبه في قِدْح - سهم - ولـكل اسم قِدْح ، حتى إذا أحصاها أوقد ناراً ، ثم جعل يقذفها فيها قِدحاً قِدحا ، حتى إذا مر بالاسم الأعظم قذف فيها بقدحه ، فوثب القِدح حتى خرج منها لم تضره شيئاً ، فأخذه ثم أتى صاحبه فأخبره بأنه قد علم الاسم الذي كتمه . فقال : قد أصبته فأمسك على نفسك، وما أظن أن تفعل.فجعل عبدُ الله بن الثامر إذا دخل نجران لم يلق أحداً به ضر إلاّ قال له : يا عبد الله ، أتوحد الله وتدخل في ديني وأدعو الله فيعافيك مما أنت فيه ؟ فيقول : نعم ، فيوحد الله ويسلم ، ويدعو له فيشفى . حتى لم يبق بنجران أحد به ضر إلاّ أتاه فاتبعه، ودعا له فعوفي حتى رفع شأنه إلى ملك نجران، فدعاه وقال له : أفسدت عليَّ أهل قريتي ، وخالفت ديني ودين آبائي ، لأمثلن بك . قال : لا تقدر على ذلك . قال : فجعل يُرسل به إلى الجبل الطويل فيطرح على رأسه فيقع إلى الأرض ليس به بأس ، ثم جعل يبعث به إلى مياه نجران ، بحور لا يقع فيها شيء إلا هلك ، فيلقى فيها فيخرج ليس به بأس ، فلما غلبه قال له عبد الله

ابن الثامر : إنك والله ـ لن تقدر على قتلي حتى توحِّد الله فتؤمن بما آمنت به ، فإنك إن فعلت ذلك سُلِّطت عليَّ فقتلتني . قال : فوحَّدَ الله ، وشهد شهادة عبد الله بـن الثامر ، ثم ضربه بعصا في يده فشجه شجَّة غير كبيرة فقتله ، ثم هلك الملك مكانه . واستجمع أهل نجران على دين عبد الله ، وكان على ما جاء به عيسى من الأنجيل وحكمه ، فمن هناك كان أصل النصرانية بنجران . ثم يعقب ابن اسحاق قائلاً : فهذا حديث محمد بن كعب القرظي ، وبعض أهل نجران عن عبد الله بن الثامر ، والله أعلم أيّ ذلك كان[1] .

ونقول : بصرف النظر عن هذا القصص ، فإن في هذه الرواية عنصرين لا شك في صدقهما :

١ ـ وجود النصرانية هناك التي بقيت حتى جاء الإسلام . ٢ ـ وجود شخص اسمه عبد الله بن الثامر ، وأن له دوراً كبيراً في نشر النصرانية هناك .

قصة أصحاب الاخدود

فلما صار عهد ذي نواس ، وهو آخر ملوك حمير ، وكان يهودياً ، فسار اليهم بجنوده ، فدعاهم الى اليهودية ، وخيّرهم بين ذلك والقتل ، فاختاروا القتل . فخدَّ لهم الأخدود[2] فحرق من حرق بالنار ، وقتل بالسيف ومثل به حتى قتل منهم قريباً من عشرين ألفاً ، ففي ذي نواس وجنده أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدودِ النَّارِ ذاتِ الوَقُود ، إذ هُمْ عَلَيْها قُعُود ، وهُمْ علَى ما يَفْعَلُون بالمُؤْمِنينَ شُهُود ، وما نَقَمُوا مِنْهُم إلاَّ أنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ العَزِيز الحَميد ﴾[3] .

---

(١) السيرة ص ٣٥ ج ١ طبعة البابي الحلبي .

(٢) الاخدود حفرة مستطيلة كالخندق ، ولا تزال هنا علائم يظن أنها هي ذلك الأخدود .

(٣) سورة البروج ، آية : ٤ ـ ٨ .

بنو عبد المَدَان

كانت بنو الحارث بن كعب قد استولت على نجران وتملكته قبل الاسلام بقرون، ونجران تقع في قلب ديار مَذْحِج، التي ينتسب إليها الحارث بن كعب، ولما كانت هذه القبيلة بدوية ذات خيل وشاء وغزو ورعي، فقد اتخذت لها مكاناً يبعد عن القرى المأهولة ذا صفاء صحراوي يلائم بيئتها ويصلح للرعي وليس بعيداً عن الزرع[1] وظهرت فيهم أسرة(بني عبد المَدَان) فشرفت وذاع صيتها، وهابتها العرب، حتى قال شاعرهم :

تلوث عمامة وتجرّ رمحاً كأنك من بني عبد المَدَان !

وهذا يدل على ما كان يتمتع به المدانيون من شجاعة وفروسية، ثم بلغ بهم الاعتداد إلى أن بنو كعبة من الأدم، ودعوا الناس الى الحج إليها، وظلت قائمة حتى هدمها الاسلام، وأسلم بنو عبد المدان أو أغلبهم على الأصح، فلما جاء عهد عمر أجلى نصاراهم الى الفرات فأسسوا هناك قرية اسموها (نجران)، فلما جاء عهد الإمام علي رضي الله عنه طلب نصارى نجران أن يعيدهم الى بلادهم، فأبى وقال: أمر فعله عمر لا أغيره، ثم صاروا أصهاراً لأبي العباس الهاشمي مؤسس الدولة العباسية، ونرى منهم من ولي مكة والمدينة والطائف واليمامة في آن واحد، وهذه الولايات تقرب مساحتها من مساحة المملكة العربية السعودية اليوم. ونجد « ابن المجاور » المتوفى سنة ٦٩٠ هـ. يذكر في تأريخه أن بني عبد المدَان لا تزال بنجران، فيقول: ـ بعد أن يتحدث عن قرقر ويخلط بينها وبين قرقر نجد ـ ولاتها« قوم يقال لهم بنو عبد المَدَان وهم قوم شدّاد بن عاد اللَّيِّن القياد ذو الجياد ».

وفيه أنشد بعض العرب :

ولولا بنو عبد المَدَان وخيلُها لحلَّكِ يا نجران بعضُ القبائل

---

(١) ترى وصفه عند الحديث على كعبة نجران.

والقوم لا يطيعون لملك الغز ولا لسلاطين العرب، وآخر من تولّى مَن بني ، عبد المدان أخوان (يقال لأحدهما القاضي والثاني القاضي (كذا) .) . وفي عهدهم دخلت عليه يد الامير محمد بن عبد الله بن حمزة معهم حتى صار يصل إليهم نصف دخول البلاد، لأن الأمير محمد بن عبد الله وأخاه أحمد ولدي عبد الله بن حمزة تزوّجا بأخوات القاضي والقاضي ابني صُعيب بن عدنان بن عبد المدان سنة ثلاث وعشرين وستمائة. انتهى .

هذا قول ابن المجاور بنصه، فإن خلط في بعضه في نصه بحادثة الزواج سنة (٦٢٣) هـ تجعل النص ذا أهمية تأريخية نستخلص منها أن بني الحارث ظلوا يسيطرون على نجران إلى القرن السابع .

فتح نجران

لقد تقدم معنا أثناء الحديث عن مذحج وبني الحارث مجمل ما يقال عن فتح نجران، وقلنا هناك إن نجران فتحت صلحاً على يد خالد بن الوليد، ثم أرسل رسولُ الله علياً عليه السلام إلى أهل نجران، يجمع صدقتهم وجزيتهم[١] . أي جزية من لم يسلم منهم، وقد تقدم معنا وفود أهل نجران على النبي ﷺ ،مع خالد، وذكر اسلامهم، غير أن خبر اسلامهم كان مجازاً أو كان على التغليب لأننا نرى اجلاء نصارى نجران كما سترى. وكان رسول الله، ﷺ قد كتب لأسقف بني الحارث بن كعب وأساقفة نجران وكهنتهم ومن تبعهم ورهبانهم أن لهم على ما تحت أيديهم من قليل وكثير من بِيَعهم وصلواتهم ورهبانيتهم ،جوار الله ورسوله لا يغيّرَ أسقف عن اسقفيته، ولا راهب عن رهبانيته، ولا كاهن عن كهانته، ولا يغير حق من حقوقهم، ولا سلطانهم، ولا شيء مما كانوا عليه ما نصحوا واصلحوا فيما عليهم غير مثقلين بظلم ولا ظالمين، وكتب المغيرة . (الطبقات ص ٢٦٦ ج ١) .

---

(١) سيرة ابن هشام ص ٦٠٠ ج ٢ .

وهذا كتاب لأهل نجران يظهر من فحواه انه كتب بعد فتح مكة . النص:
هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لأهل نجران انه كان له عليهم حُكْمُه في كل ثمرة صفراء أو بيضاء أو سوداء أو رقيق، فأفضل عليهم وترك ذلك كلَّه على أَلْفِي حُلَّة من حُلَل الأواقي في كل رجب ألف حُلَّة وفي كل صفر ألف حُلّة أُوقية فما زادت عن حُلل الخراج أو نقصت على الأواقي فبالحساب، وما قبضوا من دروع أو خيل أو ركاب أو عَرْض أُخِذ منهم فبالحساب ، وعلى نجران مثواة رُسُلي عشرين يوماً فدون ذلك ولا تحبس رُسُلي فوق الشهر وعليهم عاريَّةُ ثلاثين درعاً وثلاثين فرساً وثلاثين بعيراً إذا كان باليمن كَيْدٌ، وما هلك مما أعاروا رسلي من دروع أو خيل أو ركاب فهو ضمان على رُسُلي حتى يؤدوه إليهم ولنجران وحاشيتهم جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله، على أنفسهم وملتهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وبيعهم وصلواتهم ولا يغيّروا أسقفاً عن اسقفيته ولا راهباً عن رهبانيته ولا واقفاً عن وقفانيته وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير وليس رباً ولا دَمَ جاهليّة ومن سأل منهم حقاً فبينهم النَّصَف غير ظالمين ولا مظلومين لنجران، ومن أكل رباً من ذي قبل فذمتي منه بريئة ولا يؤاخذ أحد منهم بظلم آخر وعلى ما في هذه الصحيفة جوار الله وذمة النبي أبداً حتى يأتي الله بأمره، إن نصحوا واصلحوا فيما عليهم غير مثقلين بظلم .

شهد: أبو سفيان بن حرب، وغيلان بن عمرو، ومالك بن عوف النصري والأقرع بن حابس ، والمستورد بن عمر ، وأخو بليّ ، والمغيرة بن شعبة ، وعامر مولى أبي بكر . (الطبقات ج ١ ص ٢٨٧) .

إجلاء نصارى نجران

روي عن رسول الله ﷺ؛ وهو يجود بنفسه الطاهرة قوله: لا يجتمع في جزيرة العرب دِيْنان. وكان أبو بكر قد شغل بحروب الردة، فلما ولي عمر الخلافة أجلى نصارى نجران الى العراق فانزلهم ناحية الكوفة[1]، وقيل: ركب عمر

(١) الطبقات لابن سعد : ٣/٢٨٣ .

فرساً فانكشف ثوبه عن فخذه فرأى أهل نجران بفخذه شامة سوداء فقالوا: هذا الذي نجد في كتابنا انه يخرجنا من أرضنا[1]. وواضح ان المقصود بأهل نجران هنا هم النصارى، أما المسلمون فلا يخرجون.

ويحدثنا ياقوت في معجم البلدان فيقول: قالوا، سمّيَ بنجران بن زيدان بن سبأ، كان أول من عمرها ونزلها، وهو المرعف وإنما صار الى نجران لأنه رأى رؤ ياً فهالته فخرج رائداً حتى انتهى الى وادٍ فنزل به فسمِّي نجران به، (أي سمِّيَ وادي نجران) وبعد أن يروي لنا قصة فيميون وابن الثامر، وخبر تحريق ذي نواس لأهل نجران، يقول: وأما خبر الترمذي ان الملك كان كافراً وان أصحاب الأخدود مؤمنين فصحّ اذاً، والله أعلم. ثم يقول: وفتح نجران في زمن النبي، ﷺ، في سنة عشر صلحاً على الفيء[2] وعلى أن يقاسموا العشر ونصف العشر. قال: وأول من نزل نجران من بني الحارث بن كعب،يزيد بن عبد المدان، وذلك ان عبد المسيح زوَّجه ابنته، دُهَيْمَة، فولدت له عبد الله بن يزيد، فمات عبد الله فانتقل ماله إلى (أبيه) يزيد، فكان أول حارثي حل في نجران. وروي عنه ﷺ: القُرى المحفوظة أربع: مكة والمدينة وإيلياء ونجران، وما من ليلة إلا وينزل على نجران سبعون ألف مَلَك يسلمون على أصحاب الأخدود ولا يرجعون إليها بعد هذا أبداً. روي عنه ﷺ، انه قال: لأخرجن اليهود والنصارى عن جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلاّ مسلماً، وإنما أجاز عمر إخراج أهل نجران وهم أهل صلح بحديث روي عن النبي، ﷺ فيهم خاصة، عن أبي عبيدة بن الجرّاح، عن النبي، ﷺ، انه كان آخر ما تكلم به أنه قال: أخرجوا اليهود من الحجاز، وأخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب.

ويقال: إن أهل نجران لما خرجوا سكنوا موضعاً على يومين من الكوفة على الطريق بينها وبين واسط، فسمِّيَ باسم بلدهم (نجران).

---

(١) نفس المصدر (٣٢٦).

(٢) نفس المصدر.

قال أبو حسان الزيادي: انتقل أهل نجران الى قرية تدعى نهر أبان من أرض الهجر المنقطع من كورة البِهقُباذ من طساسيــج الكوفة[1] . وهناك بقية الخبر

أحد أهل نجران والياً على مكة

وقد ألمحنا سابقاً أن بني عبد المدان صاهروا بني العبّاس، وهذا الفاسي يقص علينا خبره، نورده ـ على طوله ـ لمساسه بهذا الكتاب ولطرافته، قال:

زياد بن عبيد الله بن عبد المدان الحارثي المكي[2] أمير مكة والمدينة والطائف . ولي ذلك لابن أخته أبي العباس (الهاشمي) ، ثم للمنصور أخي (الهاشمي) وتولى للمنصور عمارة ما زاده المنصور في المسجد الحرام .

وذكر الفاكهيّ، أن ولايته لمكة والمدينة والطائف، كانت ثمان سنين، لأنّه قال: كان زياد بن عبيد الله على المدينة ومكة والطائف ثمان سنين، وعُزِل سنة أربعين ومائة، وفيها حج أبو جعفر فولّى بعد زياد، مكة والطائف، الهَيْثم العَتَكِي، من أهل خراسان . أ هـ .

وذكر ابن الاثير ما يقتضي أن زياداً عُزل عن مكة في سنة ست وثلاثين ، وعاد الى ولايتها في سنة سبع وثلاثين ومائة، لأنه ذكر ان في سنة ست وثلاثين ومائة، كان على مكة العباس بن عبد الله بن معبد[3] ، وقال في أخبار سنة سبع وثلاثين : حج بالناس هذه السنة إسماعيل بن علي ، وهو على المَوْصِل،

(١) معجم البلدان : نجران .

(٢) أرى جعله حفيد عبد المدان مجازاً لا حقيقة ، وذلك كقول النبي ﷺ ، أنا ابن عبد المطلب ، ذلك أن بين زمنه وزمن عبد المدان بعداً ينفي ذلك ، ولو سلمنا بهذا الخبر لاقتضى أن يكون عبد المدان مولوداً في الاسلام أو قبله بقليل ، وهذا بعيد .

(٣) في الأصل السفاح .

وكان على المدينة زياد بـن عبيد الله ، وعلى مكة العبّاس بن عبد الله بن معبد ، ومات العباس بعد انقضاء الموسم ، فضم إسماعيل عمله الى زياد بن عبيد الله ، وأقره المنصور .

وذكر ابن الاثير، أنّ زياد بن عبيد الله ولي مكة والمدينة والطائف، بعد موت داود بن علي في سنة ثلاث وثلاثين، وذكر ما يقتضي ان ولايته على ذلك دامت الى سنة ست وثلاثين، وأنه لمّا وليَ مكة سنة سبع وثلاثين بعد موت العباس، دامت ولايته الى سنة إحدى وأربعين ومائة، وانه ولي اليمامة مع المدينة ومكة والطائف في سنة ثلاث وثلاثين، وانه حج بالناس فيها .

وذكر الفاكهي شيئاً من خبر زياد هذا، لأنه قال: جاء جُوَان بن عمر بن أبي ربيعة إلى زياد بن عبيد الله الحارثي شاهداً ، فقال له: أنت الذي يقول لك أبوك :

شهيدي جوان على حُبّها أليس بَعْدلٍ عليها جُوَان

قال : نعم ، أصلحك الله . قال: قد أجزنا شهادة من عدّله عمر، وأجاز شهادته .

قال: جلس زياد بن عبيد الله في المسجد بمكة، فصاح: مَنْ له مظلمة ؟ فتقدم إليه أعرابي من أهل الحر(كذا) فقال: إنْ بقرةً لجاري خرجت من منزله فنطحت أبناً لي فمات، فقال زياد لكاتبه: ما ترى ؟ قال: نكتب إلى أمير المؤمنين الحسن (كذا) إن كان الأمر كما وصف دفعت البقرة إليه بابنه ، قال : فاكتب بذلك، قال: فكتب الكتاب، فلما أراد أن يختمه، مرَّ ابن جُرَيْج . فقال: ندعوه فنسأله، فأرسل إليه فسأله عن المسألة، فقال: ليس له شيء، قال رسول الله ﷺ : (العجماء جَرْحُها جُبَار) أي هدر .

فقال لكاتبه: شُقّ الكتاب، وقال للأعرابي : انصرف، فقال: سبحان الله، تجتمع أنت وكاتبك على شيء، ثم يأتي هذا الرجل فَيرُدُّكما ؟ قال: لا تَغْتَرّنَّ بي

ولا بكاتبي ، فوالله ما بين جبليها أجهل مني ولا منه ، هذا الفقيه يقول : ليس لك شيء .

وذكر عيسى بن عمر التَّيْمِي قال : كان زياد بن عبيد الله بن عبد الحَجَر بن عبد المَدَان ، خال أبي العباس أمير المؤمنين ، والياً لأبي العباس على مكة ، فحضر أشعب مائدته ، وكان لزياد صحفة يختص بها ، فيها مضيرة من لحم جدي ، فأُتي بها ، فأمر الغلام ان يضعها بين يدي أشعب ، وهو لا يعلم انها المضيرة ، فأكلها أشعب حتى أتى على ما فيها ، فاستبطأ زياد المضيرة ، ، فقال : يا غلام ، الصحفة التي كنت تأتيني بها ، قال : أتيتك بها أصلحك الله ، فأمرتني أن أضعها بين يدي أبي العلاء ، فقال : هنأ الله أبا العلاء وبارك له . فلما رُفعت المائدة قال زياد : يا أبا العلاء ،ـ وكان في استقبال شهر رمضان ـ قد حضر الشهر المبارك ، وقد رفقت لأهل السجن ، لما هم فيه من الضر ، ثم لانهجام الصوم عليهم . وقد رأيت أن أُصيِّرك إليهم ، فتلهيهم بالنهار ، وتصلِّي بهم بالليل . قال : وكان أشعب حافظاً . فقال : أو غير ذلك أصلح الله الأمير ؟ قال : ما هو ؟ قال : أُعطي اللَّهَ عهداً ألاّ أكل مضيرة جَدْي أبداً !

ودخل أبو حمزة الرَّبَعي[1] على زياد وهو والٍ على المدينة ، فقال : أصلح الله الأمير ، بلغني ان أمير المؤمنين وجَّه إليك بمال تقسمه على القواعد والعميان والأيتام ، قال : قد كان ذلك ، فتقول ماذا ؟ قال : تُثْبِتني في القواعد ! قال : أي يرحمك الله ، إنما القواعد اللاتي قعدن عن الأزواج ، وانت رجل ، قال : فاثبتني في العميان ! قال : أما هذه فنعم ، فإن الله تعالى قال : (فإنَّها لا تَعْمَى الأبْصارُ ولكِنْ تَعْمَى القلوبُ التي في الصدور)[2] ،وأنا أشهد أن أبا حمزة أعمى ، فقال : واكتب بَنيّ في الأيتام ، فقال : يا غلام ، اكتبهم ، فمن كان أبوه أبا حمزة فهو يتيم . وتوفي زياد في عَشْر الخمسين ومائة[3] .

---

(١) بنو الربعة : بالتحريك ، بطن من جهينة كانوا ينزلون الأشعر (الفقرة الآن) .

(٢) سورة الحج آية ٤٦ .

(٣) العقد الثمين : ص ٤٥٤ ج ٤ .

نجران في عهد الإمام الهادي

يتحدث إلينا صاحب سيرة الإمام يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي[1] ، صاحب اليمن ومؤسس الامامة الزيدية في أواخر القرن الثالث ، فيذكر لنا الكثير عن نجران، والفتن التي حدثت بين الامام وقبائل مذحج بما فيها بنو الحارث بن كعب، ومنها بنو عبد المدان، ثم يرينا راوي هذه السيرة ان كثيراً من القبائل تكون ولاء اليوم عداء غداً وتعطينا هذه السير- أو بالأصح ما اخترمناه منه - حالة كثير من القبائل آنذاك وجزءاً من تأريخها، مثل: بنو الحارث، ويأم، وشاكر، ووادعة ، وربيعة، وخولان، وكلها لا زالت معروفة في نجران، ويقص علينا أخباراً طوالاً وأياماً مهولة ومعارك دامية، ظلت سجالاً بين الهادي وبني الحارث ردحاً من الزمن، بل قضى الهادي نحبه ولما تقضَ تلك الفتن، كما يذكر لنا أن النصرانية واليهودية عادت الى نجران، فوجدهم الامام ذوي ثروات، وأنهم قد تملكوا كثيراً مما في يد المسلمين ،مما جعله يشرع لهم تشريعاً يضمن جباية اموال المسلمين، وانهم رضوا به، ولكن بعد ما هددهم الهادي ان ينتزع منهم كل ما تملكوه بالشراء من المسلمين . ويتبادر الى الذهن ان هؤلاء الذميين كانوا وراء تلك الفتن ضد الهادي، وانهم كانوا يغرون الأعراب والقبائل ضده، ذلك

(١) هو الامام يحيى بن الحسين بن القاسم بن ابراهيم الحسني العلوي الرسي - نسبة إلى الرَّس أحد جبال القبلية قرب المدينة - ولد بالمدينة سنة ٢٢٠هـ وكان يسكن الفرع شمال المدينة مع بعض عمومته وأقربائه. كان فقيهاً عالماً ورعاً عادلاً شجاعاً مغواراً ، وقد ألف كثيراً من الكتب في العقيدة. دعته همدان إلى اليمن - وهمدان نصرة آل البيت من أيام الامام علي - فتوجه إلى اليمن ونزل صعدة واتخذها قاعدة له ، وعاضدته همدان ، وناصبته بنو الحارث بن كعب العداء ، وملك معظم اليمن ، وفتح نجران ، وقاتلها مراراً ، وخطب له في مكة سبع سنين ، وضربت السكة باسمه ، وخوطب بأمير المؤمنين ، ولقب بالهادي إلى الحق ، ظهر في عهده أبو الفضل القرمطي - لعنه الله - وتغلب على كثير من بلاد اليمن ، وتوجه الى الكعبة ليهدمها سنة ٢٩٨هـ فقاتله الهادي إلى الحق . وعاجلته الوفاة ودفن في جامع صعدة سنة ٢٩٨هـ. كانذا قوة خارقة يمسك الحنطة بيده فيطحنها ، وكان اسم فرسه الذي يقاتل عليه (أبو الجماجم) . وقد غالى راوي سيرته بما كان غيره أليق ، كما سترى مما اخترمناه من هذه السيرة .

أن هؤلاء الذميين ما كانوا يدفعون شيئاً قبل فتح نجران، وكان أهل نجران ـ كما نعرف من هذه السيرة ـ لا يعرفون دفع الزكاة، وكانت معرفة الاسلام منحصرة في قرية (الهجر) قاعدة المنطقة، حيث كان فيها فقهاء وطلبة علم . وهذه السيرة فيها من تأريخ المنطقة ما لا يوجد في غيرها .

وإليك ما اقتطفنا من كتاب(سيرة الامام الهادي) .

علي بن محمد بن محمد بن سليمان قال : وردنا اليمن قبل وصول يحيى ابن الحسين بنيف وخمسين يوماً ، وقد يبس الزرع من العطش ، ورأيت الدواب من البقر والغنم وغير ذلك من البهائم تتساقط هزلاً وجهداً ،وذلك أنا وردنا إلى قوم بينهم فتنة عظيمة ، فلما عرفوا أنا من أصحاب يحيى بن الحسين قطعوا الفتنة فيما بينهم ، فلم يقتتل منهم رجلان انتظاراً منهم ليحيى بن الحسين ، ونعمة من الله تبارك وتعالى عليهم بذكره ، وحضرنا إليهم نخبرهم خبره ، وعرَّفناهم أنه صائر إليهم ، فرأينا منهم من الرغبة في العافية والرهبة له ، للذي أراد الله تعالى لهم من الخير وذلك ببركة يحيى بن الحسين عليه السلام ، وبما جعل الله فيه من العلامات والدلائل والآيات التي بُهرت بها العقول ، مماخصه الله تعالى به من أولاد الرسول ، ولما فيه من العلم البارع والورع الساطع ، والخير الجامع ، فنشر الله بذلك عدله ، وأبان فضله على غيره بما قام به لله في اصلاحه لعباده ، ونشره لدينه في بلاده . فكان قدومه اليمن رحمة للعالمين وحجة لله على الفاسقين ، فظهر به الدين ، وأعلن دعوة المحقين ، وسر أهل اليمن بما كان من دعوته لهم ، وما تناهى إليهم من خبر سيرته فيمن كان من مخلافه ، وما ظهر من عدله وشرائعه في بلده ، وكتبوا إليه يسألونه المسير إلى بلدهم لإصلاح ذات بينهم لما كانوا فيه من الفتن وذهاب الأديان وقتل الرجال ، واغتصاب الأموال ، وانتهاك المحارم ، وقطع السبل .

وكان الذي وفد إليه من نجران شاكر[1] ، وثقيف[2] ، ووادعة[3] ، ويام ، والأحلاف[4] ، وجماعة[5] من بني الحارث[6] ، فأجابهم يحيى بن الحسين عليه السلام (١١ ظ) إلى ما طلبوا من ذلك ، وقد كانوا كتبوا اليه وهو ببلده يطلبون ذلك منه ، فلما كان آخر يوم من جمادى الأولى وهو يوم الإثنين من سنة أربع وثمانين ومائتين أمر بجمع الناس ، ثم خرج بهم ، إلى خارج صعدة فعبأهم بنفسه ميمنة وميسرة وقلباً ، قال رجل من همدان : ما رأيت مثل هذه التعبئة فقال له يحيى بن الحسين : هكذا عبأ رسول الله ﷺ أصحابه يوم بدر أو يوم أُحد ، ـ الشك مني ـ ثم جعل يحيى بن الحسين يصف القتال وكيف يطعن بالرمح وكيف يضرب بالسيف ، ثم أخذ الرمح فأراهم ما وصف لهم ، فسمعت الهمداني وهو محمد بن بهار ، رجل مذكور بالفروسية والشجاعة ، وهو يقول : ما رأيت مثل أبي الحسين ، وما يقدر أحد يقول فيه شيئاً ، يعني من فروسيته فأجابه أحمد بن عباد الأكيلي وهو رجل يذكر بالفروسية وهو يقول : ما يقوى أحد يعمل بالرمح كمثل ما يقوى عليه أبو الحسين ، وكانوا كذلك .

ثم رجعوا الى صعدة وأخذوا في اصلاح ما يريد للخروج الى نجران ، حتى إذا كان يوم الجمعة لأربع خلون من جمادى الآخرة صلى بالناس يوم الجمعة ، وخطب بهم خطبة بليغة وذكّرهم الجهاد ورغّبهم في إصلاح العباد والبلاد ، ثم انصرف إلى منزله . فلما كان يوم السبت أمر بمضربه فضُرب خارج القرية ، وبات ليلته بالمضرب .

---

(١) بطن من همدان .

(٢) لم أجد فيما بين يدي متى استوطنت ثقيف نجران ، وقد ذكرهم الهمداني عرضاً في اليمن « صفة جزيرة العرب » ص ١٨٥ ، ولا أدري أهم ثقيف الطائف أم قبيل من اليمن سمي كذلك .

(٣) وادعة من همدان ، وهي اليوم قسمان : أحدهما في همدان والآخر في قحطان .

(٤) الأحلاف : بطون من يأم من همدان . انظر شجرة همدان .

(٥) جماعة من خولان .

(٦) بنو الحارث بن كعب : من مذحج .

فلما كان يوم الأحد لستة أيام خلون من جمادى الآخرة من سنة أربع وثمانين ومائتين سار على اسم الله وبركته، يريد نجران في عسكر كثيف من خَوْلان[١] وغيرهم ، فكان مسيره إلى نجران يومين ، ووصل إلى أعلى نجران يوم الثاني، ولقيته وادعة[٢] وشاكر[٣] وثقيف ، ويام[٤] والأحلاف ، فسُروا بقدومه وأنسوا بقربه ، وبايعوه ورغبوا في الحق ، وما بين لهم من شرائعه ، وأعلموه بما جرى بينهم وبين بني الحارث من قتل الرجال ، وذهاب الأموال ، وانقطاع الطرق ، وهتك الحَرم ، وخراب المنازل ، وصيروا أنفسهم ودماءهم وأموالهم في يده ، فشكرهم على ذلك ، وسار بهم وبعساكره حتى وصل بالقرب من قرية نَجْران ، ولقيته بنو الحارث[٥] ، وسلمت عليه ، وجَذلوا بقربه ، وأنِسُوا إليه لما كان قد شملهم من البلاء والفتن ، وذهاب الرجال والأموال فيما بينهم خاصة ، وفيما بينهم وبين هَمْدان عامة ، ورغبوا في انقطاع ذلك ، فنزل الهادي إلى الحق عليه السلام تحت أثْلٍ قدام القرية ، ثم دعا هَمْدان وبني الحارث فأجلسهم عنده ، فخطب خطبة بليغة ذكَّرهم بالله وبأيامه ووعظهم ، ثم أمر بمصحف فاستحلف بعضهم لبعض ، وعلى السمع له والطاعة وترك الفتنة والعداوة مع الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وبايعه خلق من الناس في موضعه، وابتهجوا جميعاً بذلك وجذلوا ، واختلط الناس جميعاً، ثم ركب وسار وهم معه جميعاً حتى وصل قرية الهَجَر من نجران ، فنزل فيها وأقام أياماً؛فأظهر عدله ، وشهر سيرته ، ورد المظالم ، ورغب فيه من سَمع به ، وقسم بالسوية ،وعدل في الرعية ، واطمأنت البلد ، ولبس الناس العافية ، ورجعوا إلى منازلهم

---

(١) يقول الهمداني : خولان بن عمرو من قضاعة ، وتقول اليمن اليوم : خولان بن عامر ، وجماعة بن عامر . كما يقولون : همدان بن زيد .

(٢) وادعة : فرع من همدان ينزل نجران .

(٣) شاكر : من همدان .

(٤) يام : قبيلة من همدان ، تقدم ذكرها .

(٥) بنو الحارث بن كعب : حي من اليمن من مذحج : دخل بعضها في يام اليوم .

وأموالهم ، واختلفوا في ضياعهم وأمنوا في طرقهم ، فلما كان يوم الجمعة صلى بالناس ودعاهم في خطبته إلى الحق والبيعة له والجهاد معه ، فلما فرغ من صلاته ابتدره الناس للبيعة ، فلم يزل يبايع الناس حتى صلى العصر ثم انصرف[1] .

الصلح الذي وقع بين المسلمين وبين ذمَّة أهل نجران[2]

ثم نظر يحيى بن الحسين في أهل الذمة وما في أيديهم من الأموال التي ليست بجاهلية ، وإنما اشتروها في دار الإسلام من المسلمين .

قال علي بن محمد : حدثني أبي محمد بن عُبيد الله قال : سمعت يحيى ابن الحسين يقول : إنْ أُطلق الذمِّيون على أموال المسلمين حتى يشتروها بطلت الأعشار ، وَضعُفَ الإسلام ، ولكن صلاح أن يبيعوها من المسلمين الذين أوجب الله عليهم الصدقات في أموالهم ، ولا يترك في أيدي أهل الذِّمة فيقتطعون بذلك حق الله تبارك وتعالى ، ويضعف الإسلام .

فوجه إلى أهل الذمة فأحضرهم وأمرهم أن يخرجوا ما في أيديهم مما اشتروه من أهل الإسلام إلا ما كان جاهلياً فهو لهم[3] ، فضجُّوا من ذلك وقالوا : يابن رسول الله خُذْ منا ما تريد ، ولا تخرج هذه الأموال من أيدينا ، فلما كان بالليل قال : نظرت في أمر هؤلاء الذِّمِّيين وعزمت على أن أُخرج هذه الأموال من أيديهم ليبيعوها للمسلمين فكرهوا ذلك ، فناظرت نفسي واستخرت الله كثيراً وعزمت على أن أُصالِحَهُمْ صلحاً نرضى نحن وهم به ، وهو التُسع من جميع ما استغلوه من أموالهم ، فقلت له : جعلت فداك وكيف يكون صلحهم على

---

(١) من هذا النص وما يتبعه ترى أن اندثار بني الحارث بن كعب سبقته حروب طاحنة وفتن عمياء ، فنزح من نزح واندمج في يام من اندمج .

(٢) سيرة الامام الهادي من ٧٢ ـ ٧٨ .

(٣) تقدم معنا أن عمر أخرج نصارى نجران من نجران ، وإنما هؤلاء الذمّيون ـ يهود ونصارى ـ دخلوها بعد ذلك .

التُسع ؟ فقال: إنما هو صلح كما صالح رسول الله ﷺ أهل الذمة ، ولو صالحتهم على العشر خِفت أن يظن بعض الجهال أنا عشّرنا أموالهم كما عشّرنا أموال المسلمين ، ولكنا نصالحهم على التسع ، فوجه إلى أهل الذمة فأحضرهم ، وأحضر جماعة من المسلمين فيهم فقهاء أهل البلد وغيرها ، فعرض على أهل الذِّمة الصُلح بحضرة الناس جميعاً برضى منهم غير مكرهين ولا مُجبرين ، فرضوا بذلك وأشهد عليهم جماعة من المسلمين ومن الذميين في كتابه الذي كتبه بينه وبينهم ، ثم قال لي : أرجو أن يكون هذا الصلح سُنَّةً من بعدي كما كان من محمد عليه وعلى آله السلام ، فلما كان في السَّحَر جلس وأمر بقرطاس فكتب بيده نسخة له ، ثم أمر به فنسخ نسخة فدفع إلى أهل الذمة بنَجران نُسخة ، وصير عنده نسخة يكتبها لمن وقع عليه مثل هذا الصلح من جميع أهل الذِّمَّة .

وهذه نسخة كتاب الصلح

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب كتبه الهادي إلى الحق أمير المؤمنين يحيى بن الحسين بن رسول[1] الله ﷺ بينه وبين أهل الذمة من أهل نَجران وغيرهم من أهل الذمة ممن رضي بما رضي به أهل الذمة بنجران ، فكان أول ما ابتدأ به من ذلك أن قال[2] : الحمد لله الذي لا إله غيره ولا شريك معه إله الأولين والآخرين، وفاطر السموات والأرضين الذي لا تراه أعين الناظرين ولا تحيط به أفكار المتفكرين ، لا يصفه بتحديد الواصفون ، ولا ينطق فيه بوصف جارحة الناطقون ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي رفع السماء فبناها وسطح الأرض فطحاها ، « ولا يؤ وده حفظهما وهو العلي العظيم » ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المرتضى

---

(١) هذا قول يَتَجوّز فيه العلويون ، وقد قدمنا نسب السيد يحيى في أول هذا البحث .
(٢) أي أن كل ما قيل (قال) ليس من إملاء الهادي ، إنما هو مديح من الراوي .

وأمينه المصطفى أرسله برسالاته فبلغ رسالة ربه ، ونصح لأمته ، وعبد ربه حتى أتاه اليقين ﷺ ، وعلى آله الطيبين الأخيار .

وبعد أيها الناس : فإن الله جل جلاله وتقدست أسماؤه خلق خلقه بلا حاجة تلاحيه إليهم ، ولا منفعة تناله منهم ، بل خلقهم لأنفسهم ، ودَلهُم على رشدهم ، وزجرهم عن غيهم ، وأسبغ عليهم بمنِّه أرزاقه ، وأنالهم برحمته ارفاقه ، ومَلّكهم الآفاق ، فتبارك الله العليم الخلاق ، ثم جعل لأرزاقهم أسباباً ، فجعلها تجري بهم على مشيئته وينال حلالها من أناله إياها بقدرته سياسة من الخالق إلى المخلوق ومنّاً منه سبحـانه بالرزق ، فجعل للفقراء في أموال الأغنياء جزءاً نصف عشر يجري عليهم ، وعشراً على قدر سقي الأرضين ، وما مَنَّ الله به على العالمين ثم سمَّى ذلك في كتابه جل جلاله فقال لنبيه ﷺ : « خذ من أموالهم صدقة تطهّرهم وتزكّيهم بها وصلِّ عليهم »[1] . فأوجب عليه أخذ ذلك منهم وأوجب عليهم إخراج ذلك إليه من أيديهم بقوله عز وجل : « أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة »[2] . ثم أمر نبيه برد ذلك على من سمَّى من الثمانية الأصناف . « للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل »[3] . فجعلها معونة للمؤمنين على الجهاد في سبيل رب العالمين ، ومعونة ورزقاً للمساكين .

فاجترأ على كثير من أموال المسلمين أهل الأموال من الذميين ، فاشتروها من أيدي المسلمين ، فملكوا جزءاً عظيماً من البلاد ، وحازوا منافعه من العباد ، فصار ما ملكوه من ذلك طلقاً من الأعشار التي كانت تجري عليهم في أيدي المسلمين ، لأنه لا زكاة على الذميين في ناض[4] ولا غرض لتجارة ، ولا

---

(١) سورة التوبة آية ١٠٣ .

(٢) سورة المزمل آية ٧٣/٢٠ .

(٣) سورة التوبة آية ٩/٦٠ .

(٤) النقود من دنانير ودراهم وما شابه به ذلك .

في أرض جاهلية في أيديهم ، ولا في غنم ولا إبل ولا بقر ، ولأن الزكاة تطهرة للمؤمنين ، حكم بذلك رب العاملين دون غيرهم من الذميين ، وفي ذلك ما يقول أكرم الأكرمين لنبيه محمد خاتم النبيين : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » ، فلما اشتراها أهل الذمة من أيدي المسلمين أزاحوا بذلك ما جعل الله فيها من المعونة لعباده المؤمنين ، فكسروا بذلك على المؤمنين أموالهم وجباياتهم ، فأذهبوا ما كان لهم من منافعهم التي جعلها الله لهم فيها فرضاً وحكم به على المسلمين حكماً .

فرأيت عند ذلك أن تركها في أيدي من لا زكاة عليه لا يجوز ، ولا يسعنا لما في ذلك من الضرر على الإسلام ، وإضعاف دين محمد عليه وعلى آله السلام ، فدعوت أهل الذمة وألقيت ذلك إليهم ، وأوقفتهم عليه ، وأعلمتهم أنه لا يجوز تركها في أيديهم ، فإنه لا يجوز لهم أن يكسروا بشراء أموال المسلمين الخراج الذي جعله الله تقوية في الدين ، ومعونة في جهاد الفاسقين ، ومعونة للفقراء المؤمنين ، فضجوا من ردها على المسلمين والخروج منها إلى المؤمنين ، وقالوا خُذْ منا ما يجب على المسلمين في أموالهم ، فأعلمتهم أن ذلك لا يجوز لنا فيهم .

ثم رأيت عند ذلك أن أخيرهم بين التنحي عنها ، والتخلي منها ، أو أن أجري بينهم وبين المسلمين صلحاً في ذلك يرجع بمنفعته عليهم ، ويجوز بإجرائه للذِّمِّيين شراء أموال المسلمين ، والدخول فيما احتووا من أرض المؤمنين ، والإقامة على ما في أيديهم مما اشتروه منهم ، وملكوه من أرضهم دونهم ، فخشيت إن أنا صالحتهم على العشر أن يتوهم أهل الجهالات من المتكمهين[1] ، في العمايات ، أنَّا عشرنا الذميين كما عشرنا المسلمين ، وأنا جهلنا أنه لا صدقة على الذميين ، فأوقعنا بين المسلمين وبين الذِّمِّيين صلحاً بائناً

(١) المتكمه من يركب رأسه لا يدري أين يتوجه « القاموس » .

من اللبس والشبه، يملكون به ما شاءوا ، ويقيمون على ما أرادوا من أموال المسلمين ، ويجب لأموالهم به الحياطة على المؤمنين ، وهو التسع فيما سُقي سيحاً أو بماء السماء ، ونصف التسع فيما سُقي بالدوالي والحظارات والسواني[1] ، فرضي بذلك الذميون واختاروه ، وحسن موقعه منهم ، فأقررنا على هذا الصلح في أيديهم ما كانوا تَشَرّوه من أموال المسلمين ، وأجزنا لهم شراء ما أحبوا من أموال المؤمنين على تأدية هذا التُسع ، مما سقي سيحاً أو بماء السماء ، ونصف التسع مما سقي بالسواني والحظارات والدوالي ، وجَعلنا لهم من بعد أداء ما سمينا من هذا الصلح على الحروث في النخيل والفواكه والقضوب وغير ذلك مما تجب فيه الزكاة على المؤمنين قليل ذلك وكثيره سواء ، يؤخذ منه على قدر سقي أرضه من كل ما سُقي بماء السماء التسع كان ذلك فرقاً أو فرقين ، أو عشرة أو عشرين ، ففي كل ما خرج من أموالهم قل ذلك أو كثر من الثمار تُسع مما سقت السماء ، ونصف التسع مما سقي بالسواني وغير ذلك من الأشياء .

وأجزنا لهم شراء ما أحبوا من جميع الأموال يؤدون عن ذلك ما سمينا من الصلح بينهم وبين المسلمين في هذا الكتاب ، فإذا أدوا ذلك إلى المسلمين ، فلعنة الله وسخطه ، ولعنة اللاعنين ، ولعنة الملائكة والناس أجمعين على من ازداد عليهم درهماً واحداً ، أو جار عليهم من خرص أموالهم[2] ، أو كيلها ، أو قيمتها ، أو غير ذلك من أمرها ، من الولاة في حياتي أو بعد وفاتي ، أو أخذ منهم غير ذلك ، أو ضرب عليهم ضريبة ، أو كلفهم كلفة ، أو جعل عليهم مؤونة ، أو جشمهم معونة .

وللذميين على المؤمنين إذا أدوا إليهم ما جعل الله سبحانه وتعالى من الجزية عن رؤوس رجالهم الأحرار دون نسائهم ، ومماليكهم وصِبيانهم -

---

(١) هذه كانت أدوات استخراج الماء بالدلاء أو الغروب ، بأيدي الناس أو البقر أو الجمال ونحوها .

(٢) الخَرْص : حَزْر الثمار وهي في أصولها .

تؤدِّي ملوكهم ثمانية وأربعين درهماً قفَلة على كل رجل منهم ، ويؤدي أوساطهم أربعة وعشرين درهماً قَفْلة[1] ومتعيشتهم إثني عشر درهماً قَفْلة ، فإذا أدوا الجزية عن رؤوسهم ، وأدّى من كان في يده شراء من أموال المسلمين ما صولح عليه من هذا الصلح المسمى في هذا الكتاب ـ فقد حقنوا دماءهم بالجزية وحرَّموا أموالهم على من آمن بالله ، ونالوا بأداء هذا الصلح المسمى في هذا الكتاب شراء ما أحبوا من أموال المسلمين ، وقد وجب لهم على من آمن بالله أن لا يُخرج ما في أيديهم عنهم ، ولا يمنعهم من شراء غير ذلك ، وقد وجبت لهم الحياطة على ولاة المسلمين ورعيتهم . ولا يجوز لأحد ظلمهم ولا التحامل في غير ذلك الحق عليهم ، فمن طلب منهم غير ذلك فبرىء من الله ، وبرىء الله منه وصالح المؤمنين والملائكة والناس أجمعين ، وقد خرج بذلك من ملة المسلمين[2] .

وأشهد لهم الهادي إلى الحق أمير المؤمنين، يحيى بن الحسين بن رسول الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين الأخيار ، الله سبحانه وملائكته بذلك ، وأشهده وملائكته وجميع من حضر من المؤمنين عليهم بما في هذا الكتاب ، فرضي جميع أهل الذمة بنَجْران بهذا الصلح الذي جرى بينه وبينهم ،وقرىءهذا الكتاب عليهم وعلى المسلمين وفهمه الكُلّ ووقف عليه وشهد على رضا الهادي إلى الحق أمير المؤمنين يحيى بن الحسين ابن رسول الله ﷺ وعلى أهل بيته وسلم ، ومن حضره من اهل الذمة ممن له مال بنَجران بهذا الصلح الذي بين الهادي إلى الحق أمير المؤمنين يحيى بن الحسين ابن رسول الله ﷺ وبين أهل الذمة من أرباب الأموال بنجران[3] ، وهذا الصلح جائز بين المسلمين وبين من

---

(١) عملة كانت سائدة في اليمن ، والقفلة : عرض أصبع اليد .
(٢) الخروج من ملة المسلمين له قواعد ليس هذا منها ، الاّ أن يكون القصد هنا دعاء .
(٣) تكرار هذه الجمل من عمل الراوي ، وقد أدخل الركاكة على النص .
فسر ذلك أهل البلد ، وأدّوا ما يجب عليهم فيه .

رضي به من جميع اهل الذمة بسائر البلدان ، لا يمنعهم من قبوله مسلم ، ولا يحول بينهم وبينه إلا آثم .

وكتب هذا الصلح في شهر جمادى الآخرة لسبع بقين منه من سنة أربع وثمانين ومائتين . شهد : أحمد بن عبد الله بن خالد المَذَاني ، وكتب شهادته ، والحسن بن علي بن أبي فُطيمة ، وكتب شهادته ، وعليُّ بن إبراهيم المَذَاني ، وكتب شهادته ، وأحمد بن عبد الله بن عَبَّاد ، وكتب شهادته ، ومحمد بن عبد الله بن خالد ، وكتب ، والحسين بن عبد الله بن علي ، وكتب ، ومحمد بن عليّ بن إبراهيم ، وكتب ، وعَبَّاد بن عبد الله ، وكتب ، وهشام بن المنصور ، وعبد الملك بن عبد الملك ، وكتب ، وعبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن ،وكتب،وأحمد بن محمد بن إسماعيل الجَوّاد ، وكتب، وزياد بن عبد الله بن زياد ، وكتب ، وعبد الوهاب بن محمد بن عبد الملك ، وكتب ، وجعفر ابن محمد بن جابر ، وكتب ، وموسى بن محمد بن موسى ، وكتب ، ومحمد بن زياد بن الأحسن،وكتب ، والحسن بن علي بن محرم ، وكتب ، وشُنَيف بن القاسم ، والحسن بن مَعْمَرَ الباقري ، والحَبَّاب بن محمد بن اسماعيل ، وأحمد بن محمد بن أحمد ، ومعتب بن أحمد ، وإبراهيم بن محمد بن أبي فُطَيمة ، وأحمد بن زكري ، وذكرى بن زكري ، وشعيب بن صالح ، ومحمد بن عبد الله ، وعبد الحميد بن عمر ، وموسى بن الحجاج ، واسحاق بن يعقوب ، وعبد الله بن سليمان ، وعاقل بن عبد الله ، ومحمد بن أحمد الجَوّاد ، وعبد الله بن أحمد الجواد، واحمد بن محمد ، وعبد الله بن محمد ، وأحمد بن إسماعيل ، وعبد الله بن محمد بن الحكم ، ومحمد بن عبد الله ، وحسن بن حسن ، وعبد الله بن زكري ، وعلي بن إبراهيم بن محمد الضبي ، ومحمد بن سعيد بن يوسف ، ومُسْتَنير بن عبد الله الفارع ، ومحمد بن أيوب ، ومحمد بن عمر بن عُميص .

فسر ذلك أهل البلد ، وأدّوا ما يجب عليهم فيه .

خبر عمال نَجران وخبر حُنَيش الوادعي[1]

ثم خرج عمال له من نَجران كان معهم مال شبيهاً بألف دينار ، حتى إذا صاروا إلى موضع يقال له الرَكب في طريق نَجران تبعهم رجل يقال له حُنيش من وادِعة[2] ومعه جماعة من عشيرته، وحُنَيش الذي كان جمعهم فأخذوا المال وقتلوا رجلاً كان مع العمال .

فلما جاء الخبر إلى الهادي إلى الحق أمر الناس للخروج إلى نجران ، وكان لحُـنيش بنَجران نخل كثير وأعناب ومنازل .

فلما كان يوم الاثنين الثاني عشر من جمادى الأولى سار الهادي إلى الحق إلى نَجران بعساكر كثيرة ، فوصل إليها يوم الأربعاء ، فنزل بقرية من قرى نَجران يقال لها شَوكان[3] ، وهي القرية التي كان يسكنها حُنَيش وله فيها المال ، فلما وصل الهادي إلى الحق إلى شَوْكان وجه إلى حُنَيش رجالاً من عشيرته ، يدعونه إلى الله تعالى ، ويسألونه رد المال ، وأن يرجع إلى الحق ، وتوقف الهادي إلى الحق عن ماله ولم يُحدث فيه لإيجاب الحجة عليه ، وعزز بالرسل إليه في رد المال وإعطائه الحق من نفسه ، فامتنع حُنَيش من ذلك وكره .

فأمر الهادي إلى الحق بقطع نخله وأعنابه ، فقطع له أربعمائة نخلة تنقص نخلات وكرمين ، وهدم له منزلاً ، وابتهل عليه بالدعاء أن يُريح الله أهل الإسلام منه ، وذلك أنه قد كان جمع حُنيش جمعاً من لصوص البادية ، وعرض أن يفسد في عمل الهادي إلى الحق ، ويقطع الطريق .

فخبرني بعض أصحابنا ان حُنَيشاً وعد جماعة على أن يخرج بهم ،

---

(١) سيرة الامام الهادي ، ص ٨٩ و٩٠ .

(٢) فخذ من همدان .

(٣) انظر معجم البلدان مادة « شوكان » .

(٤) في ص « وإعطاء » .

فيقطعون على الناس ويفسدون على الهادي إلى الحق ، فلما كان في الليلة التي عزم أن يخرج فيها هو وأصحابه طرقه الله بطعنة في يده ، فمكثْ يومين يستغيث منها ، ثم مات إلى لعنة الله وأصلح يحيى بن الحسين بين الخولانيين والهمدانيين ، ثم مضى إلى صعدة[1] ووجه الدَعام معه ابنه محمد في ستة وعشرين فارساً ، وانصرف الدَعَام إلى بلده .

خبر مصير ابنِ بَسْطام إلى دَعَام

وقد كان هرب ابنِ بِسْطام عندما صح له خروج الهادي من خَيوان يريد نجران فصار إلى دَعَام وطلب منه أن يطلب الأمان له من الهادي ، فلقي به دَعَام ، وحمل نفسه على الإمام ، وطلب منه الأمان لابنِ بِسطام فآمنه الهادي إلى الحق وصفح عن زلّته وسار معه ، واختلط بعسكره ، فوصل الهادي إلى صَعْدَة يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من جمادى الآخرة ، ومعه وجوه هَمدان ومحمد بن الدَّعام وخيله ، فأقام بصعدَة أياماً ، ثم جمع خَولان وسار بها إلى نَجران مع من كان معه من عساكر هَمدان ، فخرج يوم السبت لسبعة عشر يوماً ماضية من الشهر ، فوصل إلى نَجران يوم الثلاثاء ، فلم ينزل القرية وقصد إلى قرية المحدثين من اليَامين وهي قرية يقال لها لُبَيْبان[2] .

مصير الهادي الى الحق الى نجران

فلما وصل أرسل في طلب المحدثين فخافوه فصعدوا الجبال وحاذروه ، وهمَّ بقطع أموالهم وهدم منازلهم ، فأتته عشائرهم فسألوه الاتفاق وضمنوا له أن يأتوه بهم ، فمضوا إليهم فأنزلوهم من الجبال ، وأتوا بهم إلى الهادي إلى الحق ، فأمرَ بهم فاستوثق منهم من ساعتهم حتى نزل قرية الهجر ، فأرسل أخاه عبد الله بن الحسين وكان قد قدم من[3] الحجاز قبل خروج الهادي من خَيوان إلى

---

(١) سيرة الهادي ص ١٢٩ و١٣٠ .

(٢) في صفة الجزيرة ص ١٦٩ « لبينان » .

(٣) في ص « من ساعته الحجاز » .

نَجران ، ولما وصل إلى نجران ونظر إلى الفساد أخذ جماعة من المفسدين فحبسهم وأصلح البلد حتى قدم الهادي إليه ، فأرسله في طلب من بقي من المحدثين فركب فأتاه ببعضهم فحبسهم وقيدهم ، وأخذ الهادي جماعة من بني الحارث ومن يَام، وجماعة من سكان نَجران كانوا مفسدين فقيَّدهم وحبسهم وطلب رجلاً كان ممن أفسد وأحدث فهرب ، فركب الهادي إلى الحق إلى القرية التي كان يسكنها وهي تسمى رِجّلاء[1] ، فطلبه وأرسل إليه ، وكره فلم يُجبه فهدم منزله وخرج إلى خارج البلد يطلب زرعه ، فَدَلوه على أرض له ولأخيه وشركاء له ، وفيها زرع ذرة ، فأمر الهادي قوماً يقسمون الذرة فدخلوا فقسموها فلما قسموا أمرَ الهادي بقلع ما صار له من الزرع ، فقلعه الناس ، ثم سأل الهادي : هل له نخل ؟ فأخبروه أن له ولشركائه نخلاً فأمر أيضا بقسمه فقسم ، فلما عرف الهادي نصيبه أمر بقطعه فقطع ، ثم قال : قد فعل رسول الله مثل ذلك حيث قطع نخل بني النضير فأنزل عليه « ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليجزي الفاسقين »[2] ، وقطع نصيبه وهو نيف وعشرون نخلة ثم انصرف فدخل القرية ، فأصلح أموراً كانت بين الناس .

مصير عبد الله بن الحسين إلى نَجْران من الحجاز[3]

قال علي بن محمد : لما خالف القُسَيب على الهادي إلى الحق وابن الضحاك على أبي القاسم تحركت بنو الحارث في الفساد على الإمام ، وكان القائم على ذلك ابن بسطام ، فقدم عبد الله بن الحسين إلى نَجران من الحجاز ، وكان الهادي إلى الحق قد وجهه إلى الحجاز إلى مشايخه أيام رفع ما كان أُحدث عليه ، فلما وصل أبو محمد البلد أصلح ما كان بها ، ولمّ أُمور أهلها

---

(١) انظر صفة الجزيرة ص ١٣٤ وفيها «رجله» . . وهي معروفة اليوم وقد ظهرت على خريطة نجران .

(٢) سورة الحشر ٥٩/٥ .

(٣) سيرة الامام الهادي : ص ١٤٥ - ١٤٨ .

فاطمأنت البلد لذلك .

ثم إنّ الحارث اجتمعت وتشاورت في الهجمة على أبي محمد عبد الله ابن الحسين، وعلى أبي الحسين أحمد بن محمد العلوي رضي الله عنهم ، وكان والياً للبلد وأرادوا أن يأخذوهما بدلاً بحبسائهم الذين كانوا أخذهم الهادي إلى الحق ورفعهم إلى صَعْدَة في سفره الأول ، وحبسهم بصَعدَة، فلما كان ليلة سبع عشرة ماضية من شهر رمضان من سنة ست وثمانين ومائتين هجموا عليهما بأجمعهم ، فلم يشعروا بهم حتى دخلوا عليهما الدار ، وفتحها لهم رجل مَدَاني يقال له ابن مصفى بن إبراهيم ابن عم علي بن ربيع ، فلما دخلوا الدار أخذوا دواب أبي محمد وأبي الحسين ودواب أبي جعفر محمد بن عيسى التمَيمي وكان معهما مقيماً في البلد ، وأخذوا ما كان في أسفل الدار ، وعلم بهم أبو محمد بعد دخولهم الدار وكان في تلك الساعة يصلي صلاة الليل ، فنادى بأبي الحسين وأصحابه وخدمه وكانوا شبهاً من بضعة عشر رجلاً ، فقاتلهم من جانب وأصحابه من جانب، فلم يزل يقاتلهم قتالاً شحيحاً حتى رمى ابن أخ لابن حُمَيد يُقال له الطاهر بن الطاهر بحجر فصرعه وسقط مغشياً عليه ، وهابت بنو الحارث موضعه ، ثم كثروا وتلاحقوا ، ثم حملوا على أبي محمد وأصحابه ومن كان معه حتى اجتمعوا ، وعرف مقامهم وأشجوا عدوهم ، وقد كان معهم نفر من المَدَانيين فقتل منهم ثلاثة نفر ، فلما رأت بنو عبد المَدَان الذين كانوا معهما أن أصحابهم قد قتلوا وأكثر بهم بنو الحارث ، سألوا المصير إلى منازلهم فإنهم يخافون الهلكة عليهم ، فأجابوهم إلى ما طلبوا وصاروا معهم إلى منازلهم، ثم صرخوا بمواليهم وقاتلوا بني الحارث قتالاً شديداً حتى أصبحوا[1] ، وأيست بنو الحارث من الرجلين ، وانصرفت إلى مواضعها، وأقام أبو محمد وأبو الحسين في القرية حتى أصبحا ، وهما في ذلك يخافان لجماعة كانت في القرية مع الأبرص المَدَاني وابن أخيه علي بن ربيع وكانا ممن غشي الدار مع بني

---

(١) هذا رغم أن بني عبد المدان هم ملوك بني الحارث ورؤساؤهم .

الحارث ، وارادا بذلك السوأة إلى أبي محمد وأبي الحسين ، وكانا ممن نهب الدار ، ووقع في يد ابن الأبرص جارية لأبي الحسين فأخذها عشاءً .

قال علي بن محمد . فلما وقعت بنو الحارث بالدار أتى الخبر إلى هَمْدان فاجتمع منهم عسكر كثيف من هَمْدان ، والأحلاف ، وثقيف ، وانحدروا حتى قاربوا القرية وأرسلوا إلى أبي محمد وأبي الحسين يسألونهما النهوض معهم ، وأعلموهما أنهم لا يثقون ببني عبد المَدان عليهما ، وأنه قد صح لهم أن بني عبد المدان قد أجابت بنو الحارث فيهما إلى ما طلبت ، فالله الله في نفوسكما فإنا نخاف الهلك عليكما ، فخرجا معهم بأصحابهما وجماعة من ضعفاء أهل نَجران من أهل المحبة ، فلما صاروا في بعض الطريق ، وبلغ بني الحارث مخرج أبي محمد وأبي الحسين عارضوهما وأرادوا أن يأخذوهما ، فلما نظر أبو محمد إلى بني الحارث وقف حتى نفد من كان معه من ضعفاء الناس ، ثم حمل على بني الحارث بمن كان معه من همْدان فهزموهم ومضى حتى صار إلى الحصن فأقام به يومين .

ثم إن نفراً من بني عبد المَدان ورجلاً من بني قُطن يقال له المُجاهر بن زياد ، وكان رجلاً جاء معه جماعة من بني بِشر منهم أحمد بن الأزْيد ، ومحمد بن الهَيْثم ، أرسلوا إلى أبي محمد أن يلقاهم بهَمْدان وثقيف والأحلاف حتى يحالفوهما على المناصرة والموالاة ، فركب إليهم ومعه من استموا عليه ، فالتقوا وتحالفوا على المناصرة والقيام معه ، وانصرف المَدانيون والخُثَيميون إلى منازلهم ، وبلغ ابن بِسْطَام ما كان من لقاء أبي محمد للمَدَانيين ، فجمع من كان قربه من بني الحارث ، وأخرج أهل مَيناس فعبأهم جميعاً دون حصنه ، وهو حصن دون مِيناس ، فلما رأى أبو محمد إلى ذلك من ابنِ بِسطام عبَّأ أصحابه وكمَّن كميناً في بعض المواضع ، ودنا بعضهم إلى بعض ، والتحم القتال فيما بينهم ثم خرج الكمين من ورائهم وحمل أبو محمد عليهم وطردهم من الحصن وقتل منهم فيه رجلين ، وخَرَّب الحصن ، وغنم عسكره ما كان فيه ثم انصرف أبو

محمد إلى معسكره فأقام فيه، وكتب فيه إلى الهادي يخبر بمن كان من بني الحارث وخلافها عليه ، وغدرها به ، فلما وصل الكتاب إلى الهادي إلى الحق كتب إليه أيضاً أنه صائر اليه بنفسه ، وكتب إليه مع كتابه بهذا الشعر :

ألا يَم إنما هُمِّي جوادي ... ورمحي والمُغاص من الدِعاص
ونَعش الدين بعد ثُوى دفينا ... وقسمي في البَرية بالحِصَاص
وضربي كل جَبّارٍ عنيدٍ ... بأبيضَ مُرْهفٍ فوق القِصَاص[1]
ولا أبكي على ربع مَحيل ... ولم أرع الهوارب باقتناص
ولكن النزاع إلى شَقِيقي ... ودرعي ذي الحفايظ في العِراص
فقل لأبي محمد ذي الأيادي ... تَأنّ فسوف يُسعدك ارتباص
سأشجي ظالميك بحدِّ رُمحيّ ... فلا يجدون عمرك من مناص
بنفسي ما اعتممت له ومالي ... أقيك بمهجَتي عند الحياص
إذا رُعِبَ الشجاع من العوالي ... وهمّ من المخافة بانتكاص
حَملت وفي يميني مَشرفيّ ... أقُدّ به الطِّلَى قدّ الضِراص[2]
أحل مُنى سَحابة فاطمي ... يواصل رعدها لمع النشاص[3]
إذا هبطت عزاليها[4] بوادٍ ... تضايق ما رماه بانقصاص
فَيُنعشُ خيرها قوماً وفوا لي ... ويُهلِكُ شرها من كان عاصي
أتتك الخيلُ مُعلمةً عليها ... أسودُ يأنفون من المعاصي
وفتيان إذا سمعوا صراخي ... أجابوا مُغضبين من الصياصي

---

(١) في حاشية الأصل : قصاص الشعر بضم القاف وفتحها وكسرها حيث ينتهي من مقدمه ومؤخره . وجاء في القاموس وقصاص الشعر حيث تنتهي نبتته من مقدمة أو مؤخرة . (محقق السيرة) .

(٢) في القاموس : الضراص بالكسر : الشديد والغليظ . (محقق السيرة) .

(٣) في حاشية الأصل : أنشص السحاب ارتفع وهو بالنون والشين المعجمة والصاد المهملة ، وفي القاموس جاء نفس الشيء . (محقق السيرة) .

(٤) في حاشية الأصل : العزالي بفتح العين المهملة والزاى وكسر اللام بعدها مثناه من يجمع جميع الثغر وهي مصب الماء من الراوية ؛ انظر القاموس المحيط ففية جاء نفس الشيء . (محقق السيرة) .

أولئـك حـاشـدٌ وبنـو بَكِيـلٍ[1] أولـو ضـربٍ كـأشـداق القـلاص
وخَـولان الحمـاة ذوو المسـاعي سيـوفي المدركـات لدى القـلاص
وفي الأحـلاف كـل نُهـىً وعـزٍ لـدى الهَيجاء غيـر ذَوي مَنـاص

خروج الهادي الى الحق عليه السلام الى نجران[2]

ليومين مضيا من ذي الحجة من سنة ست وثمانين ومائتين

قال علي بن محمد: خرج الهادي إلى الحق إلى نَجران ليومين مضيا من ذي الحِجَّة، وخلّف أبي محمد بن عُبيد الله والياً بصعَدة، وخلّفني معه، ولم يخلف معنا عسكراً، وسار حتى نزل بموضع يقال له البُطنة، بلد لبني سعد من خَولان، فوجهً إليهم فاجتمع إليه منهم عسكر عظيم، ثم أصبح فغدا إلى نجران، فبات بموضع يقال له الركب[3]، ثم أصبح فغدا، فلما قرب من نَجران لقيه الوادِعيون، ثم سار غير بعيد، ثم لقيه أبو محمد وأبو الحسين في أهل الحصن من شاكر وثقيف، ثم سار حتى نزل بالحصَن، فأمر بمضربه فضرب في أرض حرث من أراضي الحصن، ونزل أصحابه فبات به تلك الليلة.

فلما أصبح جمع هَمدان وَنجران[4] وثقيف والأحلاف، وأمر عسكره بالركوب، وسار حتى عسكر على باب ميناسٍ وفرق العساكر عليها من نواحيها، وأمرهم بقتال أهل الحصن، وفيه ابن بسطام وعشيرته وعامة بني الحارث، فقالتهم الناس قتالاً شحيحاً حتى كسروا جانب الحصن، ودخل بعض الطبريين من جانب القرية، واشتد القتال في ذلك الموضع وركبوا للناس السطوح ورموهم بالنبل رمياً شديداً من ورائهم وأمامهم وجوانبهم، ورموهم بالحجارة واللِّبْن من

(١) حاشد وبكيل شطرا همدان، وظلت على مر الزمن تعتبر جيشاً بيد الأئمة الزيديين.
(٢) سيرة الهادي إلى الحق ص ١٥٩ - ١٧٠.
(٣) موضع بين صعدة ونجران، على الطريق.
(٤) أي حاضرة نجران.

فوقهم ،وكان الناس في أزقة ضيقة ، فَترادّ الناس إلى المقاتل وإلى الموضع الذي كُسر من الحصن ، فلم يزل القتال في جوانب القرية ودروبها حتى قرب غروب الشمس، ثم صاح الهادي بعسكره وانصرف الى الحصن، وقد نيل من أهل الحصن منالاً عظيماً، ونيل من عسكره قريب من ذلك بالنبل وقتل في الكل قتلاً غير قليل .

ثم أقام بالحصن وهو يغزوهم ويقاتلهم على أبواب حصنهم، يوماً يحاربهم ويوماً يتركهم ،واشتد ذلك عليهم ،ومنعهم من معايشهم ،وضيق عليهم ضيقاً شديداً، ثم افترقوا له ثلاثة عساكر في سوْحان بعضهم وفي مِيناس بعضهم وفي قرية الهَجَر بعضهم، وتعاقدوا على أن يصرخ بعضهم بعضاً وتحالفوا على ذلك، وقالوا: حيثما قصد فأمدوا بأجمعكم، فكانوا على ذلك .

ثم إنه الهادي إلى الحق سار حتى قصد سَوحان، وفيه خيار القوم ورجالهم، فاقتتل الناس حتى قُتل من أصحاب الهادي رجل يقال له ابن المِقدام، فحمل الى راحةٍ ليدفن فيها، واشتد القتال ودخل الطبريون ملوّية الدرب ووقع القتال على الدرب ،والهادي واقف من وراء الطبريين يحرض الناس ويأمرهم بالتقدم، والناس فيما هم فيه من القتال والجهاد إذ خرجت عساكر بني الحارث من القرية وميناس، ثم أخذوا بين النخيل والأشجار حتى كانوا بموضع يقال له محضر، ثم جزعوا الوادي واستتروا بالنخيل، وأخذوا يسيرون معه، حتى قربوا من سَوحان ولا علم للمؤمنين بهم ،وكان حصن سَوحان يستر بينهم وبين الهادي إلى الحق وأصحابه، حتى هجموا عليه وعلى من معه هجمة واحدة، وكان الناس مفترقين في نواحي الحصن، فهجمت الخيل والرجال معاً، وخرج أهل الحصن معهم أيضاً، فتكعكع أصحاب الهادي عليه السلام، وانحازوا انحيازاً شديداً وأدبروا، واتبعهم بنو الحارث، واتبع الهادي يعرض الحصان في وجوه القوم ،ولم يبق معه أحد من الناس لا فارس ولا راجل،وهو يعرض في وجوههم مقارباً لهم مرة تجاه ميمنتهم ومرة في قلبهم ومرة تجاه ميسرتهم، وكان

رجل كوفي قد ثقل، يقال له أبو عيسى ، قد ثقل عن الجري وتحير حتى غشيه القوم، ثم بدر له رجل منهم حتى كاد أن يضربه ، وصاح به الهادي إمض إمض يا أبا عيسى العبد وراءك فاحذره، فصاح إليه: يا سيدي قد أعييتُ ، فحمل الهادي على الحارثي وقد حاذر أن يضرب أبا عيسى، فسبقه إليه وطعن الهادي إلى الحق الحارثي، وكان من رجالهم وعفاريتهم، طعنة في صدره أنفذ الرمح من ظهره، وخرَّ ميتاً لا رحمه الله، وحمل الهادي في أوساطهم فطعن رجلا آخر فقتله، وانكسر رمحه، ثم حمل في القوم، وأبصر ابن حُمَيد في أفراس معه في وسط عسكر بني الحارث، وكان ابنُ حميد قد حلف لبني الحارث لإن رأيت الهادي إلى الحق لأقصدَّنه ، فلما رأى الهادي ابن حميد قصده الهادي، وصاح به: يا ابن حميد أين أيمانك لأصحابِك، أُثبت لا أم لك، فولى ابنُ حميد وأصحابه هاربين والهادي عليه السلام يطردهم (حتى انتهوا إلى قريب باب الحصن وخلفوا عساكرهم ووراءهم الهادي يطردهم) فلما رأت رجالة كانت في آخر القوم قرب الدرب من أصحابهم يطردون رموا دونهم بالنبل، وفات ابن حميد وأصحابه فدخل هو وأصحابه في حظيرة على باب الحصن، عندما سمع من كلام الهادي، وصاح بأصحابه: ويلكم دُقوا الجدار، فهدموه له، وأوثبه فرسه، ومر منهزماً، فلما فات الهادي إلى الحق ضرب بالسيف رجلاً ممن كان يرمي عن ابن حُمَيد قرب باب الدرب، فأخذ السيف على عاتقه الأيسر حتى خش في جوفه .

وصاح محمد بن سعيد، وكان في آخر الناس، يا معاشر الناس، الهادي إلى الحق يقاتل القوم وحده، وقد حمل عليهم، وقد أوقفهم وأشجاهم، فالله الله ارجعوا، فلما سمع الناس صوته رجع بعض العسكر وترادوا، واتبعوا الهادي حتى وقفوا معه، فقتلوا في حملتهم عند رجوعهم ثلاثة من الحارثيين، وانهزم الحارثيون حتى دخلوا الحصن، ومنهم من التجأ الى جداره ورمى أصحابهم عنهم، وانحاز عسكر الهادي إلى الحق ناحية .

وسأل محمد بن عبد الملك بن غطريف الوادعي الهادي إلى الحق: كم قتلت من القوم ؟ فقال: قتلت بالرمح رجلين ، ثم خانني رمحي وانكسر، وقد ضربت رجلاً حينما فاتني ابن حميد قرب باب الدرب ضربة جيدة، وجدت في السيف عند رفعي له رائحة العِذرة فانظر ما فعل، ثم امر العسكر فانصرف إلى معسكره، فما أمسى حتى أتى الخبر ان ضربة الهادي بلغت اسفل من سرَّة المضروب، وأن ابن حُمَيد عصبه بعمامة، وقال: استروه، فإن رأى الناس هذه الضربة لم يقاتل هذا الرجل أحدٌ، فستر حتى دفن في البطحاء من ساعته، لا رحمه الله، وراح الهادي إلى الحق إلى الحصن فأقام به .

قال علي بن محمد: ثم أرسل الهادي إلى الحق عليه السلام إلى العهرا والى خولان، وكتب إلى أبي محمد بن عبيد الله يأمره باخراجهم إليه، وقد كان من كان في الحبس من بني الحارث عندنا بصعَدَه، فتَعمّل فيهم ابن عَبَّاد حتى دس اليهم مسحلاً، فسحلوا به الحديد عنهم وخرجوا من الحبس حتى لحقوا بأصحابهم، وقد كان قبل ذلك أحمد بن عَباد قد جمع جماعة ممن أطاعه وأراد الهجمة على محمد بن عبيد الله والمسير من آخر ساعته إلى الغيل فيقع به ، وينال من كان فيه، ويخرج المحبوسين منه، وكان ذلك ليلة الأضحى، ولما صحت الأخبار لمحمد بن عبيد الله، أرسل لنفر من اليَرْسَميين وسألهم أن يثبتوا معه في داره ثلاثين رجلاً ليستظهر بهم على عدوه حتى تجئه صرخاته من بني سعد، فكرهوا ذلك عليه، وقالوا: لا نحب أن نشهر أنفسنا بأمر يكون علينا فيه هلكه، وقد كانت قبل ذلك قد وردت إليه كتب من الحسن بن علي الفُطيمي يعلمه فيها بما أجمع عليه ابن عباد، وانه قد عاونه على ذلك بعض اليرْسَميين ، فلما لم يجيبوه إلى ما سأل صار إلى الحسن بن علي، وما معه أحد غيري وغير غلامين معنا، فلما وصلنا إلى الغيل أرسلنا الصوارخ في بني سعد فاجتمع منها عسكر عظيم، فصاروا بالغيل مقيمين، وأمرهم أبو محمد بنُ عبيد الله لا يبرحوا موضعهم حتى ينصرف الناس من صلاة العيد، فأتى محمد بن أبي هشام وهو

ممن له مودة ومحبة، فناشده بالله أن لا يصلي العيد، فإنه يخاف الهلكة من عدوه، فكره ذلك عليه، وأعلمه أنه قد جمع في ليلته من أطاعه من أوليائه ، فلما أصبح خرج فصلى العيد، وعلم ابن عباد بما كان من فعال محمد بن عبيد الله، فأيسَ مما كان قد أمَّله، وتعمل في أمور المحبوسين حتى أخرجهم بما ذكرنا، وكان ممن خرج أبو الوجيه ويحيى، وتخلَّف مَرْزوق ورأى أن ذلك عليه فضيحة، فتخلف حتى أطلقه الهادي من بعد ذلك .

فلما وصلت كتب الهادي إلى محمد بن عبيد الله والى العَهرا وخَوْلان حشدوا وجمعوا وجاءه منهم عسكر كثير وذلك أنهم كانوا خرجوا معه أولاً ثم تخلفوا عنه، وكان هؤلاء دُولاً لهم، وقد كان الهادي اصطنع رجالاً من أهل نجران من هَمدان من فارسٍ وراجلٍ، وكان يذكر لهم أنه يعدهم لحاجة له، وموضع يرى فيه التقدم بهم، أو لحملة أو لدخول الحصن، فكانوا يعطونه ذلك من أنفسهم، فلما جاءت عساكره وقدمت صرخاؤه سار بمن كان معه الى قرية بني الحارث التي تسمى الهَجَر وقد أجمعوا إليها من كل جانب إلا عسكرا بميناس، وقصدوها حين رأوا الهادي قد قصدها، وقرب الهادي من دربها[١]، والتحم القتال بينه وبين بني الحارث على باب الدرب، واقتتل الناس قتالاً شديداً .

ثم إن الهادي إلى الحق عليه السلام مال إلى جانب من الحصن مما يلي منزله الذي كان يلي منزله بالهَجَر فأمر بالجدار فضرب بالقوس[٢] والمعاول حتى خرق الجدار وانفتح فيه باب مقدار ما يدخل فيه الفارس، ووقع القتال على النقب، وشح الرمي والقتال، وجعلت بنو الحارث ترمي بالنبل والحجارة من فوق الحصن .

ثم إن الهادي دخل القرية وصاح بالناس، وأمرهم ان يدخلوا معه، وأمر

(١) الدرب يتردد في السيرة بمعنى الشارع ، وهو اسم لا زال مستعملاً هناك .
(٢) الصواب : بالفؤوس والمعاول .

الندبة التي كان انتدب والنخبة من الخيل والرجال بالدخول معه، وكان قد نتخب ثلاثمائة راجل وثلاثين فارساً لذلك المعنى، وكانوا معه عند هدمه للجدار، ودخوله الحصن، فلما انه دخل افترق عنه الناس ولم يدخل معه إلا ستة رجال وسبعة فرسان، ومضى حتى وقف على باب الدار التي كان يسكنها بالقرية، ولم يحصل معه نخبته الا من ذكرنا وواجهته عسكر بني الحارث في وسط الشارع، وكانوا مجتمعين عند المسجد، وكان حذاءهم واقفاً على باب الدار، وبينهم نصف غلوة أو أقرب، وأقبلوا اليه حين رأوا قلة من معه فرموهم بالنبل، فأمر الستة عند ذلك أن تصف جحافلها فصفوا تجاه القوم، ثم شاور فرسانه. فقالوا: نرى أعزك الله ان تنصرف وتسرع الخروج بنا من قريتهم فلم يدخل معك من أمّلت، ولم يدخل إلا من ترى من خاصتك، والقوم في وجهك عساكر عظيمة خيلاً ورجلاً، فالله الله في نفسك وفينا ،فقال: ويحكم إن خرجنا منها لم ندخلها أبداً وطمع القوم فينا، فالله الله الصبر الصبر ثم دعا بهم فقال لهم: يا معاشر الإخوان أنتم أهل الصبر والدين والوفاء لرب العالمين وقد أبحت منكم أن تكفوني ظهري، وتحموه لي وتتركوني وما قدامي من الكلاب كلاب الناس فأنا بحول الله وقوته أكفيكم إياهم فضمنوا له أن يكونوا من ورائه ويحموا له ظهره.

ثم صفهم من ورائه وحمل في القوم، وكان في أولهم رجل يكثر الشتم له، فطعنه طعنة في صدره أمرق القناة من ظهره وسقط ميتاً، ومضى يشق القوم، وانهزموا في جانب الشارع حتى دخلوا زقاقاً في جانب الشارع من جانب المسجد، ودخل معهم الزقاق وحقق عليهم حتى صار هو وهم في وسط الزقاق مزدحمين، وهو في وسط القوم واقف وهم وقوف ما يقدرون على ضربه لشدة الزحام، وحمل أصحابه من ورائه، فلما رأوه قد صار بين القوم أيسوا منه، ومضوا الى آخر الشارع، ثم أن الهادي لما علم ان أصحابه قد مضوا وخلوه انتهز فرسه، فنفذ به قدماً إلى آخر الزقاق، ثم عطف هو نحو القوم، وليس معه علم أين صار أصحابه، والحارثيون بينه وبين الطريق وهو في آخر الزقاق ، فكر الهادي

إلى الحق عليه السلام، وكان جدار الزقاق الذي بين المسجد وبين الزقاق قصيراً طوله مقدار ثلاثة أذرع، فتعلق القوم برأس الجدار ووثبوا في المسجد، وكان فيهم أبو الوجيه، وكان من رجالهم وصناديدهم، وهو رئيس من رؤ سائهم يعرف بالشجاعة والرجلة، فتعلق أيضاً بالجدار ليثبه كما فعل أصحابه، فحمل الهادي عليهم فطعن ابا الوجيه قبل أن يستوي على الجدار، فطرحه الى الزقاق، وخرج يجـري في الزقاق مصعداً، ولحقه الهادي في وسط الزقاق فطعنه فطرحه، ثم قام أبو الوجيه فلزَّه الهادي إلى الجدار بالرمح، وكان قد انكسر الرمح ،ثم سل سيفه فضربه به، وانهزم الناس عند ذلك، ورجع أصحاب الهادي عليه السلام الفرسان السبعة والرجاله يطلبونه فوجدوه يضرب أبا الوجيه، فأمرهم أن يحتزوا رأسـه ، فحزوه وأمر به إلى أخيه عبد الله بن الحسين خارج القرية، وكان في الخيل واقفاً في وجوه خيل بني الحارث، فأمره يرسل به فارساً فيلقيه إلى بني الحارث، ففعل فلما عرفوا الرأس انهزموا وولوا مدبرين، ووقع الضرب في القرية، وعلم بدخول الهادي أهل الدروب وأهل المقابلات فكبروا وحملوا وحمل الهادي وأصحابه في القرية ،وانهزم الكل من بني الحارث مدبرين ، ووقع السيف فيهم، وقتلوا قتلاً شديداً واسروا، وحويت القرية ومُلكت، ثم أمر الهادي عليه السلام بطلب ابن حُميد وأصحابه، فطلبوا حتى استخرج ابن حميد من تبن مدقوق فيه قد دفن ، وتُلقِطْت بنو الحارث من كل القرية حتى أحضر إليه منهم قريب خمسين رجلًا أو أقل أو أكثر من وجوههم وخيارهم، وانفض عسكر مِيناس ومن كان بسوحان، وانهزمت بنو الحارث حيث ما كانت، وهربوا في الجبال والأودية .

فلما أُتي الهادي بابن حُميد وجماعة أصحابه، قال لهم : ماتقولون وما ظنكم إذ فعلتم ما فعلتم من غير سـوءة رأيتموها مني ولا قبيح، بل كان منا إليكم الإحسان والجميل، وكان منكم ما كان إجتراء على الله وعدواناً، وغشماً للحق وأهله، وظلماً ؟ فقالوا : يا ابن رسول الله ما فعلت فينا فقد استأهلناه، فأطرق الهادي مليّاً ثم رفع رأسه إليهم فقال : فإني أقول كما قال عمي يوسف ﷺ وعلى

نبينا « لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين »[1] الحقوا بأهلكم ومنازلكم فقد عفوت عنكم، وصفحت عنكم، فدعوا له وشكروا له، وتخلّف ابن حُميد عنده ساعة حتى حضر طعام وأصاب منه وأمسى عليه، فقال له الهادي: يا أبا حُميد انصرف الى صبيانك لا يغتموا بك، فانصرف الى منزله وتحته فرس اخي الهادي عبد الله بن الحسين وتجفافه وعليه درعه لم يقل الهادي له فيه شيئاً حتى رده من بعض الطريق .

قال ولما قربت بنو الحارث الذين مَنَّ الهادي عليهم من منازلهم حلف كثير منهم لا دخلنا لنا منزلاً ولا رأينا أهلاً حتى نصرخ على الهادي ونجمع له ونقاتله فمضوا من فورهم ذلك حتى لحقوا ببواديهم وأقاصيصهم، وصرخوا بمدْحَج[2] كلها، وأجابهم منها وأقاموا يستعيرون من قوادهم وملوكهم الخيل والدروع والسلاح .

مصير ابن بسطام الى بلد شاكر مخالفاً

وتقدم ابن بِسطام حتى صار إلى قوم يقال لهم شاكر من هَمدان، وكانت بينه وبينهم محالفة، فنزل بهم وصرخ بهم فأجابوه وضمنوا له الخروج معه، ثم نفذ حتى لحق أصحابه وهم في مَدْحَج[2] وصرخ وجهد، ثم خرج وخرج القوم في عساكر كثيفة ، حتى فارقهم في بعض الطريق، وعدل إلى شاكر فاستنهضهم، فنهض معه منهم خلق عظيم، وواعد أصحابه ليوم معروف، وبلغ الهادي إلى الحق عليه السلام الخبر، ودعا من كان معه بنجران من مستأمنة بني الحارث وأهل القرار منهم فقال لهم: قد بلغني كذا وكذا وانهم قد ساروا الينا مقبلين ، فالقوهم أو بعضكم وانصحوهم واردعوهم عن هذا الحمق وذكروهم

(١) سورة يوسف ٩٢/١٢ .

(٢) كذا يتردد بالدال المهملة ، والصواب (مذحج) بالذال المعجمة ، قبيل كبير منها بنو الحارث بن كعب .

عفونا وصنائعنا أولاً وآخراً، وأعذروا وأنذروا إليهم وادعوهم إلى الله تعالى فذلك أصلح لهم وأنفع وأسلم، ففرحت بنو الحارث بقوله، وتوهّمت أن ذلك هيبة منه لهم ولأصحابهم، فقاموا من عنده يتغامزون ،فلما رأى ذلك منهم أرسل في آثارهم فردوهم، وقال: لا تتوهمن أن كلامي لكم كان من هيبة لمن جاء منكم، بل ذلك والله محمود حجة عليكم وإعذار وإنذار، ولئن أجمعوا على ما هم عليه وقاتلونا لينصرننا الله تعالى عليهم نصراً عزيزاً، والله محمود ولكأني بهم معلقين بأرجلهم في هذا الشجر الذي ترونه حوالي القرية، في كل شجرة جماعة، حتى تنتن القرية منهم من رائحة جيفتهم، ثم تأتوني فتسألوني أن أهب لكم جثثهم فتدفنوها، ولا أهبها لكم إلا بعدتعب وكلام كثير وطلب صُلح، فاذهبوا حيث شئتم وافعلوا أنتم وهم ما أحببتم « فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله [1] ، الآية ، ثم أتبعه قوله: ﴿ ولتعلمن نبأه بعد حين ﴾[2] .

اجتماع بني الحارث على الحرب

بعد أن من عليهم الهادي الى الحق عليه السلام

ثم إن بني الحارث اجتمعوا وساروا حتى باتوا بجانب نجران، فبات ابن بسطام في بني ربيعة وشاكر بأعلى نَجران، وباتت عساكر بني الحارث بأسفل نجران، فلما أن طلع الفجر لهم ساروا الى القرية، وفيها الهادي إلى الحق عليه السلام ومعه أهل نجران من يَأم ، والأحلاف، ووادِعة ، وأهل الحصن ، ومعه قريب من مائتي رجل من العَهرا، وبطن من هَمدان، ممن يسكن تهامه، ومعه تسعة عشر من الطبريين بتراس ورماح، وأنفار من خدمه، ومن خولان، وكانت خولان قد استأذنت ورجعت وافترقت العساكر عندما كان من منّ الهادي على بني الحارث، فلما صارت بنو الحارث الى جانب القرية لقيهم في غمش الصبح

(١) سورة غافر (٤٤) .

(٢) سورة ص (٨٨) .

أصحابهم المدانيون .

فكسروا لهم جانب الحصن، فدخلوا حتى صاروا الى جانب باب دار الهادي عليه السلام، وهو يصلي، فلم يبرح حتى أتم صلاته، ثم لبس بعض سلاحه وعجل عن بعضها، ثم خرج فوجد أهل نجران من هَمدان الذين كانوا معه قد انحازوا إلى باب الدرب، فصاح بهم ولحقهم، وجهد بهم أن يرجعوا فلم يرجع معه منهم أحد، وقالوا: قد أُدخل علينا وعليك من القرية، فالله في نفسك، انحز بنا إلى جانب القرية وإلى الفضاء حتى نقاتل من لحقنا منهم، فقال: معاذ الله أن أبرح القرية، ولا أخليها لهم، فلما أيس منهم رجع هو وأصحابه في وجوه القوم وقاتلهم قتالاً شديداً، وزحف اليهم، وداخلهم الطبريون في الشارع حتى خالطوهم، وقتل من القوم في جانب المسجد، وحمل عليهم الهادي إلى الحق وأصحابه .

خبر قتلة بني الحارث في القرية وهزيمتهم

وهزمهم الله فلم يزل الضرب فيهم حتى خرجوا من القرية من حيث دخلوا، واتبعهم الهادي إلى الحق وأصحابه حتى أخرجوهم كلهم بأشرِّ حال، وكانت بنو الحارث قد انتقت من فرسانها قريباً من أربعين فارساً مدججة في السلاح، واستحلفوهم أن لا يقاتلوا وأن يقفوا معاً في جانب حتى إذا رأوا الهادي إلى الحق وعاينوه حملوا عليه حملة رجل واحد، ففعلوا، وبلغ ذلك الخبر الى الهادي إلى الحق، فلم يعبأ به ولم يدخل له قلباً، فلما أن خرج آخر بني الحارث من القرية منهزمين، ما كان أول فارس خرج عليهم في آثارهم إلا الهادي إلى الحق، وخرج الناس في القرية فإذا هو بالخيل التي أعدت له وأوقفت منحازة مجتمعة كما بلغه، فلما أن رآهم قصدهم بنفسه وحمل عليهم، وانتسب لهم، فما وقف له منهم فارس واحد، وألحق منهم فارساً فطعنه وألقاه وفرسه في أراكة ، وانهزم القوم عَباديد في كل موضع، ورأت هَمدان القوم منهزمين فرجعت واتبعتهم، وتلاحق الناس، ووضع السيف فقتل من القوم خلق عظيم،

وقتلَ الهادي في ذلك اليوم بيده جماعة كثيرة لم يُثبِت عددها هو ولا غيره: إنه كسر ثلاثة رماح في القوم، ثم ضرب بسيفه حتى امتلأ قائم سيفه علقاً ولصقت أنامله على قائم سيفه بالدم، وفي ذلك يقول في قصيدته التي يقول شعراً :

طَرقت لعمرُك زاهرٌ مَولاها ... والحرب مُسعِرة يُشب لظاها
طرقتْ تبختر في الحليّ وفي الكسا ... إنّ الخريدة هَمها وهواها
تكسو مناكب زانها أعجازها ... عند التعانق حِلْةٌ ورداها
أقني حياك[1] فحلتي يوم الوغا ... دِرعٌ أعانق جيبَها وعُراها
نحن الفواطمُ لهونا طعنُ القنا ... ومُدامُنا حربٌ نديرُ رحاها
هلا سألت فتخبري إنْ لم تريْ ... إذ سار يطلب مهجتي أعداها
لاح الصباح وأبرقوا بكتيبةٍ ... شهباء تدفق خيلها وَقناها
والجيشُ في أيديه كلُّ عقيقةٍ ... القين أحكم سنها وجلاها
والمَشرفية في أكفِّ حماتنا ... تحكي البوارق لمعها وسناها
والخيل تنْحط بالفوارسِ والقنا ... فوق الفوارسِ في الوغى أجراها

خبر تعليق بني الحارث بعراقيبهم[2]

ثم انصرف إلى القرية في آخر النهار، فأمر بالقتلى فجمعت، ثم أمر بتعليقها في الشجر، فعلقت منكسة في كل شجرة جماعة مؤزرين بالخرق والشمال (٣٧ ـ ظ) وأقام بالقرية ثلاثة أيام أو أربعة، ثم إن القرية أنتنت نتناً شديداً حتى لم يقدر أحد على أن يأكل لحماً، فأتت بنو الحارث إلى الهادي إلى الحق فقبلوا رأسه ورجليه ويديه وسألوه أن يهب لهم جيف إخوانهم، فيدفنوها في البئار، والحفر، فأبى ذلك عليهم، فلم يزالوا به حتى أجابهم وذكّرهم بما كان قال لهم، فطرحت الجيف في بئار خراب وحفر كانت خارجاً من القرية .

---

(١) في الأصل : حيال ، وهذا هو الصواب .
(٢) سيرة الامام الهادي : ص ١٧٣ ـ ١٧٩ .

وكتب الهادي إلى الحق إلى أبي القاسم يخبره بخبر نصر الله له، وما أعطاه من التأييد والظفر على بني الحارث، فلما وصل الكتاب إلى أبي القاسم جمع الناس وقرأه عليهم، فسروا بذلك، فكتب إلى الهادي جواب كتابه، وعارضه بشعر كثير منه :

النفس خلفُ مورقٌ أشجاها عن ذكر كل خريدة وبهاها
إن التقيّ عن الصبابة راغبٌ يعصي الكواعبَ أن يطيع هواها
إني وإن جهل النواصب ديننا واجتر حَبل عدواتي أشقاها
متحمِلٌ في الله كلَّ عظيمة مترغمٌ بكتيبة ألقاها
أُصلي الأسنةُ مُهجتي وأخوضها حتى أمازج بالظبا ظلماها

قال: وقد كان الهادي قبل وقعة سوحان خرج الى ميناس لقطع بعض نخل ابن بسطام، فقطع يومه ذلك، فلما كان مع صلاة الظهر أمر أصحابه بالانصراف فخرج أهل ميناس متبعين للهادي وعسكره، ولم يكن الهادي في ذلك الوقت تأهب للحرب، وكان قد ركب فرساً ضعيفاً لم يكن الفرس الذي كان يقاتل عليه، لأن بني الحارث كانت تعرفه، فإذا ركبه الهادي علموا أنه يقاتلهم ، وإذا ركب غيره عرفوا أنه لا يحاربهم، ذلك اليوم، وكانت اسم فرسه الذي يقاتل عليه أبا الجماجم[1]، وكان أشقر ، فلما نظر أهل ميناس[2] إلى الهادي على غير فرسه الذي كان يقاتل عليه، خرجوا من حصنهم واتبعوا عسكر الهادي إلى باب حصنِ ميناس، ليحولوا بينهم وبين الدخول الى الحصن، وكان بقرب الدرب حُفر لم يعلم الهادي بها، فحمل الهادي بالفرس الى باب الدرب فسقط في حفرة من تلك الحُفر، وسقط الهادي في الحفرة من الفرس .

(١) في الأصل (الحماحم) بالمهملتين ، وهذا هو الصواب .
(٢) في الأصل فيناس ، بالفاء في أوله ، وهذا هو الصواب .

خبر سقوط الهادي وفرسه بميناس

فساعة سقط ثنى يده إلى سيفه فسله ، وأخذ درقته ، ووثب قائماً في وجوههم وصاح بهم : يا كلاب ، فما دنا منه أحد بعد صيحته بهم ، وقد كانوا قبل ذلك قد طمعوا به فقاتلوه فلم يجدوا فيه مغمزاً، ووقع بين الناس في ذلك اليوم جراح كثيرة، وقتل من الكل جماعة عندما سقط الهادي، وقد كان سقط وجه فرس الهادي في الحفرة، ومد الهادي يده الشمال فأخذ بها من تحت مقبض الدرقة، ووقى الله تعالى الهادي شر ذلك اليوم، فقال له بعض أصحابه: يا سيدنا ما حملك ان تأخذ وجه الفرس، ألا تركته ؟ فقال الهادي ما منعني أن أترك الوجه إلا أن يأخذوه، فيقولوا قد أخذنا وجه فرسه، فأخذته على رغمهم[1]، وأُتي الهادي بفرس غير ذلك فركبه، وقرب الليل فراح الى معسكره .

ثم إن من كان معه من جنده وأصحابه أتوه وشكـو اليه كثرة ركوبهم، وما قد نالهم من التعب، ونال دوابهم وكان ذلك قبل الأضحاء بيوم، فأمر أهل الحصن أن يوسعوا لهم فأخلوا منازلهم،وصيرواحُرمهم في بيوت الشعر ووسعوا لمن كان مع الهادي إلى الحق، وأراح دوابه أياماً .

فلما كان بعد العيد بأيام سار إلى ميناس لأن يهدمها، فلم يخرج إليه أحدٌ من أهلها، فلما اتصل ببني الحارث خبر الهادي وتواعده لهم في الشعر، وما كان منه بميناس حيث سقط عن الفرس غمهم ذلك غماً شديداً، وامتلأت قلوبهم رعباً، وتحصنوا في حصونهم، وجعل الهادي يعدو إلى نخيلهم فيقطعها ولا يخرج إليه منهم أحد، فلما كان يوم من ذلك غدا إلى موضع يقال له الخربة فأمر بنخل فيها فقطع، ثم انصرف الى معسكره .

وقد كانت منه آية عظيمة يوم سقط بميناس، وذلك أن رجلاً من بني ربيعة

---

(١) في حاشية الأصل « وجه الفرس المرآة الحق للفرس » .

كان يكثر الرمي لأصحابه، فدعا عليه الهادي أن يقطع الله يده، فخبرني بعض من أثق به وبعض بني الحارث بعد وصولنا البلد أن الرجل الذي دعا عليه الهادي تناصلت أصابعه الى الرسغين ومات مما نزل به لا رحمه الله تعالى .

قال علي بن محمد: حدثني محمد بن سعيد قال: لما دخل الهادي قرية الهجر في الدخلة الأولى، أتى الى الهادي نفر من بني ربيعة يطلبون لابن بسطام الأمان، فأجابهم إلى ذلك، فمضوا إلى ميناس يأتون به فوجدوه قد هرب إلى بلد شاكر، فأقام الهادي بقرية نجران، وأمر منادياً يُنادي لمن جاءه من بني الحارث بالأمان، إلا الأبرص وابنه المدانيين فإنهما قد كان سببا الجارية التي ذكرنا .

وأمر الهادي أبا محمد عبد الله بن الحسين أن يخرج بجماعة من العسكر إلى مِيناس فيبيت به ليلته ففعل ذلك .

فلما كان من الغد غدا الهادي في عسكره إلى ميناس، فأمر من كان فيها من الغرباء والنصارى والضعفاء ان يحولوا متاعهم من ميناس إلى حيث شاءوا، وأمر معهم بعض ثقاته لئلا يؤخذ من متاعهم شيء، فلما أخرجوا متاعهم، أمر الهادي بهدم ميناس، فهدمه كله، وانصرف إلى القرية فأقام بها، وأتاه نفر من بني الحارث يسلمون عليه ممن كان لم يخرج يصرخ عليه، فوعظهم وقال لهم: والله لتعودن أخرى، ولأقتلنكم قتلة أعظم من هذه القتلة، فقالوا له: لا تقل ذا يا ابن رسول الله، فوالله لا عُدنا لك في فتنة أبداً، فقال لهم الهادي: قد أخبرتكم وسترون ما أقول لكم .

وقد قال أحمد بن محمد المداني عندما كان من دخول الهادي عليه السلام القرية، وما كان من قتله لبني الحارث وأخذه لابن حُميد، فقال في ذلك يُخطي بني الحارث في فعلهم :

نفى النوم عني الهمُّ فالهم غالب   لنومي فدمعي مسبل القطر ساكب
لما ناب قومي حين ضلت حُلومهم   فأزَعجهم دفن من الحين جالب

وحاروا بحرب الله وابن نبيه مُجاهرة والله ليس يُحارَب
فقلنا لهم لا تهلكوا إن ظنكم لعمركم فيما تظنون كاذب
فدون الذي حاولتم ونويتم مُسالبة الأرواح فامضوا فسالِبُوا
وإلا فقد أوليتم النصح فاقبلوا مشورة من قد أحكمته التجارب
ولا تهملوا محض النصيحة واحذروا دواهِيَ منها قد تشيب الذوائب
وكان لمجرى الفُلك حكماً فقدِّموا إلى فكه والله ليس يُغالبُ
وقد وجدوا من بعد ما كان منهم إماماً له مرجوعه وعواقب
سليل سُلالات الطهارة والتقى لِباب إذا ما حصلته المناسب
إمام هدى للمؤمنين وللعدى شجن في اللها بين المريطين ناشب
تراه إذا سار الخميس يقوده وفي الكف منه مرهَف الحد قاضِبُ
وإن كشَفت عن ساقها الحرب لم تجد له فارساً يعدله ممن يحارب
ومن مثله في المحل أندى لطالب إذا صرَّ من حر الهجير الجنادب
يقوم بدين الله للحق صابر النفس تفديه النفوس الحبائب

طلب بني الحارث الأمان من الهادي الى الحق[1]

وأرسلت إليه بنو الحارث رجالاً من أوليائه يطلبون لهم منه الأمان، فآمنهم ودخلوا القرية وتسوقوا . وكان ابن بسطام قد هرب إلى بلد شاكر ، فأقام بها ، فطلب له بعض أولياء الهادي الأمان ، فكره ذلك عليهم ، فمكث ابن بسطام في بلد شاكر ، وقتاً ذليلاً مهيناً ، وكتب إلى الدعام يسأله أن يكتب له إلى الهادي أن يؤمنه .

وقال الهادي إلى الحق فيما كان من قتله لبني الحارث القتلة الآخرة شعراً :

(١) سيرة الامام ص ١٨٧ ـ ١٨٨ .

ألا إن في هـذا من الأمر مُعتبرْ ... وفيه وفي تصريفه تَعملُ الفكر
نهضتُ بحق الله أضرب دونه ... بأبيض مطرود الظبا صارمٍ ذَكر
وأطعن بالرمح الرديني مُقدماً ... نحور الذي لا همَّ بعضهم سقر
وأظهر عدلي في المدائن كلها ... وقمت به حتى تَأثّلَ وانتشر
غفرتَ لمن أخْطا وبين عذره ... فأفسدهم عفوي فَبُعداً لمن كفر
وما نقموا مني سوى أن دعوتهم ... إلى كل تنزيل من الحق في السور
وأوليتهم نُصحي فلم يقبلوا له ... ولم ينظروا فيما به ربهم أمر
وقاموا ليطفوا نور من سمك العُلى ... وذلك أمر ليس يُدركه البشر
وأصبح نور الله في الأرض ساطعاً ... وأصبح أمر الله بالحق قد ظهر
وقد كان أقوام يظنون غير ذا ... وما العز والتمكين إلا لِمن صبر
وأيقن أن الله يَنصر دينه ... وأن لأهل الحق في حقهم أثر
فمنهم فريق في جهنم فُلِّقت ... جماجمهم بالبيض في قرية الهَجر
وأُخر منهم هاربٌ بِمَذَلَّة ... وخِزي وهذاك الجزاء لمن غَدر
ولم يك ذا شكر لأيدٍ تَقدَّمت ... إليه وأمر بيِّنٍ ماله خطر
جميل واحسان وشيء فعلته ... إليه وأشياء كباراً فما شكر
ومُنتظرٍ بالحق ضُعفاً وأَهلِهِ ... فجاء غير ما يرجو وقد طال ما انتظر
فان كنت لم تحضر فأجرك واجبٌ ... بحشدك واستبشار قلبك بالخبر
فابشر بنصر الله ما ذرَّ شارقٌ ... وما زعزعت ريح الصبا ورق الشجر

قال علي بن محمد : وأرسل ابن بسطام يطلب الأمان من الهادي ، وطلب إليه جماعة من أوليائه في أمره ، فأجابهم إلى ذلك ،فأرسلوا إلى ابن بسطام وهو في بلد شاكر ، فأتى ودخل على الهادي إلى الحق ، فأعطاه الأمان ، وطلب إلى الهادي أن يأذن له في بناء منزله ، فأذن له في ذلك ، فبنى منزله بميناس ، وأقام الهادي في نجران شهرين بعدما فرغ من حروب نجران ، حتى صلح البلد ، ثم أمر أحمد بن محمد بلزوم نَجران والقيام فيها بعد ما كان منه إلى بني الحارث ما كان ، فكره ذلك أبو الحسين ، وسأله أن يعفيه من نجران فأعفاه

من ولايتها ، ووجه إلى أبي جعفر محمد بن عُبيد الله العلوي ، وكان عاملاً له على صعدة ، فأمره بالمصير إلى نَجران ليكون بها والياً ، فأجابه إلى ذلك ، وسار من ساعته حتى صار إلى نَجران إلى الهادي ، فأدناه إليه ، ورفع منزلته .

خبر مخالفة بني الحارث بنَجْران

قال علي بن محمد : فلما كان في شهر رمضان وكان من حرب الهادي إلى الحق وآل يَعفر وآل طريف ما كان ، هبطت بنوالحارث إلى نَجْران ، وذلك عند حضور الثمر في وقت الخريف ، فتداعوا للفساد على الإمام ، وحضَّهم ابن بِسطام لأن يكون له وجهاً عند بني الحارث وطاعة فيهم ، ويكون الهادي إلى الحق محتاجاً إليه ، فأجمع رأيهم على الحارث والفساد عليه من غير سبب رأوه ولا منكر عاينوه ، ولا جور ارتكبوه إلا البُغضَاء للحق والمحقين ، والطمع في أموال الضعفاء والمساكين ، وعلموا أن الهادي إلى الحق غير راجع إليهم إلى نَجران فجمع ابن حُميد وابنُ بِسطام بني الحارث وبادية شاكر وتيام[1] ، وجعلوا لهم بعض أموال المساكين ، فلما رأى ذلك محمد بن عبيد الله وجه ابنه علي بن محمد إلى الحصن وأخاه القاسم بن محمد ، وأمرهما أن يصرخا في شاكر وثقيف ، ويكونان مقابلين لميناس ولمن فيه لأن تفترق جماعة بني الحارث ففعلا ذلك ، وقامت معهما شاكر ، وثَقيف ، ووادعة ، ودخلوا معهما إلى قرية الهَجَر إلى محمد بن عبيد الله ، فأقاموا أياماً يختلفون إليه .

ثم إن بني الحارث اجتمعت وسارت حتى عسكرت على باب قرية الهَجَر ، وكان عسكرهم ألفاً وخمسمائة راجل ، ومائة وثلاثين فارساً ، فلما عسكروا على باب القرية خرج إليهم محمد بن عبيدالله ومن كان معه ، وكانوا خمسة

(١) كذا في الأصل ، وأرى صوابه (يام).

عشر فارساً وخمسين راجلاً ، وكانت معه بنو عبد المَدان ، ولم تكن دخلت في الحرب مع عشيرتها ، وكانت متمسكة بطاعة السلطان ولا تريد له سوءاً ولا لعشيرتها عليه فأقامت بنو الحارث ثلاثة أيام محاصرة له على باب القرية ، وكان ذلك في شهر رمضان سنة ثمان وثمانين ومائتين ، وأمر ابن حُميد وابنِ بِسطام من كان معهما أن يفطروا لما نالهم من ألم الحرب ، وطمعوا أن يخرج منهم محمد بن عبيد الله ، وتصير القرية في أيـديهـم ، فحلف عند ذلك محمد بن عبيد الله أن يبرح القرية حتى تخذله بنو عبد المَدان ، ويباينوه بالخروج ، فأقامت بنو عبد المَدان تجامله وتدافع عشائرها معه ، ثم أدركها الطمع فيما طمعت فيه عشائرهم فأتوا إلى محمد بن عبيد الله ، وعبد الله بن عيسى ، ومحمد بن عاقل ، وجماعة من أهل نَجران ، وسألوه الخروج من قريتهم » فإنهم يخافون عليه الهلكة وعليهم وقالوا في ذلك الباطل والزور ، فأجابهم إلى ما سألوه ، وأشهد هؤلاء القوم عليهم ، وأمر بحرمه فصيرها إلى ربيع بن أبي الركود ، وخرج في الليل من درب القرية اليماني ، حتى صار إلى الحصن وقد كان ابن بِسطام يكتب إليه ويسأله أن يصير إلى ميناس ، فلم يجبه إلى ذلك ، وعلم أنه يريد أن يغدر به ، فلما صار الى الحصن أقام بها ، وأرسل إلى ربيع بن أبي الركود فصير إليه حرمه وصبيانه إلى الحصن . وكتب إلى الهادي يعلمه بما كان من بني الحارث ، فكتب إليه الهادي إلى الحق ، فأمره بالإيقاف في موضعه إلى وروده عليه ، فاتفق ، ثم إن بني الحارث أغاروا بعد خروج محمد بن عبيد الله من نَجران ، فاخذوا أموال الضعفاء والمساكين وأخذوا جباية البلد من التمر ، والبُر ، والذرة ، وأعطوها من اجتمع إليهم من الأعراب والفساق ، ثم ان ابن بِسطام لما بانت له خطيئته « وعلم أن الهادي إلى الحق لا يتركه أو يأتي البلد أو يُمد محمد بن عبيد الله وينصره ، فجعل لبادية شاكر وكانوا له أخوة وحلفاء ، فجعل لهم مالاً على أن يقتلوا محمد بن عبيد الله ؛ أو بعض ولده ، أو يخرجوه من الحصن وعلم أن مقامه بالحصن مما يَضربه وبعشيرته ، فأغارت عليه بادية شاكر ، وكانوا في ثمانمائة راجل ، وأرادوا أن يخرجوه من موضعهم ، فقاتلهم وقام معه أهل

الحصن من شاكر وثقيف ، وأعلموهم أنه لا سبيل إلى إخراجه من الحصن ، فلما بان لهم قيام أصحابهم مع محمد بن عبيد الله رجعوا إليه ، واعتذروا مما كان من خطبائهم ، وأعلموه بما بذل لهم ابن بسطام ، فقبل عذرهم ، وأقام في موضعه عشرة أشهر ، ووقعت الفتنة فيما بين بني الحارث ، بينها خاصة وبين يأم وشاكر عامة ، فقتل بعضهم بعضاً حتى كانت قتلاهم فيما بينهم مائة إنسان وستة أناسية ، وشملهم البلاء وأحاطت بهم الأعداء .

خلاف بني الحارث على أبي جعفر والي نجران

قال علي بن محمد : وكانت قد وقعت في اليمن حَطمة[1] عمت البلاد حتى أكل الناس فيها بعضهم بعضاً ، فقام أهل الفساد والباطل من بني الحارث ، ويأم على عامل الهادي إلى الحق بنَجران .

قال محمد بن عبيد الله : فشد عليهم ، وأنكر ذلك ، وأخذ من أمكنه منهم فطرحهم في الحبس والحديد ، ورفعهم إلى صَعدة ، وحَرَّم عليهم حمل السلاح من أعلى الوادي إلى أسفله ، فلم يحمل أحدٌ سلاحاً ، واختلط الناس ، وأمنت البلد ، وخضع أهل الباطل ، ولم يكن معه في ذلك الوقت عسكر إلا خدم له شبيهاً بعشرين رجلاً ، وهو قائم بذلك بما يجب لله عليه بنفسه وولده ، وكان الله له في ذلك عوناً ، فأقام على ذلك وقتاً حتى تجلت الحَطمة ، حتى إذا كان في جمادى الأولى سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، تداعت بنو الحارث عند حضور الثمرة ، وتحالفت على محمد بن عبيد الله .

وأجمعوا إلى ابن حُميد في ذلك ووجهوا إلى أبي جعفر يؤذنونه بالحرب ، فكتب أبو جعفر محمد بن عبيد الله إلى الهادي إلى الحق يُعلمه بذلك ، فكتب الهادي إلى الحق إلى بني الحارث بهذا الكتاب :

---

(١) سنة شديدة .

نسخة كتاب الهادي إلى الحق إلى بني الحارث

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله الإمام الهادي إلى الحق ، أمير المؤمنين يحيى بن الحسين ابن رسول الله ﷺ ، إلى ابن حُميد وأوباشه من بني الحارث ، أهل الغدر وقلة الشكر .

أما بعد : فإن الله عز وجل يقول في كتابه الذي نَزَّل على رسوله ﷺ : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاًفلامرد له وما لهم من دونه من وال »[1] . وانتم قوم مخدوعون ، ملعوب بكم ، مفتونون ، مغرورون ، لا تتعظون بغيركم ، ولا تعتبرون بسواكم ، ولا تنتفعون بتجريبكم ، ولا شك أن مع ذلك كثيراً من الخذلان ، لما أنتم عليه من كراهية الحق والإيمان ، ومتابعة الشيطان ، ومخالفة الرحمن ، ولا بدّ أن يتم الله في خلقه ما قضى ، وكل ما هو كائن سيكون ، ومن خالف الحق فهو الهالك المغبون ، ولا شك أن الله أراد تغيير نعمتكم ، وإزالة ما به من الخير ابتدأكم من غير فعل كان منكم استأهلتم به ، ما كان أعطاكم من النعم التي فيها تتقلبون ، وفي جنانها ترتعون ، حتى إذا استغنيتم في سابغ فضله ، بدأ منكم الكفر بنعمه وظهر منكم العصيان لما يريد الله سبحانه فيكم من الخذلان وزوال الخير والاحسان ، وفيكم ، وفيمن كان قبلكم ممن فعل فعلكم ،ما يقول سبحانه : « كلا إن الإنسان ليطغى . أن رآه استغنى»[2] ، وفيمن كانت حاله في النعم كحالكم ، فكفر أنعم ربه فزالت عنه ، كما لا بد أن تزول عنكم لقلة شكركم لربكم وظهور كفركم ، وكثرة بطركم ، وشدة أشركم، وفاحشة عشرتكم ما يقول سبحانه: ﴿ وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان

---

(١) سورة الرعد آية (١١) .

(٢) سورة العلق آية (٧) .

فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾[1] .

وقد بلغنا ما أنتم عليه مما هو ـ إن شاء الله وتعالى ـ سبب لهلاككم وحلول النقم بكم ، ولم تزالوا أهل مكر وغدر بأولياء الله ، ومن مكر بأولياء الله فإنما مكره على نفسه ، وقد رام ذلك من كان قبلكم من اخوانكم في دينكم ، فكان ذلك والحمد لله عليهم لا لهم ، ولم يَعُد ساحتهم ، ولم يحق إلا برؤ وسهم : « ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله »[2] ، فأنزل الله مكره بالماكرين ، ونجّى منه عباده المتقين ، وفي ذلك ما يقول أرحم الراحمين : ﴿وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون . قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مَهْلِك أَهْلِه وإنا لصادقون . ومكروا مَكْراً وَمَكرنا مَكْراً وهم لا يشعرون . فانظر كيف كان عاقبة مَكْرِهِم إنا دَمَّرناهُمْ وَقَومَهم أجمعين . فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إنَّ في ذلك لآيةً لقوم ٍ يعلمون . وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾[3] .

ونحن أحق من تأدب بأدب الله واحتذى في قوله كله ، وقد قال الله سبحانه وتعالى فيما أمر به جدنا محمد ﷺ فيمن كان في الظلم مثلكم ، وكان فعله وصنعه كفعلكم فقال : ﴿وإمَّا تخافَنَّ من قوم ٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إليهِمْ على سَواءٍ إنَّ اللهَ لا يحبُّ الخائنين﴾[4] ، ولسنا ممن يستجيز غدرا ولا يستحيل خديعةً ولا مكراً ولا يقول غير ما يفعل ولا ينطق إلا بما يعمل ، وقد آذناكم بالحرب على سواء ﴿إن الله لا يحب الخائنين﴾ .

من رسالة طويلة .

فلما وصل الكتاب إلى بني الحارث اجتمعوا وتشاوروا ، وكان معهم ابن

---

(١) سورة النحل (آية ١١٢) .

(٢) سورة فاطر آية ٤٣ .

(٣) سورة النمل ٤٩ ـ ٥٣ .

(٤) سورة الانفال (٥٨) .

بِسطام ، وأمرهم بالفتنة وأجمع رأيهم على ذلك ، فأرسل ابن حُميد من آخر ساعته إلى يَأم ، وانصرف ابن بِسطام إلى القرية إلى أبي جعفر ، وسارت بنو الحارث ويَأم من آخر ساعتها إلى أبي جعفر ، فخرج إليهم في خدمه ، ولم يكن معه عسكر إلا المدانيون ، فخرج بهم ، فاقتتلوا هم والقوم ساعة ، ثم حمل عليهم أبو جعفر فطردهم إلى ناحية الجبل .

فلما كان العشاء ساروا إليه إلى قبلة القرية ، فخرج في لقائهم بمن كان معه ، وابنِ بِسطام معه أيضاً ، فاقتتلوا ساعة ، ثم حمل عليهم أبو جعفر خامس خمسة أفراس من أصحابه ، فطردوا بني الحارث وكانوا أربعين فارساً ، ولزم الموضع الذي كانوا فيه حتى أمسى ،وأمر بدرب القرية فسدَّت ، فلما رأى ابن بِسطام إجماع بني الحارث ويأم على محمد بن عبيد الله ، خاف على نفسه وعلى من كان معه من عشيرته ، لِما كَانَ حَمل بني الحارث عليه من الحرب ، وحاذر أن يدخلوا القرية فيقتلوه مع أبي جعفر ، فأتاه وسأله لقاء المدَانيين ، وأعلمهم أن الأمر عظيم ، وأنه يخاف على أبي جعفر ، ويخاف عليهم الهلكة ممن أجمع عليهم من بني الحارث بأسبابه، فأشار عليهم أن يخرجوه من عندهم ، فإن ذلك أسلم لهم في العاجل والآجل من أمرهم ، فأجابوا إلى ما سأل ، وأتوا جميعاً إلى محمد بن عبيد الله فسألوه أن يخرج من القرية ، فإنهم يخافون عليه وعلى نفوسهم ، وحملوا عليه بجماعة من أهل نَجران ، فأجابهم إلى ما سألوه ، وخرج من عندهم وخرج معه ابن بِسطام ، فلما قربوا من مِيناس قال له ابن بسطام : إن مِيناس أحصن من الحصن ، فإن رأيت أن تصير إليه ، وكان يحب أن يصير عنده لما كان قد جرى بينه وبين بني الحارث ، وكان خائفاً ليَأم ، وجهد في مصير أبي جعفر إليه ، فأجابه أبو جعفر ، وسار إلى مِيناس ، وأرسل لصبيانه وحَرمه فصيرهم عنده .

فلما كان بعد ذلك بيومين علمت بنو عبد المدان ، قالوا : إنكم أخرجتم رجلاً من عندنا وأردتم هلاكنا ، وصار عند ابنِ بِسطام ، وكان منه ما قد علمتم ،

وهو الذي حملكم على الحرب ، وإنما أراد بكم الهلكة وبنا ، فلما أحدثتم وعلم ما كان من خلافكم تسلم إلى عدوكم ، فصيره عنده،واتخذ عنده الأيادي بكم ، وكان القائم في ذلك ربيع بن أبي الركود ، وعلى بن ربيع ، فأجمع رأيهم على المصير إلى مِيناس ، فصحبوه ومعهم اليأميون والأحلاف ، وكان محبتهم أن يقتلوا ابن بِسطام ، لما كان بينه وبينهم من العداوة المتقدمة ، ولا ينالون ما نالت بنو الحارث من محمد بن عبيد الله ، فساروا بأجمعهم إلى مِيناس ، وخرج محمد بن عبيد الله فوقف بخدمه على باب درب مِيناس المشرقي ، ووقف ابن بِسطام وبنو ربيعة على درب ميناس المغربي ، والتحم القتال على الدربين ، وكان عليهما قتال شديد حتى طمعت بنو الحارث في دخول مِيناس ، وكثرت الإصابات في الكل ، فأصيب من كان مع أبي جعفر من خدمه ومن كان معه من بني ربيعة ، فكانوا ثمانين رجلاً ، وقتل من بني ربيعة رجل ، وأبلى ذلك اليوم أبو جعفر إبلاءً لم يُر مثله ، وأصيب من يأم والأحلاف رجال بنبل كثير ، فلم يزل القتال حتى كان مع العشاء ، ثم انصرف بنو الحارث إلى القرية ، وكان محمد بن عبيد الله قد وجه ابنيه علياً والقاسم إلى الحصن ليكونا في شاكر ، فلما بلغهما ما كان من بني الحارث أتيا إلى أبيهما ، فسلما عليه ، ونظرا أمره ونهيه ، فأمرهما أن يلقيا شاكراً وثقيفاً ووادعة ، ويسألاهم أن يُمِدوه مما يليهم بمن أمكنهم ، فإن بني الحارث مصابحة لهم ، فخرجا من عنده حتى أتيا الحِصن ، فأعلما شاكراً بما أمرهم به أبوهما ، فأجابوهما إلى ما طلبا ، وقالوا لهما : إنا لا نأمن على موضعنا إن خرجنا معكما كلنا ، ولكن يمضي نصفنا معكما ، ويتخلف نصفنا في موضعنا فاقتسموا نصفين ، وقالا لهما :

إمضيا إلى وادِعة ، واجعلا منصرفكما علينا ، حتى نخرج معكما ، فمضيا حتى لقيا محمد بن عبد الملك ، ومحمد بن ربيعة ، فسألاهما النُصرة ، فكرهوا أن يخرجوا إليه في الليل معهما ، وقالوا : نحن نخرج معكما بكرة إن شاء الله

تعالى ، فلما كان الصبح اجتمعت وادِعة وساروا غير بعيد ، فلقوا محمد بن عبيد الله قد خرج من مِيناس ، فسأله ابناه عن الخبر ، فأعلمهم أن ابن بِسطام أرسل إليه وأعلمه أنه يخاف عليه ، وعليه معه ، وقال له : أنا وليك وخادمك ولا أتوانى عما أنا لكم عليه ، فإن رأيت أن تسير في هَمدان وأكون لك عيناً على بني الحارث وأذناً فأكتب لك بأخبارهم ، فذلك رأي ، وإن رأيت رأياً غير ذلك فافعل ، فعلمت أن الرجل لا يريد مقامي عنده ، فخرجت وأردت أن أقيم في الحِصن ، فكرهت ذلك لأني خفت أن يُجْمِع عليهم بنو الحارث ويَام والأحلاف ، إذا كنت عندهم ، فرأيت المصير إلى وادِعة أوفق الأمور بنا ، فَسُرَّت بذلك وادعة ، وانصرفت به حتى أنزلته في منازلها ، وأكرمته بغاية ما يكون من الكرامة ، وكتب إلى الهادي إلى الحق صلوات الله عليه يُعلمه بما كان من القوم ، فكتب الهادي إليه يعرفه بأنه يصير إليه ، فلا يغتم بما كان من بني الحارث ، وكتب إليه بأبيات من شعر وأمره أن يوجه إلى بني الحارث ، وفي ذلك يقول الهادي إلى الحق ﷺ :

أبلغ بني حارثٍ عني مُغلغلةً ... تجلو بها همَّ ذي غمّ وإبلاس
كيف الفرار بني حارٍ وشكركُمُ ... شكرُ النبيطِ بني الحوريّ نسناس
أحييتكم بعد أن كانت منيتكم ... والموتُ يعلككم منه بأضراس
قد دار منه عليكم عند أسركمُ ... كأسٌ تُعَلّ بأكواس وأكواس
فكان شكركمُ لي شكرَ مثلكُمُ ... لا شكر ناسٍ ولكن شكر نسناس

من قصيدة طويلة

قال : ولما خرج أبو جعفر من القرية أغارت بنو الحارث على المعاقيب التي كانت فيها ، وأجمع رأيهم على المسير إلى وادِعة ، والحرب لها ، حتى تخرج أبا جعفر من عندها .

قال : فاجتمعت وادِعة إلى محمد بن عبيد الله ، فسار بهم إلى الحصن ، فلقي شاكر وثقيف ، وحالف بينها وبين وادعة على النصرة له والقيام معه ، ثم

انصرف مع الوادعيين إلى موضعه ، فلما بلغ ذلك بني الحارث انكسروا عما أملوا وأخلفهم ما كانوا ظنوه ، وأقام أبو جعفر بموضعه .

خروج الهادي إلى الحق إلى نجران ايضاً

فلما كان يوم الأحد لأربع ماضية من رجب . خرج الهادي إلى نجران ، فلما وصل بأعلى الوادي ، لقيه محمد بن عبيد الله في جماعة الوادعين ، ثم سار حتى صار بالحصن فبات ليلته ، فلما أصبح غدت إليه الأحلاف ومن كان يسكن بنجران من يَأم ، واعتذروا من اجتماعهم على محمد بن عبيد الله مع بني الحارث ، وبادية يَأم ، وأعلموه أنهم استرهبوهم ، فعذرهم ، وصفح عنهم زلتهم ، فأقام يومه ذلك ، وصارت إليه بادية شاكر ، فلما كان يوم الخميس جمع عساكره ، وغدا حتى دنا من مِيناس ، فأوقف العساكر منها ناحية ، ولم يُحب أن يغشاها لأن ابنِ بِسطام كان يكاتبه ، فوقف ساعةً مقابلاً له ثم مضى إلى سَوحان فأخربها وهدمها، وطمع أن يخرج بها إليه القوم فلم يخرجوا .

ثم راح بعسكره إلى الحصن، فأقام يوم الجمعة والسبت، فلما كان يوم الأحد غدا قاصداً إلى قرية الهَجر من نجران، فلما قرب من الموضع عبأ عسكره وجعل الوادعيين ميمنة، وجعل الشاكريين والأحلاف ميسرة، وجعل الخَولانيين في القلب، وقد كان عزل الطبريين، وجماعة من غيرهم من سائر العسكر، فجعلهم رابية وحدهم وأمرهم أن يقفوا ناحية من القتال ولا يقربوه، وجعل معهم ابنه أبا القاسم، وجعل أخاه أبا محمد في الخيل ناحية، ومحمد بن عبيد الله .

وتقدم الهادي الى الحق في العسكر حتى قاتل كل قوم من ناحيتهم التي جُعلوا فيها، ودنا هو في الميسرة إلى باب الدرب، وانهزم من كان عند باب الدرب، ثم صاح رجل من غير أن يؤمر بأبي القاسم وأصحابه أن أجيبوا الهادي إلى الحق، فأقبل القوم على غير تعبئة، فلم يزل الطبريون يمضون قُدماً قدماً حتى دخلوا مع القوم في باب الدرب، وكان باب

الدرب عليه أربعة جُدُرٍ ملوية جداراً من وراء جدار، فردت الجدرُ الرماح على الطبرية فلم يعملوا بها شيئاً، وكان في الجدار كوى يرمون منها الطبريين ولا يدرون من أين يرمون وأصيب فيهم بأسهم، ودخل عليهم الطبريون جانب القرية وهزموهم حتى بلغت هزيمة بني الحارث أقصى القرية، ثم دخل الهادي إلى الحق على الطبريين فاستخرجهم من موضعهم، وأصابتهما نبل كثيرة وحجارة، واستشهد من أصحاب الهادي إلى الحق أربعة رجال، رحمة الله عليهم، وقتل من بني الحارث سبعة أو ثمانية، وأصابتهم جراح كثيرة، ثم انصرف الهادي إلى الحق بعسكره وحمل أصحابه المقتولين حتى دفنهم بالحصن، فاقام بها أياماً والخيل في كل ذلك [تغدو عليهم] أياماً، ثم أمر بالأسواق فهيئت وبالحديد فأعد، وخرج بعساكره حتى قرب من القرية، ثم عبأ عسكره وطمع أن يخرج القوم له، وألزم قوماً يقطعون النخل ، فلم يخرج عليه أحد من القرية، ثم مضى بعسكره جميعاً حتى نزل بموضع يقال له قرقر قريباً من قرية الهَجَر، فأقام بها، وكل يوم يغدو عليهم جماعة من العسكر فيتعرضون بهم، فلا يبرز إليه منهم أحد إلا أنهم يلاقونهم إلى الدرب فلا يزال القتال بينهم، والعسكر في ذلك يقطعون نخيلهم، ويهدمون حصونهم، واجتمعت بنو الحارث في قرية الهَجر، وفي مِيناس، وقَرقر بينهما، وعسكر الهادي إلى الحق تعدوا، وجميع أسواق بني الحارث فيهدمونها ، ويغنمون ما فيها، والقائم بذلك عليّ بن محمد، بأمر الهادي إلى الحق .

قال: ولا يزال القتال بين الأيام، فيقتل الرجل والرجلان، وتستغير الخيل فتغنم ما وجدت حول القرية، وبنو الحارث في ذلك في حصر شديد، فلم تزل على ذلك حتى استأمن ابن بسطام ومن كان معه من بني ربيعة في آخر رجب، وكان ابن حميد معه في مِيناس، فلما رأى ذلك تحول الى قرية الهَجر ومن كان معه من عشيرته، وخلى مِيناس ، فكان العسكر يتوقونه .

قال علي بن محمد: ثم بلغ الهادي إلى الحق أن جماعة من بني الحارث قادمة من الجوف، فوجه لهم عسكراً فقعد لهم، فلما أقبل القوم، حملت فيهم الخيل والرجال، وثار العجاج، واختلط الناس فلم يعرف احد أحداً ، وأصيب منهم رجلان، وأخذ منهم دواب كثيرة عليها أحمالها، وكان على حمل منها صبية راكبة، فنفذوا بها حتى صاروا إلى العسكر، وقد ذكرت انها مملوكة، فلما صارت إلى قَرقَرْ ذكرت أنها لابن حُميد، فأرسل الهادي إلى الحق لها، فطرح عليها ثوباً، وحملها أمة من إماء الوادعيين، وأرسل معها رجلاً من بني الحارث كان في عسكره ، فمضى بها حتى قرب من القوم، فصاح إليهم فأخبرهم نسب الصبية، وانصرف، وأخذوها .

ثم إن الهادي إلى الحق يوما دنا بعسكره حتى دنا من الدرب، فخرج القوم إلى باب الدرب، فاقتتلوا ساعة، وأصاب في القوم إصابة عظيمة، فمات منهم في ذلك اليوم ثمانية رجال، وأخبرنا من عَدَّ المصابين : مائة وسبعين، ودفروا حتى دخلوا باب الدرب، وتعبوا في ذلك اليوم تعباً شديداً .

ثم انصرف الهادي إلى الحق فبات في معسكره ، فلما أصبح غدا إليهم فعبأ عسكره وقرب من الموضع الذي كان فيه القتال، فأغلق القوم باب الدرب ولم يخرج منهم أحد، فوقف بعسكره ساعة، ثم انصرف إلى معسكره ، فلما أصبح غدا عسكر إلى ناحية بني خُثَيْمة يقطعون عليهم نخيلهم، ولم يكن قطع عليهم قبل ذلك اليوم ، فتعبوا من ذلك تعباً شديداً، وأرسلوا مشايخ من أهل نجران فيهم عاقل بن عبد الله يطلبون لهم الأمان، فوعدهم الهادي الى الحق موعداً جميلاً، ولم يقطع لهم شيئاً، واستنظروه في القطع يومين، فانظرهم ، ثم غدا بعد ذلك إلى الموضع الذي كان قطع فيه، فلما رأت بنو خُثَيْمة ذلك قالوا لابن حُميد: إما أن

تطلب لنا الأمان مجتمعين، وإما أن نفترق ، فيستأمن كل منا على جهته، فأجابهم إلى ما سألوا، وأرسلوا إلى ابن بِسطام فلقيهم فكلموه أن يطلب لهم الأمان من الهادي إلى الحق، فأجابهم إلى ذلك وصار إلى الهادي إلى الحق يطلب لهم الأمان فأجابه إلى أمانهم، وسألوه لقاء أبي محمد بن عبيد الله ليأنسوا به إليه، فلقيهم وأقبل معه وجوه بني الحارث وخيارها، فدخلوا على الهادي إلى الحق واستأمنوا إليه فآمنهم، وطلبوا منه أن يقف عن دخول القرية يومين حتى يخرجوا حُرمهم، فأجابهم الى ذلك، وتفرقوا من القرية، وصار كل إلى موضعه .

قال علي بن محمد: فدخل الهادي إلى الحق الى قرية الهَجر يوم الإثنين، يوم سبعة عشر من شعبان، فأقام بها، وأمن الناس، وأطمأنوا في منازلهم، فلم يزل على ذلك ، ولم يكن ابن حُميد وصل به، فلما كان في أيام بقيت من شهر رمضان، بلغه ان ابن حميد يلاقي أعراباً من يأم، وبني الحارث، ويجمعهم للفساد، فغدا له إلى الموضع التي أخبر به فيه، فلم يجده، وقرب من الموضع، فأمر بنخله منه فقطع نخل كثير، ثم اجتمعت إليه بنو الحارث، فطلبوا منه وسألوه أن يكف عن قطع النخل آخر نهاره، حتى يلقوا ابن حُميد، وينظروا ما عنده، وحملوا عليه بجماعة من أصحابهم، فأجابهم إلى ذلك، وانصرف الى قرية الهجر، وغدت بنو الحارث إلى ابن حُميد، وسألوه أن يمضي معهم الى الهادي إلى الحق، وإلا فهو يهلكه ويبيد ماله ، فقال لهم: إني أخافه واستحييه وهؤلاء بني يمضون معكم إليه، فاطلبوا إلي منه الأمان، فمضوا بأجمعهم حتى دخلوا إلى الهادي عليه السلام، فطلبوا منه الأمان لابن حميد ، فقال: لست أومنه ألا أن يطأ بساطي، وأما هذا النخل فأنا أهبه لكم، وأنا أطلب نفسه وإبله، فإن ظفرت بشيء من ذلك فلا لوم لكم علي، فلما بلغ ذلك ابن حُميد سار من ساعته إلى البادية وخاف على نفسه،وأقام الهادي إلى الحق

عليه السلام بنَجران، وسكن الناس، واختلطوا واطمأنت البلد، واستأمن إليه جميع يأم وبني الحارث .

حتى إذا مضى من ذي القعدة سبعة أيام من سنة إحدى وتسعين ومائتين ارتحل الهادي إلى الحق عليه السلام من نجران حتى صار إلى صَعدة ، فأقام بها ، ثم وصلت به كتب من إبراهيم بن على والغطريف الحكميين يسألانه المصير إلى بلدهما ، فإنهما يسلمان إليه ما في أيديهما من مال وعسكر ومخلاف[1] ، وأعطياه من أنفسهما ، فلم يجبهما لما كان يعلم من شرة أهل اليمن، وقلة وفائهم، فلم يزل على ذلك حتى وجهوا إليه جماعة من ثقاتهم ليوجبوا عليه الحجة لهم، وسألوه ان يوجه إليهم من ثقاته، من يستحلفهم على ما أعطوه من نفوسهم، فوجه اليهم نفراً من ثقاته، فاستحلفوهم، ورجعوا إليه فأعلموه بما كان من القوم، فلما صح له ما أعطوه من أنفسهم، أرسل الصوارخ في خَولان، فاجتمع اليه منهم عسكر كثير فوجه ابنه أبا القاسم إلى خيوان، وأمره بلزومها، فإذا جاءته كتبه من زبيد سار في حرب القرامطة إلى صنعاء بهمدان، وأمره أن يعرف أعرابها، ويجمع إليه من قدر من الفرسان .

---

(١) هذا ما كان يعرف بالمخلاف السليماني ، وهو اليوم إمارة منطقة جازان في آخر الجنوب الغربي من المملكة العربية السعودية .

ظهور القرامطة بنجران[1]

لما كان في سنة الأربع والتسعين ومـائتين، ظهر الفسـاد بنجران وظهرت القرامطة، وهمت بنو الحارث بالخلاف على عامل الهادي محمد بن عبيد الله العلوي، وساعدهم في ذلك اليَأميون، وكان القائم في ذلك الحارث بن حُمَيد الخُثَيمي، ومرزوق بن محمد المري، وعلي بن الربيع المداني، ويزيد بن الأسود الكعبي، ومنصور بن هشام الدُّهمي، والذي حمل يَأماً على الدخول مع بني الحارث ما كان من قتلهم لرجل مصري، وفد على الهادي إلى الحق عليه السلام، فلما ظهر اجتماعهم على الحدث والفساد كتب محمد بن عبيد الله إلى الهادي إلى الحق أعزه الله تعالى يعلمه بالخبر، ويحضه على الخروج إلى البلد لاصلاحه، واصلاح أهله .

خروج الهادي إلى الحق إلى نجران ومعه الحكمي[2]

فخرج بجميع عساكره وأوليائه من هَمدان وخولان، وكان عبد الله بن الخطاب الحكمي قد وفد إلى الهادي الى الحق بجماعة من خيل ورجال، وذلك أنه خرج هارباً من خوف ابن عمه الغُطريف بن محمد الأشج لعنة الله عليه، وكان رجلاً فاسقاً ظالماً، مبغضاً للحق وأهله، فلما خرج الهادي إلى الحق الى نجران، خرج معه عبد الله بن الخطاب بمن كان معه،

(١) عن سيرة الامام الهادي .

(٢) سيرة الهادي ص ٣٣٥ ـ ٣٤١ .

وكان خروج الهادي لعشرٍ باقية من رجب، فوصل نَجران لسبع باقية من رجب، فنزل بموضع يقال له الحِصن ، فلما أن كان اليوم الثاني من مقدمه، اجتمع وأولياؤه من شاكر، وثقيف، ووادِعة، والأحلاف ، فسار فيهم وفي عساكره، فلما صار إلى موضع يقال له الكُثيب ، لقيه محمد بن عبيد الله في ولده ، وأصحابه وفي بني عبد المَدان، ولم يبق معه من بني الحارث أحدٌ، وذلك أنهم كانوا خائفين لما قدموا، فتغيبوا وكرهوا لقاء الهادي الى الحق ، فسار الهادي إلى الحق عليه السلام ، فلما صار بموضع يقال له يُولس لقيه عبد الله بن بِسطام الحارثي في بني ربيعة .

فلما وصل إلى الهَجر قرية نجران نزل وأمر أصحابه فنزلوا، فلما كان يوم ثاني مقدمه أمر بعلي بن الربيع المَداني، وكان من أهل الفساد والإدغال على الإمام أعزه الله تعالى، فطرحه في الحبس والحديد، فأقام اثني عشر يوماً، ثم أقبلت إليه بنو الحارث بسمعها وطاعتها، سوى الحارث بنُ حميد والحماسيين وكان كراهتهم الإمام أعزه الله تعالى لما كان جاء بينهم وبين اليَأميين، ولما كانوا قدموا، ثم إن الهادي إلى الحق أمر وادِعة أيام مقامه بقرية نَجران، يحشدوا لحرب يَأم، ويصرخوا بعشائرهم من البدو .

فلما كان يوم الأحد لأربع خلون من شعبان خرج في جميع عساكره حتى صار إلى البرية خارج القرية، وأمر وادِعة فصاروا ميمنة، وأمر شاكر وثقيف فصاروا ميسرة، وسار الهادي إلى الحق في القلب بمن كان معه من المهاجرين الطبريين وغيرهم ممن معه، ومعه أحمد بن يحيى أعزه الله تعالى، وجماعة من بني عمه، وخلف أبا جعفر محمد بن عبيد الله العلوي بالهَجر، وسار الهادي إلى الحق حتى صار بقرية يقال لُبَيان، فعسكر بساحتها، وأمر بالقرية فهدمت، وحرقت ، وأمر بنخيل نفر من اليأميين يقال لهم بني عمرو الذين كانوا قتلوا سُليم بن المصري ، فقطع، وأمر بنخل

لرجل من السِنانيين يقال له أبو قُحينْة فقطع، وبمنزله فهدم، وأخذ عبداً له فاسقاً هو ومولاه هذا السِناني يعملاَن الخمر، ويجمعان عليه الأعـراب، ويظهران الفساد، وكان أبو قُحَينة يجمع بينِ اليأميين والحارثيين ويحضهم على الحدث على أبي جعفر، وكان العبد يجمع بين النساء والرجال في منزل .

وأقام الهادي إلى الحق عليه السلام في الموضع سبعة أيام كل ذلك يطلب أن يرجعوا إلى الحق، فيأبون ذلك كله عليه فلما اشتد عليهم البلاء، ورأوا ما حلّ بهم من النكال ومن تطريدهم في رؤوس الجبال، وساء بهم الحالُ أرسلوا إلى بعض من كان مع الهادي إلى الحق أيده الله تعالى من وجوه هَمدان ليطلبوا لهم الأمان، منهم أبو مَعمـر الدالاني، وعلي بن الحجاج الشاكري فطلبوا لهم الأمان على النزول على حكم الهادي إلى الحق أيده الله تعالى، فآمنهم على انهم يتحملون بدية المصري، وجعلها الهادي عليه السلام ألف دينار مثاقيل، فأجابوا إلى ذلك، ونزلوا على حكمه .

فلما رأى ذلك عبد الله بنِ بسطام والوادِعيون، علموا أن ليس في أيديهم شيء مما كانوا يأملون، من نكاية اليَأميين، لما قد كان بينهم من العداوة والشنآن والبغضاء القديمة، ولما كانت يَأم قـد قتلت من رجال وادِعة ، وبنو ربيعة قد أملوا الإنتقام من يأم بالإمام أيده الله تعالى، فلما رأوا يَأما قد استأمنت ، وصارت إلى الهادي إلى الحق عليه السلام ، أمروا نفراً بالغارة على راحة والقتال لأهلها واستدعاء الفتنة، ففعلوا ذلك، وأرادوا بـذلك مسير الهادي إلى الحق إلى راحـة، ليقع العسكـر كله براحـة واليَأميون، لينالوا بذلك ثأرهم ، ويقتلوا عدوهم بعسكر الهادي إلى الحق .

فلما رأت ذلك شاكر ورأت إجماع الناس على أهل راحة والخلاف، صاروا إليهم، وقاتلوا معهم، فلما بلغ ذلك الهادي إلى الحق أرسل ابنه أحمد بن يحيى في جماعة من بني عمه وغيرهم، فلما صاروا الى راحة

وجدوا القوم قد تناشبوا، والتحم القتال بينهم، حتى قتل من الوادِعيين المهاجرين العَنْسي، والعباس بن الحسن، ومحمد بن المصاحب النَجراني ، وكان من أصحاب الوادِعيين ، ووقعت بينهم جراح كثيرة، وخاف الهادي إن هو سار بنفسه أن يتبعه العسكر كله، فيقع بأهل راحة ما أملت وادِعة وبنو ربيعة، فأرسل إبنه أحمد بن يحيى لصرفهم، وأقام الهادي إلى الحق في مكانه، وتهاوت إليه عساكره واليّأميون الذي استأمنوا إليه عنده، فلذلك أرسل ابنه أحمد بن يحيى لصرف القوم، فلما وصل بهم أحمد بن يحيى أعزه الله تعالى، صرف بني ربيعة، ومن كان هناك من عسكره، فصار بهم إلى الهادي إلى الحق ، فاستوثق منهم ومن عشيرة من اليأميين .

فلما كان من الغد أمر الهادي إلى الحق بالمسير إلى سَوحان ، قرية بني الحماس لهدمها، وقطع نخيلها، فجاء رُجيلة وذُكانة وسألاه أن يصفح لهما عن السّوء ،وضمنا له أن يأتياه ببني الحِماسِ فينفذ فيهم حكمه، فأجابهما إلى ذلك، وصرف عساكره إلى الهَجَر من نَجران، فأقام بها أياماً

ثم قدم عليه ابنُ بسطام بالحماسيين مستأمنين، فآمنهم الهادي إلى الحق وصفح عن زلتهم، وأمر بصرفهم إلى مواضعهم .

خبر المرجومة

ثم قدم عليه نفر من الأحلاف لمرأة فاسقة .

وشهد عليها مستنير بن الفارع، ومحمد بن أبي حازم، وحُميد بن مُنير، وابراهيم بن أبي رماح، وقد كان الهادي الى الحق، صرف الأحلاف الذين حبس، وحبس اليأميين لقطع ما بينهم وبين الوادِعيين، فجاء هؤلاء النفر بهذه المرأة إلى الهادي، وشهدوا عليها بأنهم عاينوا على بطنها رجلاً فاسقاً يفجر بها، فسألهم أيده الله تعالى، هل رأوه عياناً يُخرج ويولج كما يكون الرجل من زوجته ؟ فشهدوا على ذلك، فأمر بها الهادي إلى الحق،

فأقيم عليها الحَدّ مائة جلدة، كما قال الله سبحانه[1]، بعد أن سألها الهادي: هل: تزوجت ؟ فأقرت بأنها قد تزوجت أزواجاً يبنون بها، ويطلِّقونها، وشهد على إحصانها الشهود، ثم أمر بها فحفر لها، وصاحت بالهادي، فلم يسمعها، وأمر محمد بن عبد الله أن ينظر ما سببها ؟ فقالت: قد كان مني ما شهد به هؤلاء القوم، وأنا أتوب إلى الله، فأعلم الهادي إلى الحق بذلك، فقال الهادي عليه السلام: لا توبة لها وهي في حفرتها، لو أنها أقرت بالزنا قبل ان يشهد عليها لوجب علينا أن نكفنها ونصلي عليها .

قال علي بن محمد: سألت الهادي إلى الحق بكم نرجمها من الحجارة ؟ : قال: بأربع أحجار يكون وزن كل واحدة ما بين نصف رطل إلى رطل، قال: فما تقول إذا رَجَمْتَ ؟ قال : باسم الله، وبالله ، والحمد لله ، رضاء بقضاء الله، وتسليماً لأمر الله، وإنفاذاً لحكم الله .

قال: ثم أمر بدفن المرأة إلى ثديها، فدفنت، ثم أقبل الإمام، وأقبل الناس، وأراد أن يقتل بعضهم بعضاً من الإزدحام، ثم وقفتُ، فعاد إليَّ الهادي إلى الحق أيده الله ، فوقف على باب داره، وأمر الناس أن يرجعوا ، فرجعوا، وأمرهم أن يرجموا من بعده طائفة طائفة، فلزموا مجالسهم، وقام الهادي وبنو عمه العلويون، ومحمد بن سعيد، وأمر الشهود أن يتقدموا فيرجموا المرأة، فتقدموا فرجموها، ثم تقدم الإمام عليه السلام فرجمها بأربعة أحجار، ثم رجمها العلويون من بعده، ثم الناس طائفة من بعد طائفة، فلما فرغوا أمر بها إماءً، فجررنها حتى رمين بها في حفرة، وواربنها فيها، ورجع الهادي إلى مجلسه .

خبر قتل العبد ابن بلال

وأمر بالعبد ابن بلال مولى أبي قُحينة، فأخرج من الحبس، ودعا

---

(1) في سورة النور : ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة . . . ﴾ ٢٤/ ٢ .

الحُريني وأعطاه سيفه، وأمره أن يضرب رقبة ابن بلال، فضرب عنقه، وأمر الهادي إلى الحق به فصُلب على باب الدرب ،فاطمأنت البلد لذلك، وهاب أهلها .

ثم أمر الهادي إلى الحق عليه السلام محمد بن عبيد الله بأخذ القرامِطة[١] وطلبهم في كل موضع، فركب علي بن محمد، وأخوه القاسم بن محمد من الغد في السحَرَ ومعهم مائة عزب، فتوجه علي بن محمد إلى موضع يقال له مَحْضر، وكان فيه كل من تنسب إليه القَرْامطة، وكان داعيهم رجل يقال له حسين بن حسين من حاشد، من موالي بني أمية، وكان نازلاً بقرية من نجران يقال لها رِجلاء[٢]، فمضى القاسم بن محمد، فأحاط بمنزله، فلم يجده هناك، وأحاط علي بن محمد بمحضر، فأخذ خمسة عشر من القرامِطة ، وانصرف هو وأخوه الى الهادي إلى الحق أعزه الله، ووجدا أباهما محمد بن عبيد الله، وقد أخذ نفراً من القرامِطة ممن بقرية الهَجَر منهم رجل يقال له ابن غَبراء من آل حاشِد من كبار القرامِطة ودعاتهم، فأخذ ابنُ بسطام نفراً من أهل قرية مِيناْس من بني عمه ومواليه، وصار بهم إلى الهادي إلى الحق عليه السلام ، فأمر بهم فصيرُوا في الحبس، ثم عزم الهادي إلى الحق أيده الله على الخروج إلى صَعدة، وأمر خمسين فارساً ومائة راجل فيهم سعيد بن موسى بن أبي سُورة، وأمرهم بالمقام مع أبي محمد ابن عبيد الله بنَجران وأمر بقبض الجباية الحسن بن أحمد البَغداني،

(١) دخل دعاة القرامطة اليمن عام ٢٩١ هـ ، وأشهرهم ، علي بن الفضل الحميري ، ومنصور بن حسن الكوفي ، اللذان استطاعا الاستيلاء على جهات كثيرة باليمن ، حتى دخل علي بن الفضل صنعاء سنة ٢٩٣ هـ ، وأنمار على تهامة وزبيد ، وفي هذه الفترة بدأ صراع القرامطة مع الزيدية في نواحي صنعاء ونجران : غاية الأماني ١٩١/١ ، الحور العين ص ١٩٨ ، غاية المرام ٣٢ ـ ٣٣ (محقق سيرة الهادي) .

(٢) رجلة : لا زالت معروفة تجاور آثار الأخدود من مطلع الشمس . ويأم فرع من حاشد وقد تفشى فيها هذا المذهب حتى كاد يعمها ويعم نجران اليوم ، وداعي السليمانية مقيم بنجران ، ويدعى المكرمي .

ومحمد بن أبي سعيد العصار، وأمر محمد بن عبيد الله بتقوى الله، وإيثار طاعته، والقيام في بلده، والإحسان إلى رعيته، مع الشدة على السفيه، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأخذ القرامِطة، وأوصاه بوصايا غير ذلك مما يحتاج إليها .

رجوع الهادي إلى الحق إلى صعدة بابن الربيع وبالقرامِطة

وخرج الهادي إلى الحق يوم الثلاثاء لثلاث خلت من شهر رمضان ، فأمر بالقرامطة الذين كانوا في حبسه ، فربطوا بالحبال ، وأمر باليَأْميين فحملوا على الجمال ، وضمَّنهم الهادي أعزه الله تعالى الخَولانيين ، وأمر بعلي بن الربيع فحمل مستوثقاً منه ، وأمر نفراً من المهاجرين بالاحتفاظ به ، وسار الهادي إلى الحق ، وسار معه محمد بن عبيد الله مشيعاً له ، حتى إذا بلغ إلى موضع يقال له القَدر الأعلى من نَجران ، ثم ودع الهادي إلى الحق صلوات الله عليه ، وانصرف محمد بن عبيد الله راجعاً إلى الهَجَر ، فأقام بها أياماً لا يتحرك عليه متحرك ، ولا يحدث عليه حدث ، ولا يطمع بالفساد أحد من الناس وأطمأنت البلد ، وظهر الحق ، وخمل الباطل .

فلما كان ليلة النصف من شهر رمضان، أغار رجل من بني الحارث يقال له الدَهف بن موسى العمري على سِرّ بني مازن بنَجران، وكان ممن يطلبه محمد بن عبيد الله، وطلب من أهل سِرّ طعاماً وأراد أن يبيت عندهم، فحاذروا في ذلك أبا جعفر فطردوه من موضعهم وأبعدوه، فعمد إلى دابة له فعقرها ، وهرب، وتناهى الخبر إلى محمد بن عبيد الله العشاء، فأمر الذي أتاه بالخبر يتقف على بابه ويبيت، فلما كان في آخر الليل أرسل إلى عسكره، فحضروا إليه في ذلك الوقت، وأمر ابنه علي بن محمد بالنهوض في طلب الدَهف، وارسل معه أخاه القاسم بن محمد، وابن عمه إبراهيم بن محسن،وكان صِرْمٌ لبني الحارث في موضع يقال له نَفر في أسفل نَجران، وكان الدَهف قد صار الى الصِرم، فسار علي بن محمد

حتى نزل بعسكره في آخر الليل بموضع يقال له الحظورة، وكان موضعاً خمراً[1] .

فلما طلع الفجر صلى وأمر أصحابه فصلوا، ثم أمر أخاه القاسم بن محمد أن يمضي في ميمنته، وإبراهيم بن محسن ومعه قطعة من الخيل والرجالة، وأمرهم أن يأتوا من يمان الصِرْم ويكونوا منتزحين من الصِرم، فمن خرج إليهم منه أخذوه، وأمر سعيد بن أبي سُورة أن يمضي في ميسرة، ووجّه معه قطعة من خيل ورجال، وأمرهم أن يلتقوا من خرج إليهم من الصِرم، وأن يحيطوا بالصِرم من كل جانب ، وسار بباقي عسكره حتى هجم على الصِرم صباحاً ، فوقع عسكره بمن كان في الصِرم من بني الحارث ، فسلبوهم ، وأخذوا سلاحهم ، وما كان في بيوتهم من أثاثهم ، وظنت بنو الحارث أنه قد أُحيط بهم ، فأعطوا القياد ، واستكانوا، فلما رأى ذلك علي بن محمد أمر أصحابه ، وكانوا قد جاوزوه أن يطلقوهم ، ويصيروا إليه ، وابترج من أصحابه ، ودعا أصحابه إليه ، وخاف في ذلك الفساد عليه ، فلما اجتمع إليه عسكره دعا بني الحارث ، فردّ عليهم ما أخذ لهم العسكر من سلب وغيره ، وأعلمهم أنه لا ريبة عليهم ، وأنه إنما أُمر بطلب الدَهَف ، فأعلموه أنه أجاز بهم في أول الليل يريد الغائط ، فشد عليهم في أمره .

فأتاه رجل من بني الحارث فأعلمه أن بعض أصحابه أخذ عليه أربعين ديناراً فأمر بإحضار الخادم ، فأمره بردّ الدنانير ، فردها ، وانصرف عليّ بن محمد إلى الهَجَر ، فأقامَ به أياماً .

ثم بلغ أبا جعفر أن نفراً من القرامِطة بحصن ثُلا عند نفر من بني الحارث يقال لهم بنو قِطن يأوون إليهم ، ويبيتون عندهم ، فلما كان مع طلوع الفجر أمر العسكر فحضروا إلى بابه ، فلما اجتمعوا أمر ابنيه علياً والقاسم إبني محمد بالمصير إلى حصن ثُلا عند طلوع الشمس فظفر

---

(۱) كثيف الأشجار .

برجلين من القرامِطة يقال لأحدهما محمد بن عبد الله، فأخذهما وانصرف إلى الهَجَر ، ثم ذكر له من بعد ذلك أن نفراً آخرين بموضع يقال له المُوقحة من قرى نَجران ، فأمر ابنه علي بن محمد بالمسير إليهم فسار حتى هجم على المُوقحة ، وظفر بالدَهَف وبنفر معه ، وانصرف إلى القرية ظافراً سالماً ، وأمر بهم إلى الحبس ، ثم أقام بعد ذلك أياماً .

ثم ذكر له نفر من بني حماس ممن كان يفسد ويظهر المنكر ، وكانوا مطلوبين مطردين مشردين ، فبلغه أنهم يأوون إلى سَوحان بالليل ، فيبيتون بها حتى إذا أصبحوا خرجوا ، فأمر ابنه علي بن محمد في قطعة من الخيل والرجال وأمره أن يكمن في جبل مُطل على سَوحان ، فلما وصلها هجم علي بن محمد على موضع كان فيه بعض هؤلاء المطلوبين ، فظفروا برجلين منهم ، يقال لأحدهما ابن حَفص ، والآخر محمد بن طاهر ، وسار بهم حتى لقي أباه محمد بن عبيد الله بسَوحان ، فوجده يهدم منازل الذين لم يظفر بهم ، فلما وصل به ، أمر العسكر بالانصراف، فانصرفوا إلى الهَجر، ثم أقام بعد ذلك أياماً ، ثم أمر بجميع من أخذ من بني الحارث ممن كان يفسد عليه ، فوجّه بهم إلى الهادي إلى الحق إلى صَعدة، واطمأنت به البلد ، ولبس الناس العافية ، وصرموا نخيلهم ، ولم يعترض بهم أحد من الناس ممن كان يطمع بالفساد ، وذلك لما كان من تشريد علي بن محمد لهم إلى رؤوس الجبال ، وإقلاقه لنهارهم ، واشهاره لليلهم ، وطلبه لهم في مواضعهم عندما أمكنه العسكر ، ووجد عليهم معيباً ، وقد كانت بنو الحارث قبل ذلك فيه وفي أبيه طامعة ، إذ لم يكن معهم أحد يصولون به عليهم .

فلما استوت أمور نَجران بما قد شرحناه سأل عبد الله بن الخطاب الحَكَم الهادي إلى الحق عليه السلام الخروج إلى تهامة ، وسأل مدداً فأمده الإمام أيده الله بخيل كثيرة ، ورجال ، وأرسل إلى أبي جعفر محمد

ابن عبيد الله العلوي فصرف إلى العسكر الذي كان عنده خيلاً ورجلاً ، فلما كان في ذي القعدة ، خرج محمد بن عبد الملك إلى الهادي إلى الحق ، فكلمه في اليَأميين الذي كان حبس للوادعيين ، وسأله اطلاقهم، فأطلقهم له ، وحملهم للوادِعيين سبع عشرة دية على عدد قتلاهم ، فلما وصلوا إلى نَجران طمع ابن بِسطام في تخلية ابن ربيـع ، فخرج إلى الهادي إلى الحق أعزه الله تعالى ، وسأله أن يهب له ابن ربيع (ويطلقه من الحبس فكره ذلك عليه الهادي أيده الله ، وأعلمه أنه من المفسدين وممن يسعى بحرب الدين وهلاك المسلمين ولم يكن كلام ابنِ بِسطام في ابن الربيع) محبة له ، ولا شفقة عليه ، ولكن أراد أن يصطنعه لقدر ما كان يعلم عنده من المعَاندة للهادي والبغض للحق وأهله ، فلما لم يجبه الهادي إلى ما سأل من إطلاق ابن ربيع ، طلب في القرامِطة الـذي أخذهم الهادي إلى الحق فأطلقهم، ورد بهم سفيره .

ثم خرج محمد بن الهَيثم وأحمد بن الأربد المَسرباني ، وكانا ممن يبدي للهادي المحبة والنصيحة فكلماه في عبد الله بن مـوسى الدَهَف العَمري ، وفي أصحابه، وفي الحماسيين ، فأجابهم ، وأطلقهم لهما ، فصار المحدثون كلهم في وادي نَجران وازدادوا حنقاً على السلطان . ولم يشكروا ما فعل لهم من الإحسان ، فلما كان في شهر ذي الحجة ، قدم الحجاج من مكة بخبر نجاح[1] المسود أنه واصل من مكة إلى صَعدة .

فرفعت بنو الحارث رؤوسها ، والتقت فيما بينها ، ومشى بعضهم إلى بعض ، فلقوا يَأماً فاجتمعت معهم ، وحالفوهم على الحدث على محمد بن عبيد الله ، وكانوا في تأسيس ذلك إلى وقت قدوم المسود إلى صَعدة ، فكتبوا إليه كتاباً ووجهوا رجالاً منهم ، وكان ممن خرج بالكتب

---

(١) نجح أو نجاح هو الذي ولاه المكتفي العباسي اليمن فأناب عنه آل يعفر ، ثم بدا له أن يقدم بنفسه ، على انه تحول بعد ذلك عن عزمه : غاية الأماني ١/١٨٩ . (محقق سيرة الهادي) .

حَميد بن العون الحماسي يعلمونه بموالاتهم له ، وتمسكهم بحبله ، وسرورهم بمقدمه ، ويسألونه المصير إلى بلدهم ، ويحملونه على محاربة الهادي إلى الحق ، فرد عليهم في جوابه يأمرهم بالحدث إن كانوا على ما ذكروا من أنفسهم ، فإذا بان ذلك منهم وأخذوا العامل صار إليهم ، وأطمعهم ، وإن المكاتب ابن بِسطام ، وابن حُميد ، وجماعة من بني الحارث يعلمونه ان الهادي إلى الحق قتل رجالهم وقطع أموالهم ، وأساء إليهم ، ولم يبق في أمورهم غاية ،وذلك لما علم من مودتنا لك وانقطاعنا إليكم قديماً وأخيراً .

فلما أطمعهم بالمصير إليهم ، إلتقوا واشتوروا أن يأخذوا محمد بن عبيد الله أسيراً حتى يفادوا به علي بن الربيع ، وعلى أنهم يقتلون أولاده وجميع بني عمه وأصحابه ، ويأخذون دوابهم وسلاحهم ، ويستعينون بذلك على حرب الهادي إلى الحق ، وقام ابنِ بِسطام في تحصين مِيناس ، وكتب إلى محمد بن عبيد الله يعلمه بما كان من اجتماع بني الحارث ويَأم ، وأنه ليس معهم ، وإنما حَصن مِيناساً للهادي إلى الحق أيده الله ، فإن يكن من بني الحارث حَدَث ، صار الهادي إلى الحق إلى الحِصن وقاتل فيه بني الحارث وإنما كتب هذا الكتاب لئلا ينكر عليه تحصين الحصن ، وكان القائم ببني الحارث وإصلاح ما بينها، حتى اجتمعت له كلها على الحدث على محمد بن عبيد الله ، فلما صحَّ ما عليه القوم لمحمد بن عبيد الله كتب إلى الهادي إلى الحق بما كان من إجماع بني الحارث ويأم ، وكتب إليه علي بن محمد كتاباً يشرح له فيه أمر البلد وكتب إليه في أسفل كتابه بهذا الشعر فقال :

لاح المشيب بمفرقي وبراسي وبعارضيَّ فعاد كالقرطاس
يابن الحسين تحالفت حارٍ على أن يقتلونا يا بني العباس
من آل خُثيمة ومَذْحج كلها والحي من يَأم وحيِّ حماس

وبني ربيعة من يحلّ بصاغر　　والقاطنين بحافتي مِيناس
قالوا المسوّد قد أتى في نصرنا　　وأعوانه طراً جميع الناس
زعموا بأنك قد خُذِلَت بصَعْدَة　　وشُغِلتَ بالعبدِ الذَّليل الخاسي
يا بن الحسين تقاسموا أموالنا　　وخيولنا فافرج بصولة قاسِ
عجّلْ بنصرك يا بن أكرم هاشم　　فافكك عشيرك من يد الحبّاس
إنا ببئر لا خلاصَ لمن بها　　منها فينجو سالماً بالراس
فيها الأراقم والأفاعي كلها　　يسقينني سمَّ الحتوف بكاس
يا سيّد الأنام يا بن محمد[1]　　ما في هلاكهمُ معاً من باس
سرْ بالمقانب[2] والكتائب واصطلم　　حارِ بنَ كعبَ سلالة الادناس
من حديد ودما لدين يتنعم[3]　　فبذات غَير مجمع الأنكاس
نجرانُ نجرانٌ فعجّلْ هُلكها　　ماذا حوت فيها من الانجاس
يا بن الحسين تركتنا غرضاً بها　　نُرمى فنبلُ القوم غير خساس
إنا بأرض لا يرى فيها لنا　　إلا عدواً مُرصداً لِمَراسِ
عجّل بقتلتك التي أوعدتهم　　في فيلق عدد الحصا رجّاس

فلما وصل الكتاب والشعر إلى الهادي الى الحق كتب الى أبي جعفر محمد بن عبيد الله، والى ابنه عليّ بن محمد كتاباً، يأمرهما فيه بالحزم والاحتراس، والمدافعة لهم، حتى ينظر ما يكون من خبر المسود لعنة الله عليه[4] ويعدهما بالنصرة، ويأمرهما بالصبر عند الشدة .

فلما وصل كتاب الهادي إلى الحق إليهما أطمأنت نفوسهما، وسرهما كل

---

(١) هذا غلو غير مستساغ .
(٢) المقانب : جموع الخير .
(٣) كذا في الأصل .
(٤) المسود : الوالي العباسي ، لأن بني العباس لبست السواد وجعلته شعاراً لها . واللعنة لمثل هؤلاء منكرة .

ما شرح لهما في كتابه، ولبث بنو الحارث ويَأم على ما كان من خطائهم وأسبابهم التي تطول حكايتها، وطمع بنو الحارث بالمسود، وكثر هرجهم وذكرهم له، وتواعدهم لمحمد بن عبيد الله ولمن كان معه، وذلك لا يزيد محمد بن عبيد الله وولده إلّا استبصاراً في طاعة الله تعالى، وصبراً على أمر الله، لا تأخذهم في الله لومة لائم، بل هم أشد ما كانوا في الحق، لا يجد عندهم السفيه مطمعاً، ولا يجد عندهم المحق باطلاً، فأقاموا بذلك أربعة أشهر، كل ذلك لا تدع بنو الحارث أحداثها ونقضها لعهودها، يظهرون ذلك سراً وعلانية، ولا يمنعهم من الحدث في ذلك الوقت إلا تحصين حصونهم لقدوم المسود إليهم، وخافوا أن يلبث عنهم المسود، فلا يكون لهم موضع يتحصنون فيه، فهذا الذي منعهم من الحدث، وليس همتهم إلا المسود، فلما انتهى إليهم مصير المسود الى الكَدَر[1]، أوضح لهم اشتغاله عنهم، وكتبوا إليه يسألونه مدداً، وكتبوا إلى رجل كان مع المسود من بني عبد المدَان يقال له احسان بن إبراهيم ابن عم ابن ربيع يشرحون له قصة ابن عمه، ويسألونه أن المسود يحض على إمدادهم على الهادي إلى الحق، فأبطأ ذلك عنهم.

وحضرت أنزال العسكر المقيمين بنَجران، وكتب محمد بن عبيد الله الى الهادي إلى الحق يعلمه بذلك، فكتب اليه والى عامله أن يستلفوا نصف جباية العنب، ويصرفوا ذلك في إنزال العسكر، ويكون ذلك من الرعية عامة، على من كان له عنب من حارثي وهمداني ونَجراني، فتسارع في ذلك الرعية كلها إلا بني الحارث، وأبوا ان يدفعوا ما سألهم العمال، والتووا على ما عندهم من الجباية، وقالوا: قد صالحنا الهادي أيده الله يوم قَرقَر على أنه لا يأخذ منا جباء ولا واجباً ولا معونة، فكتب محمد بن عبيد الله الى الهادي يعلمه بذلك منهم، وأن القوم يريدون المعصية والحدث، فكتب إليه الهادي إلى الحق أن يطلب ذلك منهم بأشد ما يكون من الشدة، فمن أعطى طائعاً، وإلا أعطى كارهاً.

---

(١) الكدر: بلد بتهامة اليمن.

فلما وصل الكتاب إلى محمد بن عبيد الله، أرسل إلى نفر من بني الحارث، وأعلمهم أنه لا يعذر منهم أحدا ممن أمر به الهادي إلى الحق، فأنعموا له بعد حضورهم إليه جميعاً، وقالوا له: أرسل إلينا خدمك إذا أحببت لنصير إليك بما سألت، فأقام أياماً، ثم أرسل إليهم خدمه، فطردوهم وأرادوا قتلهم وقالوا: لا ندفع من هذا الذي سألتموه قليلاً ولا كثيراً، فرجع الخدم، فأعلموا أبا جعفر، وأرسل ابن بسطام الى ابن حُميد فلقيه، وقال: هذا أمر يراد به ذُل بني الحارث وهـوانها، ثم عزما على الخلاف، ثم ارسل ابن حميد من ساعته الى القرية، فدعا رجالاً من أهل نَجران فيهم عاقل بن عبد الله، وعبد الله بن عيسى، وأحمد بن الجَراد، وأرسلهم إلى محمد بن عبيد الله يعلمونه أن هذا الأمر لا يصلح لبني الحارث، وأنهم لا يدفعون مما سألهم قليلاً ولا كثيراً، فقال له ابن حُميد: إنك حبست عليَّ بن ربيع، فأطلقه كما حبسته، وإلا فأنت به، فردّ عليه محمد بن عبيد الله كلاماً غليظاً، وأسمعه ما يكره جواباً لقوله، وأقام ابن حميد في القرية أياماً ومحمد بن عبيد الله محترس منه ودخلت بنو عبد المَدان فيما بينهما، وحاذرت الهلكة على أنفسها من أن يكون من ابن حميد حَدثٌ، وهو بين أظهرهم، فلم يزالوا بابن حُميد حتى صرفوه إلى سِرّة، بعد أن أقام في القرية أربعة عشر يوماً.

فلما وصل إلى موضعه أرسل إلى عشائره وبني عمه وأعلمهم انه لا بد له من الخلاف فساعدوه على ذلك، ونقض ما بينّا من العهد.

فلما صح ذلك لمحمد بن عبيد الله وجه ابنه علي بن محمد الى الهادي الى الحق أيده الله، وكتب إليه يعلمه بما كان من ابن حُميد، وأن بني الحارث قد اجتمعت على الخلاف كلها، ويسأله ان يسبق القوم على البلد قبل أن يلزموها، ويتحصنوا في القرية، ومِيناس، وكتب إليه في آخر كتابه ببيتي شعر فقال:

---

(١) كتب فوقها في الأصل «الأفضل مما».

أرى تحتَ الرَّمادِ وميضَ نارٍ   وأوشكَ أن يكونَ له ضرام
فإن النار بالزندين تُورى   وإن الحرب يبعثه الكلام[1]

فلما وصل علي بن محمد إلى الهادي إلى الحق أيده الله تعالى، أخبره بخبر البلد، وأعلمه أن بني الحارث قد اجمعت على الخلاف، وأن يَأماً قد دخلت معها في ذلك، ويسأله أن يتدارك البلد .

تأديب بني الحارث بن كعب

قال راوي سيرة الامام الهادي :

فسار الامام إلى نجران[2] ، فلما وصل الهادي إلى الحق الحِصن، لقيه ابنُ بسطام مُسلماً عليه، ومُعتذراً عن بني الحارث، فلم يقبل منه الإمام أعزه الله تعالى دون مسألة أبي جعفر محمد بن عبيد الله، وكشف الأمور وإيضاحها . فرجع مغموماً إلى موضعه، فلما أصبح الهادي إلى الحق غدا إلى القرية فلقيته عبيد بني الحارث مستأمنة إليه، فأمّنها وأحسن اليها وأرسل إلى محمد بن عبيد الله أن لا يبرح القرية حتى يأتيه، وحاذر أن يخرج في لقائه فتخالفه بنو الحارث فتضبط القرية، فلم يلقه إلا على باب الدرب، ودخل الإمام أعزه الله تعالى القرية، ونزل في داره، وأمر أبا جعفر محمد بن عبيد الله بتنزيل العسكر، وحاذر أن يُسيء العسكر إلى أهل القرية، أو يدخلوا على حرمهم، وكانت مع الهادي إلى الحق عساكر كثيفة من خيل ورجال .

فأقام بالهَجر أياماً، ثم خرج يوم الأحد ليومين داخلين من ذي القعدة إلى الموضع الذي كانت بنو الحارث قد تحصنت فيه وكان جبلاً وعراً، وموضعاً صعباً يقال له اللِواء، وكانت بنو الحارث تظن انه لا يقدر عليها فيه أحدٌ، فسار الهادي إلى الحق بعساكره حتى قابل الجبل، ثم أمر الوادعيين ومن كان معه من هَمدان

(١) لنصر بن سيار والي مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية على خراسان .
(٢) سيرة الهادي ص ٣٥٤ ـ ٣٦٢ .

اليمن، فجعلهم ميمنة، وجعل الشاكريين واليَأميين والثقفيين والأحلاف ميسرة، وجعل الخَولانيين قلباً، وأمرهم بالطلوع عليهم، وسار في جميع المهاجرين والأنصار[1] حتى أحاط بالجبل، فوقع أخو الهادي أعزه الله تعالى عبد الله بن الحسين على صرم بني حماس، فطردهم منه، وحاز المنازل دونهم، وغنمها العسكر، وأخذوا ما كان فيها من الجُزر، وقتلوا من القوم رجلين، وقتل من خَولان رجل، فسار عبد الله بن الحسين في بعض الشعاب، فإذا هم بامرأة مسلوبة قد سلبها بعض الأعراب، فطرح عليها ثوبه، ونزل من دابة كانت تحته فحملها عليها،وأرسل بها إلى رجل من بني الحارث يقال له كُليب بن نجاد المحصي، وكان ممن آمنه الهادي أعزه الله تعالى، فأمره ان يُصيرها الى حرمه، وكانت المرأة بنت الأسود الكعبي أخت بُرية بن الاسود الخولاني ووقع الجيش الخَولاني الذي جعله الهادي أعزه الله تعالى قلباً على نعم بني الحارث، فأخذوا منها نعماً كثيرة، وغنموا غنائم كثيرة، وطردت بنو الحارث في رؤ وس الجبال، وأخلوا المنازل والأموال .

ثم انصرفت عساكر الهادي إلى الحق أعزه الله تعالى إليه، فسار حتى نزل بحصن لبني الحارث يقال له ثلا، فنزل بالقرب منه، وأمر بهدمه وتحريقه، وبات ليلته تلك، فلما كان في بعض الليل أتى نفر من الأحلاف الى اليَأميين ، فأعلمهم أن نفراً من الوادِعيين أغاروا على سِر من أسرارهم فقتلوا منهم رجلاً يقال له ميمون بن محمد بن يوسف الذُهلي، وجرحوا رجلاً آخر، وساقوا مالاً كثيراً، وأمروهم أن لا يخبروا الهادي إلى الحق بالخبر إلا في آخر الليل وحاذروا أن يعلم الهادي أعزه الله تعالى فيضبطهم ، فأغاروا من ساعتهم على بادية وادِعة، فقتلوا منهم رجلاً من بني عُبيد يقال له شدَّاد، وساقوا مالاً كثيراً كان معه وجاء الحِلفيون إلى الهادي أعزه الله تعالى، فأخبروه بما كان من الوادِعيين إلى اليَأميين وأن اليأميين قد خرجوا للانتقام من الوادِعيين ،فأرسل إلى الوادِعيين

(١) أي المهاجرين مع الهادي وأنصاره.

الذين كانوا معه، فأخبرهم بالخبر، وأمرهم بالانصراف الى مواضعهم، وكان ذلك عملاً من ابن بِسطام، وجعل للوادِعيين في ذلك مالاً جزيلاً، وأراد فتنة هَمدان، ويشغل الهادي أعزه الله عن حرب بني الحارث، فبات الهادي أعزه الله تلك الليلة، فلما أصبح أمر العسكر مع أخيه عبد الله بن الحسين في طلب بني الحارث في المواضع التي كانوا فيها، وطلعوا عليهم جبلاً آخر يقال له فرع الدَعام، فوجدوهم قد ظعنوا من تلك الجبال، ولحقوا ببلاد زُبَيد، فانصرف إلى الهادي إلى الحق أعزه الله تعالى بجميع عسكره سالماً غانماً، حى صار إلى قرية الهَجر، وأقام أياماً .

ثم أرسل خادماً من خدمه يقال له أبو العشيرة في جماعة من خدمه، وجماعة من الشاكريين، فكمنوا في جبل يقال له دُخنة، مطل على سَوحان ، فوقعوا على جماعة من بني الحارث، فقتلوا منهم ثلاثة نفر، منهم أبو العُرَّام بن علي، لحقه رجل من شاكر، يقال له أبو المهَير فقتله، ورجلان من الحِماسيين يقال لهما حَوس وعامر، وأتوا برؤ وسهم الى الهادي إلى الحق، فلما وصلت بها، أمر بها فصُلبت على باب الدرب .

فلما رأى ذلك ابن بسطام، خاف الهلاك على بني الحارث، وعلم ان الهادي لا يدع طلبها في السهل، ولا في الجبل، أرسل إلى من كان بالقرب منه من بني الحارث، فصاروا إلى مِيناس، وأرسل إلى ابن حُميد، فأمره بالتغيب، وجعل يطرح أن ابن حميد يصرخ في الناس في أرض زُبيدَ ونَهد، وأرسل إلى الجوف منصور بن هشام الدُهلي، ويزيد بن الأسود الكعبي يصرخان بَمْذْحج ، وكان ذلك لعمري حقاً ، فلم يجبهم أحد من الناس، وأتى ابنُ حميد فنزل في صِرم لبني الحارث يقال له النَخل، وأتى ابنِ بسطام الى الهادي الى الحق فاستأمن لمن كان من بني الحارث في سِرّه ، فآمنهم الهادي إلى الحق على أن يؤدوا ما يجب لله تعالى من الصدقات عندهم، وأن لا يرد عليهم من استأمن من عبيدهم إليه، وأن يدخلوا فيما دخل فيه الناس وعلى أن لا يحدثوا حدثاً ولا

يكونوا مع محدث، فمن أحدث من بني الحارث كانت أيديهم عليهم واحدة، فقبلوا ذلك، فآمنهم ، وصرفهم إلى مواضعهم، وأمر محمد بن الحسن العلوي وعبد الله بن محمد السعدي في خيل ورجال إلى سرّ بني مازن لقبض ما يجب على بني الحارث من الصدقات، ثم قدم ابن بسطام بمن استأمن له من بني الحارث يطلبون من الهادي إلى الحق أعزه الله تعالى أن يطلق لهم عليّ بن الربيع المداني .

وأعلموه أن بني الحارث كانوا على أن يأخذوا محمد بن عبيد الله رهينة بعلي بن الربيع، فغضب الهادي إلى الحق أعـزه الله تعالى من ذلك غضباً شديداً، وكان عليّ بن ربيع قد قتل رجلاً هو وأخوه من الأحلاف، وكانوا قد سألوه ـ أولياء المقتول ـ أن يقتلوه بصاحبهم، فأمر به نفراً من خدمه، لما سمع من بني الحارث ما سمع، ولما كان علي بن الربيع قد استوجب في حكم الله، فأمرهم ان يخرجوا إلى صعدة، ويأتوا بعلي بن الربيع، فإذا صار في بعض الطريق أن يقتلوه، ففعلوا ذلك، ثم أعلم بني الحارث أنه قد قتل عليّ بن الربيع، فليأتوا بما عندهم، فقد حضر إليهم، فما أحبوا فليأتوا به من سمعهم وطاعتهم، أو حربهم أو سلمهم، فزادهم قتل علي بن الربيع خوفاً وفزعاً، وجعل ابن بِسطام يستأمن لبني الحارث ، قبيلة قبيلة، وضربهم الله بالذلة، وانتقم منهم بالهادي إلى الحق أيده الله تعالى، فقال أيده الله في ذلك شعراً .

فلما رأت يَأم والأحلاف اتحاف الهادي إلى الحق لابن بسطام، وتشفيعه في بني الحارث وقضاء حوائجه، ورفع منزلته عند الناس، أعظم ذلك عندهم، وعُلمت منزلته عند الناس، وقصدوه لحوائجهم لما رأوا من إيجاب الهادي أعزه الله تعالى، ودخل في نفوسهم ذلك، فأجمع رأي يَأم والأحلاف على قتله، ورصدوه، وجعلوا عليه العيون ، فلما كان يوم الأحد لسبع وعشرين من ذي

---

(١) في ص « فليأخذوا ما أحبوا » .

الحجة، أتى ابن بسطام إلى القرية في جماعة من بني ربيعة، فلما صار على باب الدرب صرفهم الى ميناس، ودخل القرية، فلما رأت ذلك العيون التي كانت لليأميين والأحلاف واعلمتهم بأن ابن بِسطام قد صار الى القرية، فأقبلوا طريقهم على مِيناس .

خبر اليأميين والاحلاف وقتلهم لابنِ بسطام

وطمعوا أن يلقوه في الطريق فيقتلوه، فلما لم يلقوه علم القوم أنه غادي في القرية، وانهم لا يقدرون عليه فيها خوفاً من الهادي إلى الحق أعزه الله تعالى، وكثرة من يكون على بابه من العسكر، فمضوا الى القرية، وطمعوا ان يغتروا ابن بِسطام في المنزل الذي كان ينزله في القرية، أو عند خروجه الى مِيناس، فلما دخلوا القرية وجدوا ابن بِسطام عند أبي محمد بن عبيد الله بن الحسين أعزه الله تعالى، ووجدوا باب الهادي الى الحق خالياً من الناس، ليس عليه إنسان واحد، وذلك أنه كان العسكر قد خرج لقطع نخل بعض من كان مع ابن حميد، وخرج محمد بن إبراهيم الوادعي أيضاً بباقي العسكر والنوبة التي تكون على باب الدرب، فوافقوا الباب خالياً، فخرج عند ذلك ابن بِسطام من عند عبد الله بن الحسين يريد إلى منزله الذي كان فيه، فلقيه القوم بين منزله وبين منزل أبي محمد، فلم يزالوا يضربونه بسيوفهم وهو يحضر منهم وهم في إثره، حتى دخل إلى دار أبي محمد فسقط في الدار ميتاً، وأخذ الناس سلاحهم، وخرجوا مغيرين إلى الهادي إلى الحق، وركب اليأميون والأحلاف دوابهم، وخرجوا من القرية هاربين على وجوههم، وخرج الهادي فوقف على رأس ابنِ بسطام وهو يلعن من قتله ، أو أمر بقتله .

فالتفت الهادي إلى عبد الله بن الحسين فسأله: كيف كان خبر القوم: قال: خرج ابنُ بسطام من عندي فلقيه اليأميون والأحلاف، فلم يزالوا يضربونه بسيوفهم وهو يحضر منهم حتى سقط حيث تراه، فنزلت فلقيني بعض القوم فرماني بسهمين وإذا بالسهمين في يده، ورماني بعضهم بحجر فأصاب بها

منكبي، وإذا أنا بأثر الحجر في منكبه، قد جرحه وشق ثوبه، وكان مع ابنِ بسطام غلام له يقال له جرير، فجعل يضرب الأحلاف من خلفه بسيفه، وهم مقبلون على مولاه يضربونه بسيوفهم، ويرمونه بنبلهم، ولا يبالون بضرب العبد لهم، فعلم العبد أنهم قاتلون مولاه، فركب فرس مولاه، وخرج مغيراً إلى مِيناس، وطمع أن يلقى بنو ربيعة يَأماً والأحلاف من الطريق، فيقعوا بهم، فحذرهم القوم، وأخذوا طريقاً غيرها .

وأمر الهادي إلى الحق أعزه الله الناس أن يجتمعوا اليه، وأرسل الى عسكره فحضروا اليه، وهمَّ بالمسير الى اليأميين والأحلاف في الطلب بثأر ابن بِسطام، والإنتقام ممن قتله من الأحلاف ويأم، فلما بان ذلك لليأميين أرسلوا إليه من ساعتهم يعرضون عليه احبسنا نناظر بني ربيعة، وكان ابنِ بسطام قد قتل من اليأميين والأحلاف ستة رجال منهم الربيع بن أبي رجاء، وعبد الله بـن ابراهيم، ومحمد بن عبد الكريم، وعبد الله بن الأسود، وعلي بن عمرو، وسليمان بنُ حميد الذُهلي، وقال اليأميون والأحلاف وجدنا عدونا فقتلناه كما قتلنا، فتناصف بيننا أيها الإمام، فمن كان له الفضل منا ومنهم فاعط الحق أهله، واجتمعت بنو الحارث بِميناس، والتقت إليها بنو الحارث الذين كانوا بالوادي وقالوا: هذا من عمل الهادي إلى الحق، في قتل ابنِ بسطام ، وهو يريد لزوم مِيناس، فأرسل الهادي إلى الناس كافة ، فلما حضروا أعلمهم بقصّة ابنِ بسطام ، وحلف لهم، وقال: لقد رُزيت به، وما كان عندي من قتله علم، فما نالني شيء قط هو اعظم من الموضع الذي قتل فيه، ولو اردت قتله، ما قتلته في منزلي، ولوجهت إليه، وامرته ان يأتيني في مائة من بني الحارث فأضرب أعناقهم جميعاً، فكان ذلك اشبه شيء بي، فصدقه الناس، وعلموا إنما قال الصواب، وان العدو لا يبقي في عدوه إلا ما اعجزه، وعلموا ما كان بينهم وبين الأحلاف واليأميين من العداوة والدماء المتقدمة .

ثم إن الهادي إلى الحق ارسل الى بني ربيعة يحلف لها ويعلمها بما

اصيب به في ابنِ بسطام، فاطمأنوا إلى ذلك، وأتاه بعضهم فسمع من كلامه وعذره وأيمانه ما طابت بذلك نفسه، فمضى الى اصحابه، فأعلمهم بذلك، وكان الذي أتى من بني ربيعة الى الهادي إلى الحق سليمان بن النجم، ويزيد بن علي بـن جُندُب، فلما بان ذلك لبني ربيعة اقبل منها نفر الى الهادي إلى الحق من بعد أن أخذ من اليأميين والأحلاف عشرة رجال .

خبر الحبساء من يأم والأحلاف في ابن بسطام

منهم عبد الله بن الربيع ، ومحمد بن الدُمية ، ويحيى بن أحمد ، ومُهلهل بن موفي ، وهيثم السُلَمـي وفضل بن قُرة الحلفي ، والوليد بن حُميد ، ويحيى بن عون ، وحواب بن علي ، وحِتر بن الجرير الهَبري[١] ، فطرحهم في الحبس والحديد، واستوثق منهم .

فلما رأت ذلك بنو ربيعة علموا أن الهادي أيده الله تعالى لا يقصر في أمر ابن بسطام فأتوه وسألوه أن يوصي لهم أبا جعفر محمد بن عبيد الله أعزه الله ، وأعلموه أنه لا أحد لهم بعد ابن بسطام غير الهادي إلى الحق أعزه الله تعالى ، فاعلمهم أنه لهم فوق ما يأملون ويرجون عنده ، ثم أرسل الهادي من ساعته إلى أبي جعفر محمد بن عبيد الله بمنزلة بني ربيعة عنده ، واستحلفه بالنصف لبني ربيعة على النصرة لها على من يظلمها ، والقيام بأمرها ، والعناية بها .

ثم عزم الهادي إلى الحق على الخروج إلى صَعدة ، وقد كان أبو جعفر محمد بن عبيد الله أتاه قبل أن يُقتل ابن بِسطام ، فسأله أن يعفيه من البلد فإن أهلها اهل سوءٍ ، وإنهم لا يزدادون إلا شرارة ولعنة ، فقال له الهادي إلى الحق : لا نحب ان نحمل عليك أمراً تكرهه ، فاستخر الله تعالى في امرك ، وانا ارجو ان لا تخالف ما امرناك به إن شاء الله تعالى ، فلما سمع ذلك من كلامه

---

(١) هبرة : بطن من يأم ، وقد تقدم .

قال : «جعلت فداك إني والله ما سألتك ما سألتك لخذلان مني لك ، ولا لترك النصرة لك والقيام معك ، ولقد وهبت نفسي لله ولك يوم بايعتك واخذت على نفسي ان لا أرجع عن امر تأمرني به ولو كانت فيه هلكتي ، وعلى ذلك بايعتك ، غير ان معي حرمة وصبيان قد اثقلوا ظهري ، وتبل لهم ليلي ونهاري فإن رأيت أن تصيرهم عندك بصَعدة ، وتجعلهم بالحصن عند هَمدان ، حيث آمن عليهم ، واقيم انا مع بني الحارث اساقيهم كأس المنية ، حتى يحكم الله بيني وبينهم وهو خير الحاكمين»[1] فافعل ، إلا أن ترى رأياً غير ذلك فاتبعه ، فأجابه إلى أن يصير عياله بالحصن ، ويكون هو وابنه علي بن محمد يختلفان فيما بين الهَجر والحصين ، فلما كان من قتل بِسطام ما كان ، ارسل الهادي إلى الحق إلى محمد بن عبيد الله فأعلمه أن مصير عياله إلى الحِصن مما يوهن امره ، ويطمع عدوه فيه ، وامره ان يتركهم في الدار التي كانوا فيها ، وقال له : إن بني الحارث إن أرادت الحدث عليك ، فإنما يقصدون إليك إلى هذه الديار ، يعني الدار التي كان فيها الهادي .

استفحال الفتن بين بني الحارث وانصار الامام الهادي

خرج الهادي من نجران إلى صعدة لخمسٍ داخلة من ذي الحجة سنة خمس وتسعين ومائتين ، ونزل محمد بن عبيد الله ـ عامل الهادي على نجران ـ في قرية نجران ، وترك معه من العسكر ثلاثة وعشرين فارساً وخمسة وخمسين راجلاً . وأقام في القرية حتى عيَّد الناس عيد الأضحى ، ثم إذا برجل يقال له الكمي بن أبي ذراع الأوتري ، قد أرسله ابن حُميد من الموضع الذي كان فيه ، ويقال له النخل على مسيرة ثلاثة أيام من نجران ، فأرسله إلى بني الحارث يشاورهم في الحدث ، وينظر ما عندهم ، ولقي بني الحارث وأعلمهم بما أرسل به إليهم ، فأجابوه إلى ما طلب ، ووجدهم في طلب الحدث أشد من ابن

---

(١) وهكذا قضى الإمام الهادي دون أن يخضد شوكة بني الحارث ، غير أنه من الواضح أن أئمة الزيدية ظلوا يكيلون لها الضربات حتى محوا اسمها كقبيلة قائمة بذاتها .

حميد ، فرجع إليه ، فأعلمه بما وجد عليه بني الحارث ، فسار من ساعته إلى نَجران ، فنزل بموضع يقال له سَوحان في عشرين فارساً وخمسين راجلاً ، فلما وصل خبره إلى محمد بن عبيد الله وجه إلى محمد بن الهَيْثم وأحمد بن الأربد ، فشاورهما في ابن حُميد ، ونظر ما عندهما ، فقالا له : وجه معنا رجلاً من أصحابك نجمع إليه بني عمرو ، وبني بشر ، ونقاتل هذا الرجل ، فوجه معهما عبد الله بن منير المَزوي ، وأمره أن ينزل في سِرّ بني مازن ، ففعل ذلك ، وكان هذان الرجلان ممن يبديان النصيحة والمودة في ذلك الوقت، ثم أرسل محمد بن عبيد الله إلى بني عبد المَدان ، فأعلمهما بمقدم ابن حُميد إلى البلد ، وما أجمع عليه هو وبني الحارث وشاورهم في أمره ، وقد كان الهادي إلى الحق قبل خروجه إلى صَعدة جمع بني عبد المَدان وأعلمهم بقيام أبي جعفر بأمورهم ، وإحسانه إليهم ، وأنه قد خلفه عندهم وعهد إليهم : لأن أحدثتم حدثاً ، أو طاوعتم مُحدثاً ، أو عسكر في قريتكم أحدٌ ، لأستحلنها ، إذاً جعلتموها دار حرب ، فحلفوا له على ذلك ، وأعلموه أنه لا يحدث أحد من بني الحارث إذا لم يدخل معهم بنوعبد المَدان ، فقال لهم محمد بن عبيد الله : قد علمتم ما عهد إليكم الهادي أيده الله تعالى ،وما أعطيتموه من أنفسكم،فإن كنتم قوماً تتمون على ذلك،وتجمعون على حرب هذا الرجل فذلك،وإن كنتم تقولون نحن معك ، وتعطون من أنفسكم القيام معي ، فإذا التحم الحرب بيني وبين هذا الرجل عدوي ، قلتم إنا نخاف الهلكة عليك وعلينا ، فاخرج من قريتنا، فإن سلامتنا في سلامتك ، كما كنتم تقولون قبل هذا اليوم ، فكان من ردهم : إن فتنة بني الحارث أهون علينا من فتنة الهادي إلى الحق ، فحلفوا له لتكونن نفوسنا قبل نفسك وحرمنا دون حرمك ، فإذا حضر الحرب ، فاتفق أنت وخدمك حتى ترى مقامنا ويبين لك قتالنا ، وإن قتلنا من قبلك فأنت عند ذلك أولى بنفسك ، فقبل ذلك منهم، وحلف لهم : أن لا أبرح من القرية ، او اقتل فيها ، فلا تطمعوا انفسكم في خروجي كما كنت افعل اولاً برأيكم ، وإجماعكم علي بالخروج من القرية ، ثم قالوا له : اعزك الله ، إن رأيت أن

توجه أولادك إلى هَمدَان ، فيكونون فيها ، فإن كثرتنا بنو الحارث غار بعضهم على مِيناس فِي شاكر ووادِعة ، ويغير بعضهم بيَام والأحلاف على سَوحان ، فأمر ببنيه علياً والقاسم وجعفر بالمصير إلى الحصن فكرهوا ذلك عليه ، وسألوه أن يخرج معهم ، فإنهم لا يثقون ببني عبد المَدَان عليه ولا عليهم ، فقال : يا بني إني قد أخذت على القوم عهوداً وأرجو أن لا يغدروا بي ، ولكن أمضوا حيث آمركم ، فإني غير بارح من القرية ، وحلف في ذلك يميناً ، أو أقتل بني الحارث حياً أو ميتاً ، قالوا له : كيف ذلك ؟ قال : إن قاتلوني وقاتلت معي بنو عبد المَدَان ، رجوت أن أمسك البلد ، ويأتي الهادي إلى الحق أعزه الله فأقتلهم به أو يقتلوني فيأتي الهادي ، فيقتلهم بي ، وأكون سبباً لقتلتهم التي كان توعدهم بها، فقالوا له : فإنا لا نبرحك ، ونحن نواسيك بأنفسنا ، فقال : إن أصلح الأمور بنا أن تكونوا في الحصن ، وتفرجوا عنا بها ، إن القوم حاصرونا على القرية ، فخرج علي بن محمد وأخوته إلى الحصن ولما صار عبد الله بن منير المَزوي إلى سِر بني مازن ، أرسل ابن حميد إليه ، ولقيه وكلمه أن يطلب له الأمان من محمد بن عبيد الله ، وكلم معه محمد بن الهَيثم ، ومحمد بن الأربَد ، فصاروا إلى محمد بن عبيد الله ، فسألوه لابن حُميد الأمان فآمنه على لزوم منزله وأراد ابن حُميد بذلك أن يغتر أبا جعفر ، ويفرق عنه من اجتمع إليه ، فلما صار ابن حُميد إلى منزله إنصرف عبد الله المزوي إلى القرية عندما كان من استئمان ابن حُميد ما كان ، فأقام ابن حُميد أياماً ، ثم أرسل إلى محمد بن عبيد الله أن يؤمن له أصحابه ؛ فأمنهم إلا منصور بن هشام ، ويزيد بن الأسود ، وأبو النضر بن الربيع المَداني فأعلمه أنه لا أمان عنده لهؤلاء أبداً ، فقبل ذلك ابن حُميد ، ثم إن علياً والقاسم لما وصل بهما خبر ابن حُميد واستئمانه ، ومصيره إلى منزله ، صارا إلى القرية بغير علم أبيهما محمد بن عبيد الله ، وظنا أن الأمور قد صلحت ، فلما وصلا خاصمهما في مصيرهما اليه بغير اذنه ، وأمرهما بالرجوع الى موضعهما، ففعلا ذلك ، وقد كان محمد بن عبيد الله كتب الى الهادي الى الحق يسأله المدد ، عندما صار ابن حُميد الى نَجران ، وقال لهما :

قد علمتم ما كتبنا به إلى الهادي أعزه الله تعالى ، وما شرحنا له من أخبار البلد ، وما سألناه من المدد[1] ، ولا شك الا انه سيأتينا منه عسكر فيكون معكما بالحصن حتى تنظر ما تؤول اليه الأمور.

ثم إن انزال العسكر الذين مع محمد بن عبيد الله حضرت ، وجاءوا يطلبونها منه « فأرسل إلى الحسن بن أحمد البَعداني ، وكان والياً على الجباية بنَجران والإنفاق على العسكر ، فشاوره في أمر نفقات العسكر ، فرد عليه الحسن بن أحمد ، أنه ما عاد يحصل في أيدينا من الجباية شيء في أيامنا هذه ، وعلى بني الحارث بقايا مصالحة ، فترسل إليهم فتقبض منهم ما يجب عليهم وتدفعه إلى الجند والأعراب ، وكانت هذه المخاطبة بحضرة العسكر ، فسأل العسكر أن يرفع لهم على من عليه لهم بقية ، فرفع لهم فلما وصل من وقع لهم منهم إلى بني الحارث ، وكانوا ثلاثة فرسان وخمسة عشر راجلاً ، لقيهم ابن حُميد ومعه نفر من أصحابه .

خبر قتل ابن حميد لأصحاب أبي جعفر

فاغتنموا انفرادهم وقلتهم ، فوقع بهم ابن حُميد وأصحابه ، فقتلوا منهم تسعة نفر من الرَجالة منهم من هَمدان علي بن العَفش، وعمر بن اسحق، وابراهيم ابن الصَنعاني ، وأبو جعفر الصَنعاني ، وعمر بن المازني ، وحفص ابن مولى الحِرابي، وأحمد بن حَربي الصنعاني ، وأخذوا الأفراس الثلاثة، وسلبوا أصحابها ، وأصابوا رجلاً منهم بجراح كثيرة يقال له صالح بن أبي الطَيّب ، وأفلت باقيهم ، وأقبل ابن حميد وجميع من كان معه يركضون خيلهم حتى دخلوا القرية مِيناس ، فأعلموا بني ربيعة بما كان منهم من الحـدث، وسألوهم القيام معهم ، فأجابوهم إلى ذلك ، وأمروا ابن حُميد أن يعسكر بقرية يقال لها المِكراب مقابلة لقرية نَجران ، وهي أقرب المواضع إليها ، وأعلموه أن بني

(١) في الأصل « لم » والتقويم من ص .

الحارث لا تمسي حتى تجتمع إليه ، ففعل ذلك ، وأتى الخبر إلى محمد بن عبيد الله فأرسل الى رجال من بني عبد المَدان ، فأعلمهم بما كان من أمر القوم، وانهم قد عسكروا على باب الدرب في حربه، وسألهم الحملة على ابن حُميد وعلى من كان معه قبل أن يلتف إليه بنو الحارث ، فكرهوا ذلك ، وقالوا : ليس نرى أن نخرج من قريتنا ، ولا أحد من رجالنا ، وكان ذلك عملاً بينهم ، فقال لهم : فما الرأي عندكم ؟ قالوا : نرى أن تأمر بإغلاق الدرب حتى ننظر ما نعزم عليه ، ونحن نجمع الموالي على باب الدار ، وأمر عشيرتك بالحضور بالسلاح ، فإن يكن رأي بني الحارث حربك ، رجونا أن لا يستقلوا من قريتنا شيئاً إلى أن تجيئك مادة من عند الهادي إلى الحق أيده الله تعالى ، وكان من جوابهم : والله أعز الله الأمير لو أن بني الحارث وهَمَدان اجتمعت ما خشينا أن ينالوا قريتنا ، ولم ينالوها قط ، فقد طلبوها غير مرة ، فلم ينجحوا فيها شيئاً ، ولا ينالوها إلا أن يخل بعضنا فيدخلهم علينا وعليك ، وما نعلم أن بني عبد المَدان أجمع رأيها معكم قط مثل إجماعهم معك في يومنا هذا ، فثق بذلك من أوليائك ، وبالله الثقة وله الحول والقوة ، فقبل منهم ما أعطوه من أنفسهم ، وبذلوا له من نصرهم وقيامهم معه ، وكتب من ساعته إلى ابنيه يعلمهما بالخبر ، ويأمرهما أن يكتبا إلى الهادي إلى الحق بما فعلت بنو الحارث ، وأن يستعجلاه بالمدد ، وكان ذلك في يوم الثلاثاء لعشر باقية من ذي الحجة ، وأمرهما أن يغير أحدهما بيَام والأحلاف على سَوحان قرية بني الحماس ، وكانوا من أحرص الناس على الحدث .

وأقبلت بنو الحارث إلى ابن حميد من آخر ساحتها ، فسار بها إلى القرية فوقع القتال على باب الدرب ، فلم يزل القتال حتى غابت الشمس ، ثم انصرف ابن حُميد إلى معسكره، وأمر بسرية تدور بالقرية لا يدخلها أحد ، ولا يخرج منها أحد، فلما أصبح خرج القاسم يوم الأربعاء إلى اليأميين والأحلاف فسألهم الغارة على قرية بني الحماس ، وفكرهوا ذلك عليه ، وقالوا له إن أحببت أن نغير معك على بني ربيعة فعلنا ذلك ، فأعلمهم أنه لا حاجة له إلى بني ربيعة ، لقدر ما كان

من استحلاف الهادي إلى الحق أيده الله لنا على النصر لها ، والذب عنها ، وهي فلم يكن بعد منها حدث ، فلم يطاوعوه في الغارة على سَوحان ، فأرسل علي بن محمد بن عبيد الله إلى وادِعة يطلب منها النصرة ، فلم تجبه إلى ذلك ، وأعتلت بما بينها وبين يَأم من الفتنة ، فلما رأى ذلك وخذلان هَمدان له غير شاكر وثقيف ، أرسل أخاه القاسم بن محمد الى الهادي إلى الحق يخبره بخذلان هَمدان له ، ويسأله تعجيل المادة ، وكتب إلى أبيه يعلمه بما بان له من هَمدان ويسأله أن يخرج من القرية ، فرد عليه أن قد فهمت كتابك يا بني ، وما ذكرت من أمور هَمدان وخذلانها لك ، والله خير ناصر فلا تهتم بأمورنا ، فنحن نرجو النصر من عند الله تعالى ، والأستمساك في موضعنا الى ورود المادة علينا ، فلما كان يوم الأربعاء سار ابن حُميد بجميع بني الحارث حتى التحم القتال على باب الدرب ، فاقتتلوا ساعة من النهار، ووقعت بين الناس جراحات ، وهدموا جانب القرية ، فتحول الناس والقتال الى الجانب الذي هدم ، فكان عليه قتال شديد ، وكان ممن أبلى عليه واجتهد فيه أحمد بن عبد الله ، الذي أخذ رجال بني عامر من قريش ، فلم يزل القتال حتى كان غروب الشمس .

حدثني الحسين بن أحمد البَعداني ، وعبد الله بن منير المزوي قالا : لقد رأينا السيوف تختلف بيننا وبينهم حتى انهدم الجدر من سيوفنا وسيوفهم ، وكانوا قد طمعوا بالدخول ، حتى قدم أبو جعفر في جماعة من خدمه ، قالا : فلما رأيناه حملنا على القوم ، فطردناهم من الجدار الذي هدموها ، وصاروا مقابلين لباب الدرب حيث كان القتال في أول النهار ، فترامينا نحن وهم ساعة ، ثم انصرفوا إلى معسكرهم ، ولم نبرح حتى بنينا ما هدموا .

قال : وأرسل ابن حُميد من ساعته إلى بني ربيعة يأمرهم بالمصير إليه ، وأعلمهم أنه لا يدرك ما أمل إلا بحضورهم ودخولهم فيما دخلت فيه بنو الحارث ، وأن بني عبد المدَان لم يمنعهم أن يشهدوا إلا تخلف بني ربيعة فيما دخلنا فيه ، فحضروا إليه ليلة الجمعة ، وكان في القرية مع محمد بن عبيد الله ،

نفر من بني الحارث ، من بني بِشر ، وبني عمرو ، فأرسل إليهم ابن حُميد وأعلمهم بما اجتمعت عليه عشائرهم ، فأجابوه إلى ما سألهم . ولقيهم أيضاً بنو عبد المدان في الليل ، وأجمعوا رأيهم على أن يكن في جانب من القرية .

وكتب محمد بن عبيد الله إلى ابنه علي بن محمد بما كان من إبلاء بني الحارث يوم الأربعاء ، ويأمره بالغارة على سَوحان ، فكتب إليه يعلمه بخذلان هَمدان له ، وبما قد أجمعت عليه بنو ربيعة ، ويعلمه أن القوم واقعون به وبمن معه ، فأخرج طريق دار على بلاد شاكر ، فإن الناس كلهم متربصون بك ، وليس معك ومعنا إلا أهل الحِصن ، فكتب إليه : أما بعد ، فقد وصل كتابك يا بني ، وفهمت ما ذكرت من خذلان هَمدان لك وأنه ليس معك أحد إلا أهل الحصن ، فأحسن الله جزاءهم وكافأهم عنه بالجنة ، وفهمت ما ذكرت بما صح عندك من دخول بني عبد المدان وبني ربيعة مع بني الحارث ، واعلم يا بني إنا لم نَقُم فيما قمنا فيه إلا طاعة لله ، ورغبة في ثوابه ، وخوفاً لعقابه «يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم »[1] ، وليس نحب أن نصبر إذا كنا في الرخاء ونجزع إذا كنا في البلاء ، ولا نكون ممن ذمّه الله تعالى في كتابه فقال : « ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وان أصابه فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين »[2] . فانظر يا بني أحاطك الله تعالى ألا تعيد إليّ في المخرج كتاباً ، فلا أرد له جواباً .

فاجتمعت بنو الحارث ليلة الجمعة في معسكرها فتشاورت فَسَدَّ رأيهم في أن يخرجوا من كل بطن منهم عشرين رجلاً ، ويكونون كميناً في جانب القرية ، ففعلوا ذلك .

قال علي بن محمد : حدثني عاقل بن عبيد الله قال : أتيت إلى أبي جعفر

---

(١) سورة الشعراء ٨٩ .

(٢) سورة الحج ١١ .

فقلت له : إن القوم قد أجمعوا عليك ، فالله الله في نفسك ، فإن الفضيحة أهون من الهلكة ، فقال لي : الفضيحة بالله وبالهادي ، فلست ببارح أو أرى من القوم الإجماع كلهم ، فأرجو أن ينصر الله عليهم ، فأما ما دمت أجد لي من القوم ناصراً، ولا يحتجون عليّ غداً بأني خرجت من عندهم وهم لي طاعة ، فإن اجمعوا عليّ كلهم رجوت الله أن ينصرني عليهم .

يوم كيوم كربلاء

ويورد لنا صاحب سيرة الإمام الهادي وقعـة مهولة بين عامل الهادي على (الهـجر) قاعدة نجران آنذاك وبين بني الحارث بن كعب فيقول[1] :

خبر إجماع بني الحارث ودخولهم القرية
وقتلهم لأبي جعفر العلوي ولمن كان معه
رحمهم الله تعالى

قال : فلما كان صلاة الصبح خرج ابن حُميد بجميع من تخلف معه من بني الحارث إلى باب الدرب ، قال : وأتى عاقل بن عبيد الله ، وعبد الله بن عيسى ، ومعهما جماعة من أهل نَجران إلى أبي جعفر محمد بن عبيد الله ، فأشاروا عليه بالخروج فكره ذلك ، فبيناهم في ذلك إذ قدم عليّ بن إبراهيم المداني ، فذكر أن على باب الدرب إبراهيم الجَعدي ، ومحمد بن اللحاظ المحجل ، ومعهما نفر من بني الحارث يريدون الوصول بمحمد بن عبيد الله ، فأرسل محمد بن الحسن العلوي ، فأمره أن يُقْدِمهما ولا يدخل معهما غيرهما ، فدخلا وكانا قبل دخولهما قد قالا لابن حُميد : اصرف عسكرك إلى موضعه ، فإنك إذا فعلت ذلك لم يبق من عسكر القوم أحد إلا انصرف ، وعطل المقاتل، فكان كذلك ، فلما دخلا من باب الدرب قالا للناس : إنا جئنا في الصلح والعافية ، فرحم الله إنساناً لم يتكلم بما لا يحتاج إليه ، فلما دخلا سلما عليه ، وقالا : إن لنا إليك حاجة نحب أن نلقيها إليك في خلوة ، فقال لهما تكلما بما

---

(١) سيرة الامام الهادي ص ٣٧٠ - ٣٨٠ .

أحببتما ، وأمر الناس أن يخلوا ، ففعلوا . فقعدوا عنده طويلاً ، وإنما أرادا بذلك افتراق الناس من مواضعهم لئن يدخل كمين بني الحارث والناس في غفلة ، وعلى غير عُدّة مما كان مع محمد بن عبيد الله ، وجعلت بنو عبد المدان يأمرون مواليهم بالإنصراف من موضع المقاتلات ، ثم قالا : إنا نحب مشاورة بني عبد المدان ومن كان ها هنا من رجال بني الحارث ، فرد عليهما محمد بن عبيد الله : افعلا ما أحببتما ، فخليا بجميع بني عبد المدان وبين الحارث ، فَهُم على ذلك لا يعلم محمد بن عبيد الله ولا أصحابه ما هم فيه ، حتى دخل رجل من الربيعيين يقال له طناف على فرس يركضها من الموضع الذي دخل منه الكمين ، فلم يسلم على محمد بن عبيد الله ، ودعا إبراهيم الجعدي ، ومحمد بن اللحاظ ، فركبا فرسيهما ، ولم يقفا حتى خرجا ، فما خرجا حَسباً حتى قدم رجل ممن كان على المحارس وهو يحضر ، فقال : إن بني الحارث قد فرضوا السور من عند دار عليّ بن ربيع ، ودخلوا القرية ، وإن من كان معكم من بني عبد المدان وبني الحارث قد لقوهم وأدخلوهم ، فأمر عند ذلك أبو جعفر رجلاً من خدمه أن صح ببني عبد المدَان والموالي أن يأتوا إلينا ، فما جاءه منهم رجل واحد ، وانقلبوا مع القوم ، واجتمع إلى محمد بن عبيد الله أصحابه الفرسان والرجّالة ، فلما لم يجبه أحد من المدانيين ولا من مواليهم ، علم أنهم قد غدروا به ، وادخلوا عليه عدوه ، فقال في ذلك شعراً :

غدرتم يا بني عبد المدَان — وكان الغدر من شيم الجبان
حلفتم لي بأيمانٍ غلاظٍ — تخر لها الصخور من القِنان
بأنكمُ على نصري حراصٌ — غداة الروع في وهجِ الطعان
فلم توفوا بعهدكُم وكنتم — شراراً يا بني عبد المدَان

ثم التفت إلى أصحابه فقال : لا تهنوا يا أحبائي ، ولا تجزعوا لقلتكم وكثرة عدوكم ، وموتوا كراماً على دينكم ، فقد حمد الله القليل ، وذم الكثير في كتابه ، فقالوا له : والله يا سيدنا إنا لنعلم أننا على الحق وهم على الباطل ، وما

يغمنا إلا أن يستمكنوا منك ، ولوددنا أن الله يُسلمك بذهابنا جميعاً ، فاقصد ما أحببت ، واعمل ما شئت ، فأنفسنا دون نفسك ، ودماؤ نا دون دمك ، ولتجدنا صابرين في جميع حالاتنا موفين لله تعالى ، ولك بعهدنا ، فقال لهم : أوفى الله أمانتكم وأحسن جزاكم ، فأنتم على أفضل مما ذكرتم ، وكان ذلك على باب داره من خارج ، وأصحابه ملتفون به ، إذ أقبلت بنو الحارث لعنهم الله قاصدين إليه إلى داره ، وأقبل ابن حُميد بمن كان معه فأحاطوا بالقرية ، فلما رأى ذلك محمد بن عبيد الله قام من مجلسه وأخذ سيفه ودرقته وشد عليه جوشنه ، وصاح بأصحابه الجلاد يا أحبائي دون أنفسكم .

قال الحسن بن احمد البَعداني وعبد الله بن منير المَزوي : لما رأينا القوم قد أقبلوا قلنا لأبي جعفر : إن القوم قد غشيوك، ولا طاقة لك بهم ، فالله الله في نفسك ، اركب فرسك وقاتل على دابتك ، فقال لهما : ليس هذا وقت ركوب ولكن ابرزوا معنا نجالد القوم عن أنفسنا وحرمنا حتى يحكم الله بيننا وبينهم « وهو خير الحاكمين » فقالا : والله لقد تداخل الناس من الخوف بعض ما يدخل حتى تبين ذلك في وجوههم ، وتغيرت لذلك ألوانهم ، ولقد داخلنا بعض ما يدخل الناس ، ولقد رأينا به سروراً بيناً وابتهاجاً واضحاً عندما نزل ، وإنه ليضحك إلينا ، ويطيب نفوسنا ، كأنا نحن الظافرون بعدونا وكانت أنفسنا لا تطاوعنا إلى ما طاوعته إليه نفسه ، وكرهنا نحن النزول عن دوابنا ، ورغبنا بالقتال عليها ، وكان أبو جعفر قد صير حرمه في الدار التي كان فيها الهادي إلى الحق صلوات الله عليه ، عندما استأمن ابن حُميد .

قال الحسن بن أحمد البَعداني : فأرسلت إلى حرمي لأصيرها مع حرمة أبي جعفر ، فأرهقنا القوم ، قال : فحملت أنا وعبد الله المَزوي على القوم فكشفناهم وعدنا إلى باب الدار، فكثرتنا القوم وحالوا بيننا وبين أصحابنا، ثم إن أبا جعفر دخل بمن بقي معه من أصحابه الدار ، وأغلقوا عليهم الباب ، قالا :

فكان آخر عهدنا به قبل إغلاق الباب مشمراً أطراف جوشنه في منطقته وفي يده سيفه ودرقته .

ثم أن بني الحارث أحاطوا بالدار ، وكان ممن دخل مع أبي جعفر الدار عبد للجعدي إبراهيم ، فلما رأى بني الحارث فتح لهم فدخلوا الدار ، وتحصن أبو جعفر بمن معه في علو الدار ، ورقأت بنو الحارث الدرجة فتلقاها محمد بن الحسين العباسي - من ولد العباس بن عبد المطلب - فلم يزل يقاتل على الدرجة حتى قتل رحمة الله عليه ، ثم قام مقامه رجل من الهَمَدانيين يقال له أحمد بن المُنتشر فقاتل حتى قتل رحمة الله عليه ، وطلعت بنو الحارث من جوانب الدار كلها ، وأتوا بالسلالم فطلعوا عليها فوق السطوح ، وهدموا جوانب الحجرات ، حتى صار أبو جعفر وأصحابه إلى رُوَاق قدام البيت الذي فيه الحرمة ، فجعلت بنو الحارث ترميهم بالنبل والحجارة ، وكان بينهم قتال شديد أشد ما يكون ، حتى كثرت فيهم الجراحات ، ولم يسترهم من النبل جدار ، وغشيهم بنو الحارث ، فدخلوا البيت الذي فيه الحرمة خوفاً أن يدخلوها من خلفها وهم لا يعلمون ، فلما دخلوا البيت ونظروا إلى حرم آل رسول الله وما قد نزل بهم من عدوهم ، قال لهم أبو جعفر، موتوا قبل أن يُوصل إلى واحدة منهن يكن لكم فخر الدنيا وثواب الآخرة فأجمعوا على ذلك .

ثم خرج محمد بن عبيد الله العامري أحد بني ذئب ، فلم يزل يقاتل مُقبلاً ومدبراً حتى قتل رحمة الله عليه ، ثم خرج من بعده جعفر بن أحمد البَعداني وحمل عليهم ، فكثروه بالنبل والحجارة ، واقتطعوه دون أصحابه فقتل رحمة الله عليه والذي قتله منصور بن هشام الدُهمي ، ثم خرج عباس بن عبد الله البَعداني ، فلم يزل يقاتل مدبراً ومقبلاً حتى قتل رحمة الله عليه ، ثم خرج يوسف بن يعقوب الهَمداني ، فلم يزل يقاتل مقبلاً ومدبراً حتى ضرب ضربة فخرجت منها أحشاؤه ، ثم رجع إلى أصحابه فقال بابي وأمي قاتلوا عن الأخيار حُرم رسول الله الأطهار ، ثم التفت إلى بني الحارث فقال لهم يا معشر بني

الحارث إن الرجال تَقتُل وتُقتَل ، ولكن اخلفونا في حرم رسول الله بما يشبه أن يكون لمثلكم ، ويبرز لكل رجل منا رجلان منكم ، وشد على بطنه بعمامته ، وخرج على القوم فلم يزل يضرب مقبلاً ومدبراً حتى قتل رحمة الله عليه ، ثم خرج أحمد بن الهَيثَم وصاح بأخيه الحسن بن الهَيثم ، فتبعه أخوه الحسن بن الهَيثم فحملا على القوم ، وكل واحد منهما قريب من اخيه ، فلم يزالا يقاتلان حتى قتلا رحمهما الله تعالى ، ثم خرج من بعدهما أحمد بـن عبد الله العامري والقُرَشي ، فحمل على القوم فلم يزل يضرب مقبلاً ومدبراً حتى كشفهم عن الموضع الذي كانوا فيه ، ثم رجع إلى أصحابه وقد كثرت فيه الجراحات ، فلما رأت ذلك بنو الحارث ، تذامروا بهم وإزدادوا كَلَباً عليهم ، فأمروا بالبيت الذي كان تحتهم فأحرق بالنار ، وأمروا بالسقف الذي كان فوقهم فهدم من ناحية ، وأحرق من أخرى ، وجعلوا يرمونهم من فوقهم بالنبل ويطرحون عليهم الصخر ويرمونهم بالنار، ونقبوا عليهم البيت الذي كانوا فيه من جوانبه ، فخرج عند ذلك أحمد بن عبد الله ، فلم يزل يقاتل يضرب بسيفه قدماً حتى استشهد رحمة الله عليه ، وقد شكوه بالنبل ، فصار كالقنفذ ، ثم برز إليهم إبراهيم بن سليمان خال محمد بن عبيد الله ، فلم يزل يضرب حتى كثر فيه الجراح ، وأبعد القوم من باب البيت ، ثم رجع إلى أصحابه فتلقاه محمد بن عبيد الله فقال له : ابشر بالجنة إن شاء الله تعالى ، فنحن لك لاحقون ، فقضى من ساعته رحمة الله عليه ، ثم خرج إليهم أحمد بن زكريا التِباعي رجل من هَمدان فلم يزل يضرب قدماً حتى قتل رحمه الله ، ثم برز إليهم ميمون بن محمد المداني ، فلم يزل يحمل عليهم قدماً ويضرب ويهدر كما يهدر الجمل حتى استشهد رحمة الله عليه[١]، ثم خرج إليهم إسحاق بن إبراهيم الحُمدي فقاتل حتى قتل رحمة الله عليه ، ثم خرج إليهم رجل من خَولان يقال له إبراهيم بـن محمد التَباشعي ، وقد كان رمى نبله حتى نَفَدَت ، ثم انتضى سيفه فقاتل حتى قتل رحمة الله عليه ، ثم

---

(١) هذا يعني أن بني عبد المدان لا زالت منهم بقية موالية للإمام .

خرج إليهم يوسف بن يعقوب البَعداني ، فرمى رجلاً منهم بسنانه فقتله ، ثم استشهد رحمة الله عليه ، ثم خرج إليهم أحمد بن عبد الله الحشعني[1] الخولاني ، فقاتل قتالاً شديداً حتى قتل رحمة الله عليه .

ثم اشتد بمحمد بن عبيد الله وبأصحابه البلاء ، وكثر بهم الأعداء ، فنظر بعضهم إلى بعض وتذامروا ، وقالوا لا حياة لنا بعد أصحابنا ، وإنما كانت هجرتنا من بلداننا وتركنا أموالنا وأوطاننا طلباً لمثل هذا اليوم ، فقد أدركنا أُمنيتنا إذ صارت دماؤ نا تُسفك دون آل رسول الله ﷺ ، ثم التفتوا بأجمعهم الى محمد بن عبيد الله فقالوا له : يا سيدنا هل أدينا ما يجب لله ولك علينا ؟ فقال : نعم جزاكم الله من أصحاب خيراً ، فلم أر أوفى منكم عهداً ، ولا حرمة وَوُدّ أ، فقالوا له : نحن نقيك بأنفسنا ، ونستودعك الله وهو خليفتنا عليك ، ثم خرجوا خرجة رجل واحد فتقنعوا درقهم ، فلم يزالوا يقاتلون حتى قُتلوا جميعاً رحمهم الله تعالى ، فلما رأى محمد بن عبيد الله ذلك ، خرج الى القوم ، ثم حمل على رجل منهم من بني بِشر يقال له أحمد بن الأحقد فضربه محمد بن عبيد الله ضربة قطع إبهام يده ، وولى صاعداً هارباً ، فلما رأت ذلك بنو الحارث حملت عليه حملة رجل واحد ، فأصابوه بنبل كثيرة في وجهه ، وضرب بالسيوف حتى تقطعت درقته ، ثم رجع إلى الحرم فطلب منهم الماء ، فقامت إليه جارية له بقدح فيه ماء فهوى به إلى فمه ، فقطر فيه الدم من وجهه ، فرده ولم يشرب منه شيئاً ، وأقبلت بنو الحارث حتى وقفت عليً باب البيت ، فبرز إليهم ، ثم حمل عليهم ، ولم يزل يضربهم بسيفه حتى أبعدهم من الموضع الذي كانوا فيه ، ثم رجع الى البيت ، فرجعوا اليه ، فحال بينهم وبين دخول البيت ، فناداه رجل من بني الحارث يقال له الحارث بن الحارث الحِماسي ، فقال له : يا أبا جعفر أخرج إلينا ولك الأمان ، أمان الله وأمان رسوله ، قال : وهل ذلك فيكم ؟ قالوا : نعم ، قال : لا والله لا كان ذلك أبداً ، ولا مضيت إلا على ما مضت

---

(١) لعله : الخُثيمي ، من بني خُثيم ، وقد مر ذكرهم .

عليه آبائي الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين ، وخرج عليهم فتغاور عليه القوم وتحاوشوه من كل جانب، فضربه الحارث بن الحارث الحِماسي ضربة في وجهه ، وضربه محمد بن عبيد الله ضربة على عاتقه ، وطردهم من الموضع الذي كانوا فيه ، ثم رجع الى موضعه ، ثم اجتمعت بنو الحارث لعنهم الله تعالى ، وتلاومت فيما بينها ، وحرّض بعضهم بعضاً ، وقالوا : ويلكم يا بني الحارث ، رجل واحد قد أشجاكم ، وبلغ مكروهَكم وقتل رجالكم ، اجمعوا عليه ، ثم احملوا عليه حملة رجل واحد ، ففعلوا ، فلقيهم دون البيت ، ثم حمل عليهم ، وحملوا عليه ، فوقع في أوساطهم ، وأقبلوا عليه يضربونه بسيوفهم ويرمونه بالنبل والحجارة حتى أكثروا فيه الجراحات ، فلم يزل يقاتلهم حتى أبعدهم من الموضع الذي كانوا فيه ، وأصاب رجلاً يقال له سُليمان الآبري فطعنه طعنة في بطنه ، ووقع مغشياً عليه ، وتغاورت بنو الحارث على صاحبهم ، (ورجع محمد بن عبيد الله الى موضعه) فاختبأ له رجل منهم من خلف الباب من خارج، يقال له جَبر بن جابر المُحجُلي فضربه ضربةً على عضده أوهن منها يده اليُمنى ، فرجع محمد بن عبيد الله الى موضعه ، وصاحت بنو الحارث بمن كان على السطح أن يهدموه عليه وعلى من فيه من حرمه وصبيانه ، وأقبلوا إلى باب البيت ، وطمعوا في محمد بن عبيد الله عندما أثخنوه بالجراحات ، فحمل عليه رجل منهم يقال له علي بن الحارث القِناني ليأخذه أخذاً ، فرفع محمد بن عبيد الله سيفه حتى وضعه على صدره ، إذ لم يستطع أن يحمله بيده من الضربة التي أصابته ، ثم أدعم بيديه ، وتحامل عليه بيده فطعنه به ، فوقع على ثديه حتى خرج من ظهره ، فوقع على قفاه ميتاً لا رحمه الله تعالى ، وأغارت بنو الحارث فحملوه وحال بينهم وبين محمد بن عبيد الله الدخان والغبار ، وقام محمد بن عبيد الله إليه حرمه وصبيانه ، فأوصاهم وسلم عليهم وودعهم ، وقال : الله خليفتي عليكم ، ثم حمد الله تعالى وأثنى عليه ، وصلى على النبي ﷺ ، ثم قال : اللهم إنك تعلم أني قد وفيت لك بيعتي ، وليحيى بن الحسين بما بايعته عليه ، فاسألك أن تعرفني ذلك في المقام

المحمود الذي وعدت به أولياءك الصالحين، ثم أقبلت بنو الحارث إليه إلى باب البيت ، فخرج عليهم وأبعدهم عن باب البيت واختبأ له الحارث بن الحارث من ورائه(خلف الباب)، فلما خرج محمد بن عبيد الله رضوان الله عليه ، عليهم ، تبعه الحارث بن الحارث من ورائه ، فضربه في قفاه ، فخرّ محمد بن عبيد الله بينهم ساقطاً ، ووضعوا فيه سيوفهم ، فقطعوه ، ونزعوا سَلبه رضي الله عنه ، وأخذ الحارث بن الحارث سيفه ، وأخذ عبد الله بن حبيب الحِماسي جوشنه وقناه ، وأخذ عمامته مجاشع بن محمد المري ، وأخذ خاتمه منصور بن هشام الدُهْمي ، وكان نقش خاتمه(شَرَى نفسه لله محمد بن عبيد الله)، وأخذ درقته زياد بن العباس الكعبي ، وأخذ فرسه ورمحه زياد بن عبد الله المُري ، لعنهم الله جميعاً، فلما جردوه من سلبه ، ووضعوا فيه أسيافهم ، فلم يبق أحد ممن دخل البيت حتى ضربه بسيفه، واحتز رأسه أبو العوارم بن موسى القُطني وهو يرتجز ويقول شعراً :

شَيخ لشيخ وَصَبي لصبي   شَفَيتُ نفسي منك يا نسل عَليّ
ولا أبالي بعد ذا ما حل بي   من سخط الله ومن لعن النبي

وكان الهادي إلى الحق أعزه الله تعالى قد قتل أخاه أبا الوجيه مع جماعة من بني الحارث وقطع رؤ وسهم في بعض أيامه ـ حكاية الخبر فيه فيما تقدم في كتب سير الهادي إلى الحق أعزه الله تعالى ـ وكان في الوقت الذي وضعت بنو الحارث سيوفهم بمحمد بن عبيد الله بعد موته ، تعلق به فطرح نفسه عليه ابن لابنه علي يقال له الحسن، مولود ست سنين، قال لهم: ويلكم لا تمثلوا بجدي أما قد كفاكم أن قتلتموه وأصحابه، فرماه رجل منهم بسهم في بطنه، فسقط الصبي مغشياً عليه ، ثم وضعوا سيوفهم بالنساء والصبيان والأطفال ، فجرحوهن وسلبوهن ، وأخذوا ما عليهن حتى تركوهن عُراة لا يتوارين بقليل ولا كثير ، وما منهن إمرأة إلا وقد نالها ضربة بسيف ، أو رمية بسهم ، وأخذوا صبياً له ابن ستة أشهر ليضربوا به الجدار ، فلحقته أمه فأخذته منهم بعد ما جروه على الأرض ،

وشجوه وسيلوا دمه ، وأخذوا ابنة له صغيرة بنت أربع سنين فضربوها بالسيف ضربتين جافيتين[1] ، وأخذ رجل من موالي الكعبيين يقال له عاصم بن عاضّ الحجر ابنا لمحمد بن عبيد الله يقال له اسماعيل ، وابنا لابنه علي يقال له الحسين بن علي ، أحدهما ابن خمس سنين والآخر ابن أربع ، فأدخلهما إلى منزله وقدَّم لهما تمراً ، وقال لهما : كلا من هذا التمر ، فقال الحسين بن علي لعمه اسماعيل بن محمد كُل من هذا التمر ، فقال له عمه اسماعيل : قلوبنا عن أكل هذا التمر مشتغلة ، قد قتل أبونا وسُلبت نساؤنا ، وقتلت رجالنا ، واستملكنا عدونا ، فقال له الحسين بن علي : أسألك بالله ألا أكلت هذه التمرة ، وتعتصم بها بعصم الله ، فقد صار جدي إلى رضوان الله ، وهذا الذي كان يطلب .

ثم أن منصور بن هشام الدُهمي أرسل إليهما ، فلما أُتي بهما ، قدم إليهما طعاماً وماءً ، ثم قال لهما : كلا من هذا الطعام واشربا من هذا الماء ، فأكلا وشربا ، ثم قال لهم الحسين بن علي : يا أعداء الله قتلتم جدي ، وسلبتم أهلي ، واستملكتموني وعمي ، إني لأرجو أن نقتلكم بالهادي صلوات الله عليه وبأبي . فقال له منصور بن هشام : قتلك الله وقتل أباك ، ورفع يده فلطم بها الصبي لطمة طرحه إلى الأرض ، فقام الصبي فأخذ قبضة من التراب ، فرمى بها وجه منصور بن هشام لعنه الله .

وقد كان في وقت دخول الدار ،وانقضاء قتل محمد بن عبيد الله رضوان الله عليه ، ومن كان معه ، صارت الحرم إلى دار محمد بن سنجاب المداني ، فقام في أمرهن هو وحُرمه بأحسن القيام ، وجمع محمد بن سنجاب الصبيان من أشرار بني الحارث ، وكان فيهم ابن لمحمد بن عبيد الله يقال له موسى ، فأرسل ابن حُميد في طلبه ، وأمر ابن منجاب ليأتيه به ليقتله ، وكان ابن

---

(١) أي بعرض السيف لا بحده .

عشر سنين فأخفاه ، وحلف ما هو عنده ، ولا يعلم أين هو ، وعمدت بنو الحارث إلى جثة محمد بن عبيد الله رضي الله عنه ، وجثث أصحابه رحمهم الله تعالى فطرحوهم من علو الدار التي فيها إلى خارج الدار ، وجعل منصور بن هشام يوطئهم فرسه ، يخص به جثة محمد بن عبيد الله رضي الله عنه **وهو** يقول : يا بني الحارث اشفوا نفوسكم من عدوكم ، فهذه والله مصارعكم كأني أنظر إليها ، فليس العلوي بتارككم أبداً دون أن ينيلكم ما قد وعدكم به ، وأرسلت بنو الحارث برأس محمد بن عبيد الله فطافوا به (بين) أشرار نَجران، ثم ردوه إلى القرية فصلبوه على خشبة ، وجعلوا يرمونه بالحجارة والنبل ثم أتت امرأة من بني عبد المَـدَان يقال لها فرات ابنة بشر الحارثي الشاعر فقالت يا بني الحارث أعطوني هذا الرأس أبرد به حرارتي ، وكان الهادي صلوات الله عليه قد قتل أخاها في بعض وقعاته ، فأعطوها الرأس ، وقالوا : خذيه فاعملي به ما شئت ، فأخذته فقلعت إحدى عينيه، وقطعت وجنتيه ، ونتفت لحيته ، وجعلته على النار وأكلته ، فرأتها أخت لها ابنة بشر بن روام الحارثي الشاعر فقالت لها : يا عدوة الله وعدوة نفسها ألا تُراقبين الله فيما تفعلينه برأس من رضي الله عنه ، وشتمتها ، وأخذت الرأس منها ، ومضت به إلى بيتها فدفنته في موضع لا يعلم به غيرها وغير زوجها ، ثم أتى نفر من أهل نَجران إلى ابن حُميد منهم عاقل بن عبد الله وعبد الله بن عيسى ، فطلبوا منه جثة محمد بن عبيد الله ، فوهبها لهم ، فأخذوها وكفنوها ، وصلوا عليها ، ودفنوها بالقرب من قرية الهجَر في موضع يقال له البلاط[1] .

وقد كان علي بن محمد أرسل إلى يَأم ووداِعـــة يطلب منهم النصرة والاجماع ليغير بهم على بني الحارث لعنهم الله، فلم يجيبوه الى ذلك، واعتذروا بفتنة بين عشائرهم، فخرج في فرسان شاكر وثقيف، فكانوا عشرة فرسان ، فصار بهم إلى البقيرة. وكان قد كتب إلى ابراهيم الجعَدي لعنه الله ،

---

(١) سيرة الامام الهادي ص ٣٨٠ .

وإلى جماعة من بني ربيعة يعلمهم ما فعل لهم الهادي إلى الحق صلوات الله عليه؛ وما كان من استحلافه لأولاد محمد بن عبيد الله على نصرتهم والعناية بأمورهم، وما كان من أخذه لليَأميين والأحلاف بسبب قتلهم لابنِ بسطام، ويذكر لهم أنه قد تناهى إليه منهم أسباب غمته من إيثار عدوهم، ومقامه في سرهم، فإن يكونوا على ما يعرف منهم فيبادروا عدوه ويبعدوه منهم، وإن كانوا على خلاف ذلك عاملهم على قدر ما يبين له منهم، فكتبوا إليه كتاباً يقولون فيه: قد فهمنا ما ذكرت من تفضل الهادي إلى الحق علينا وإحسانه إلينا، وأخذه بثأرنا، ونحن بذلك عارفون، ولرعايته شاكرون، ونحن نخدمكم وأولياؤكم، لم نُوال لكم عدواً، ولم نعاد لكم ولياً، وهذا سِرنا فصر إليه حتى نقوم معك بأنفسنا، ونبين لك قيامنا.

فلما صار إلى البُقيرة لقيه يزيد بن علي الجعدي، ومحمد بن أيوب، فأعطياه الكتاب، وسألاه المصير معهما إلى السِر، وأعلماه أن إبراهيم الجَعدي قد صار إلى القرية إلى محمد بن عبيد الله لنصرته، والقيام معه، وأرادوا بذلك خديعَة علي بن محمد لأن يدخل السر هو ومن كان معه من الشاكريين والثقفيين، وعلموا أنه ليس له أحد من هَمدان يواسيهم بنفسه، ويمضي معهم حيث يمضون غيرهم فأرادت بنو ربيعة به وبهم المكر، فلم يجبهم إلى شيء مما سألوا، وقال لهم: إذا بان لي منكم القتال لعدونا صرنا إليكم، فبينما هو كذلك إذ أقبل الحسن ابن أحمد البَعداني، وعبد الله بن منير المزوي، والنفر الذين لحقوهما من أصحابهما فأعلموه بقضية أبيه، وما كان من بني الحارث من الاجتماع عليه، وأنه قد استشهد هو ومن كان معه في الدار من أصحابه رحمهم الله تعالى، وقتل قاتلهم، فدعا علي بن محمد يزيد بن علي ومحمد بن أيوب، فأعلمهما بما كان من بني الحارث، وأمرهما بالمصير إلى سِرهما وقال لهما: إن شيخي قد أصيب رضي الله عنه، وبالله لا بدأتكم بحرب ولا رأيتم مني سوءاً حتى تكونوا أنتم البادين، ولم يعلم بما كان من دخول بني ربيعة، وما كان منهم في ليلتهم من الإجماع مع بني الحارث لعنهم الله تعالى جميعاً، ثم انصرف علي بن محمد هو

وأصحابه إلى الحصن، وأغار من بقي من بني ربيعة في ميناس إلى القرية، إلى أصحابهم، وانصرف علي بن محمد وهو يقول شعراً :

منع الحزن مقلتي أن تناما وذرا الدمع من جفوني سجاما
يوم ناديت حي الأحلاف للنصر على مذحج وناديت يَأما
ودعونا لنصرنا الوادعيـ ـيين فلم ينصروا الأمين الهُماما
لا تجيبون صارخاً قام يدعو يا لهَمدان انصروا الإسلاما
فدعونا ثقيف كي ينصرونا فأجابوا ولم يكونوا لئاما
نصرونا على العدو وقاموا دوننا يدفعون عنا الطغاما
فخرجنا بهم إلى حار كعبٍ بخيول إلى العدو ترامى
فأتانا الخبير يخبر ان قد قُتل الهاشمي وذاق الحِماما
قتلت حارث بن كعبٍ شريفاً خير من وحَّد الإلٓه وصاما
قتلوه فأفحشوا القتل فيه حين أضحى لديهم مستضاما
لهف نفسي عليه ما حنَّت النيـ ـيب[1] وما داعت الحِمام حماما
لهفَ نفسي عليه لهفاً ولهفاً لهفَ حيران لا يلذُّ مناما
لهف نفسي عليه من لي من بعده أو للنساء ومن لليتامى
كان حرزاً للمسلمين وكهفاً ورجاءً ومعقلاً ونظاما
فتولى ذاك النظام فأضحى ركن عِز الإسلام ميتاً رماما
قتل الله مَذْحجاً شر قتلٍ[2] بأبي جعفر وأصلوا غراما
فجزى الله والذي غُرف الخلد وأعطاه جنة وسلاما
فلقد كان وافيَ العهد لله وبالحق والهدى قوَّاما
نصر الدين واستقام على الحق وأوفى بالبيعتينَ الإماما

---

(١) النيب : جمع ناب ، وهي الناقة المكتملة ، كالكهل من الناس .
(٢) ذلك أن بني الحارث قبيلة من مذحج .

فلما وصل إلى الحصن أقبلت هَمدان إليه يُعزونه في أبيه، واعتذروا اليه بما كان من تخلفهم عن نصرته .

آخر حروب الهادي[1]

روى أصحاب الهادي إلى الحق صلوات الله عليه أن آخر حُروبه كان بوادي نجران، وأنه كان عليلاً من علته التي توفي منها، وأن العدو بَيّتُوا الهادي إلى الحق صلوات الله عليه إلى الحِصن، وخرجت خيول الهادي إلى الحق، وكان مريضاً فلم يخرج، فلما تراءت الخيلان كانت الحملة على أصحابه، فولوا مدبرين، وقتل رجل منهم بالسيف يقال له يوسف بن أبي حرب العَبسي، وهو آخر شهيد استشهد مع الهادي إلى الحق صلوات الله عليه، ولم يكن له بعد ذلك قتال حتى توفي صلوات الله عليه ورحمته ورضوانه .

فلما أُتي بيوسف قتيلاً خرج الهادي إلى الحق مريضاً ، ورأى أصحابه حين انهزموا ،فوبخهم وقال: حين تخلفت عنكم ساعة واحدة وجد فيكم العدو مدخلاً ولم تعطفوا على أخيكم حين جُرح معكم فتستنقذوه من يد العدو، ولو كنتم على حقيقة ما فعلتم هذا الفعل، ولقد فسدت قلوبكم، ولن تروا من بعدي إماما تقاتلون معه حيناً من الدهر، هذه ثمرة فساد النيات، وإضمار الملالة للجهاد، وضعف اليقين، هذا فعل من يأمن الله تعالى في تولية الأدبار بغير عذر، ولا إبلاء في العدو، قالوا: ثم وقع علينا الذنب بما فعلنا، وكثرة احتجاجه علينا وتوبيخه لنا حتى جددنا البيعة، وأعطيناه الصفقة ،وصححنا التوبة .

ثم قال: اعلموا انه ما نكص قوم على أعقابهم إلا بمعصية فيهم، واستأنف يحدثنا حديث قوم موسى ﷺ ، وما كان من خبرهم حين احتال عليهم بلعم بن باعوراء حتى اهتزموا، فيصيح موسى ﷺ: عطاف فلا يعطف احد،

---

(١) سيرة الامام الهادي ، ص ٣٨٤ ـ ٣٨٦ .

فأقام ثلاثاً على هذه الحال، ثم قال: أنا نبي الله وكليمه، لقد عصيتم الله تعالى، وهبط عليه الوحي أن إئت خِباءً من أخبية بني إسرائيل، فانظر ما فيه، فأتى، فلما دخل الخباء وجد فاسقاً على فاسقة، فطعنهما بحربته، فشكهما وهما على قبيح فعلهما، ورفعهما على الحربة، وصاح - وكان صبيّا قوياً شديد القلب - يا بني إسرائيل هذا الفعل الذي يقلبكم على أعقابكم، وشالهما حتى نظر أهل العسكر إليهما، وهو يهزهما قد ارتد على بني إسرائيل أسفاً وغيظاً، وعلى غيرهم ممن عصى الله، وشدة في ذات الله عز وجل، فلما رأت ذلك بنو إسرائيل اجتمعوا اليه، وقالوا نجدد البيعة والعهد لله، فاصطفوا للصلاة والدعاء، ونصب نبي الله كساءه، وكان لهم دليلاً على قبول توبتهم، تجتمع فيه ألوان شتى، فيعلمون أن قد قبلت توبتهم، والله غفور رحيم، فلما قُبلت توبتهم في سحر يوم الجمعة عند انبلاج الفجر، أمر موسى بالبوق فنفخ، وهو اول من أحدث أبواق الصفر، وذاك أن عساكره شكوا اليه أنهم لا يشعرون بحركته، فألهمه الله تعالى الى أبواق الصفر، وللجباجب[1]، ثم ثار نبي الله بهم، واصطفوا للقتال بعد التوبة، فثبتت أقدامهم، وانقلب العدو على أعقابهم مدبرين، ومنح الله أكتافهم، وغلب جند الله عز وجل كما قال: ﴿وان جندنا لهم الغالبون[2]﴾، فلما دخل ﷺ القرية انبعث اليه بلعم بن باعوراء وهو دالع بلسانه، وقد ختم على فمه من الكلام، وهو يلهث كما يلهث الكلب، والخلائق ينظرون إليه، كيف غيَّر الله به كما غيَّر أمر الله، فأقام عِبرَة ومنظرة للعالمين أياماً على حاله، ثم قضى عليه (الموت) فذكر اللّه ذلك لنبيه ﷺ؛ فقال: ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين. ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث، أو تتركه يلهث، ذلك مَثَلُ القوم الذين كذبوا بآياتنا، فاقْصُص القَصَص لعلهم يتفكرون﴾[3] الآية.

---

(١) أي الطبول. (محقق السيرة).

(٢) سورة الصافات ١٧٣.

(٣) سورة الأعراف (١٧٦).

قال القوم : فعلمنا أن الهادي إلى الحق صلوات الله عليه قد ركن أن انقلابنا على أعقابنا كان تلك العشية لسوء فعلنا .

مدح الإمام الهادي لقبيلة همدان[١]

طالت هواجسُ قلبك المكروبِ ... إذ صار دين محمدٍ كغريبِ

نام الذين بهم يعزُّ عموده ... وثووا فأصبح ليس بالمطلوبِ

وتخاذلوا عن نصره وتشاغلوا ... بمشاغلٍ ومكاسب وغُنوبِ

ولقد عجبت لأمر همدان التي ... كانت غياثُ الصارخ المكروبِ

والحق مُطرح ضعيفٌ ركنُهُ ... وانٍ كمثل الفاتر المغلوبِ

والحق مُضْطَرَخ فتغافَلوا ... عنه تغافل مُذهل مرعوبِ

حتى متى لا تنهضون بأسركم ... للحق نَهض المغضب المهيوبِ

* * *

هَمدان أنصار النبي وبعده ... نصروا الوصي بكل ذات كعوبِ

وبهم يعز الدين بعد خموله ... بالنصر في المكروهِ والمحبوبِ

ليسوا كمن نقض العهود بفعله ... وبرأيه المستضعف المعيوبِ

حسبي بنصرتهم لدين محمد ... فهم لعمرك نصرتي ونصيبي

من دون كل مناصر ومعاضل ... وبهم وثقتُ فقل لهم يثقوا بي

وبهم يعزّ الدِّين آخر مرة ... لقيامهم بلوائه المنصوبِ

ما زلت آملَهُم وأعرف فضلَهُم ... وأخصهم بالبشر والتقريب

لصحيح معرفتي بما قد قدّموا ... واللّهُ للأنصارِ خيرُ مثيب

نصروا أمير المؤمنين وجاهدوا ... بصحيح نياتٍ ونصح قلوبِ[٢]

وتضافروا في الحق حتى أصبحوا ... فازوا بحسن ثنائه المنسوبِ

سارت قبائل كلها لقتالهم ... بالمرد من فتيانها والشيبِ

---

(١) أتينا بهذه القصيدة لأن سكان نجران في عهده وإلى يومنا هذا أكثرهم من همدان : كيأم مثلاً .

(٢) يقصد نصرتهم لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ضد معاوية .

وذوي الجهالة من كهولِ رجالهم ... وبكلّ ليثِ كتيبةٍ مرهوبِ
ضربوا رؤوس الناكثين وأولجوا ... فيها بكلّ مهندٍ مخضوبِ
بدماء كل مُنابذٍ ومعاندٍ ... ومخالفٍ للحقّ غير مُصيبِ
فهُمُ أسود الحرب عند ضرامها ... كالجمر وسط خميسها المشبوبِ
والطالبون بثأر آل محمدٍ ... وعشيرة المطلوب والمغصوبِ
ظني بهم خيرُ الظنون لأنهم ... أبناء كلِّ نجيبةٍ ونجيبِ
شركاء آل محمد في عزهم ... من دون كلِّ مناسب ونسيبِ
فعليهم مني السلام مضاعفاً ... وحباهم ذو العرش بالتقريب
وأعانهم يوم الحساب وهوله ... وأعاذهم من فادحٍ التعذيب

وله أيضاً :

وكل طويل الباع ليثٌ سميدعٌ ... أخي ذعراتٍ والقنا يتحطمُ
يخوض غمار الموت في مَذْحجيةٍ[1] ... شديدٌ على أعدائه ليس يظلمُ
من الغرّ هَمدان الكرام ذوي النُهى ... قتالُهم في الحرب نارٌ تضرُّم
وخولان أهل البأس والجود والحمى ... أسودٌ إلى الحرب العُوان تُقحمُ
ومَذْحج أبناء الحروب ذوي الوفا ... هُمُ الفرعُ منها الثابت المتقدمُ
فإن تبتغوا حربي فإني محاربٌ ... وإن تبتغوا سلمي فذلك أسلمُ

---

(١) دروع تنسب إلى مذحج ، لأنها كانت تصنع في بلادهم .

الخلاصة

مما تقدم نرى أن عهد الامام الهادي في نجران عهد حروب وفتن . وأنه حتى نهاية حياته لم يستطع السيطرة على نجران ، وكان نفوذه لا يتجاوز بلدة (الهَجَر) أو الرقعة الزراعية في نجران ، وهي تقدر بنحو (٣٠ كيلاً) في أربعة أكيال .

ويبدو أن زعماء بني الحارث ويام وبطون عديدة من همدان كانوا يستفيدون من الإنفصال عن مملكة يحيى بن الحسين ، وكانت النقاط التي تثير الخلاف :

١ ـ كان رؤساء تلك القبائل ، مثل : ابن بسطام ، وابن حميد ، وغيرهم ذوي املاك وقطائع ، وما كانوا يخرجون زكاة أموالهم ، فجاء يحيى بن الحسين فأرغمهم على ذلك .

٢ ـ كانوا ذوي نفوذ كبير وحصون مستقلة ، وبدخولهم في تلك المملكة فقدوا جزءاً معنوياً من حياتهم . أما خضوع بني عبد المدَان فكان خضوع المنافق الذي يتضرر بالمعارضة ، ويستفيد بالمهادنة ، وكانت الهجر قريتهم ، وهي قاعدة نجران ،وهذا يفرض عليهم أحد أمرين : إما الدخول في الطاعة وتحين الفرص مثل ما حدث في آخر فصل من هذا العهد حين كانوا مع محمد بن عبيد الله ، أو مناصبة الهادي العداء ، وهذا معناه مغادرة قريتهم وذهاب ريحهم . أما بقية قومهم فكان معظمهم بدواً رحلا لا يخسرون شيئاً بالمعاداة ، وإذا جلوا اليوم عادوا غداً .

٣ ـ عدم إمكان الامام دفع أموال للمؤلفة قلوبهم ، فالبلد كله كان حرباً عليه من

صنعاء إلى جازان إلى نجران ، وهذا يتطلب أموالاً للحرب ، فأين الفائض الذي يؤلف به قلوب ابن حميد وأمثاله ؟ بل إن ضيق ذات اليد أثر في إخلاص القبائل عموماً ، فحتى همدان التي يقال لها : جيش آل البيت ، كانت كثيراً ما تتقاعس ، وبعض فروعها ـ كيأم ـ كان عدواً للهادي .

٤ ـ الضعف الظاهر في قوة الامام العسكرية ، فنرى أن والي نجران ـ أحياناً ـ ليس لديه سوى بضعة رجال، وأحياناً لا يوجد عنده سوى خدمه، وهذه نقطة ضعف رئيسية ، فالقبائل لا تدين إلا برغبة أو رهبة .

٥ ـ السماحة في خلق الهادي ، والشراسة والاعرابية في خلق القبائل ، فقد كانت القبيلة تنقض العهد الذي أبرمته بالأمس ثم تعمل أقسى أنواع التنكيل بعمال الهادي ، فإذا عاد الهادي إلى نجران أسرعت إليه وتبرأت مما فعلت وجددت البيعة ، وكأن هذا الامر ـ كما تقول العامة ـ (ضحك على الذقون!) فيسارع الامام ويقبل توبتها وتجديد بيعتها ويتولاها ، بينما كان هدف هؤلاء الأعراب مجرد التخلص من عقاب الهادي ، وكأنهم لا يعرفون معنى البيعة ، ولا قيمة لديهم لعهد ، فالأعراب هم الأعراب .

٦ ـ يبدو أن جوهر الاسلام لم يمس تلك الأرض حتى ذلك التأريخ ، وليس هذا غريباً ، فالعرب منذ أتم الله لهم دخول هذه الجزيرة في دائرة هذا النور الباهر (نور الاسلام) كانت وجهتهم خارج الجزيرة العربية ، فكان كل ذي مقام مرموق وكل من حصل على شيء من العلم يهاجر من جزيرة العرب إلى بلاد الخصب والثروة ، وظل اهل هذه الديار ـ باستثناء مكة والمدينة ـ لا يسمعون حديثاً ولم يطأ أرضهم داعية ، وإذا فرضنا أنه كان في نجران مسجد وإمام ، فإنا نكاد نجزم أن الأعراب ما كانوا يدخلونه إلا لماماً ، ومما أدركه الناس إلى عهد قريب أن البدوي إذا استمع حديثاً في مسجد ولان قلبه للإيمان ـ وهم قلة طبعاً ـ يرغب في التحضر ويجاور المسجد وينقطع عن عشيرته ، وتظل دوامة الجهل مخيمة في تلك العشيرة يتوارثها الأحفاد عن

الأجداد . وهذا ـ حتماً ـ ما كان يجري في بوادي نجران .

٧ ـ هناك عنصر أجدني ملزماً بالتحدث عنه : مر معنا أن الامام وجد بنجران يهوداً ونصارى كانوا قد أثروا واشتروا أملاك المسلمين، فسن لهم قانوناً يدفعون بموجبه تسع نتاج أموالهم ، وهو امر لم يفرض عليهم من قبل، ورغم أنهم قبلوه برضاهم فإن هذا الرضا جاء فدى لتلك الأموال التي كاد الهادي يرجعها إلى المسلمين ، ويحرم على أهل الكتاب شراء أموال المسلمين ، فهل لهؤلاء ـ أهل الكتاب ـ يد خصبة في تحريك ابن حميد وأمثاله ؟ راوية سيرة الهادي لم يذكر شيئاً من هذا ولا حتى على سبيل التلميح ، بل لم يعد لذكرهم بعد ذكر موافقتهم على ذلك القانون في أول عهد الهادي ، وتسير سيرة الهادي وكأن هؤلاء غير موجودين . ذلك أنه لا تطلب منهم بيعة ، ولا يجندون لحرب ، ولا يشاورون في أمر .

٨ ـ ولعل علة العلل وأم كل ما تقدم هو أن القوم لقاح لا يدينون لملك ولا يأتمرون بأمر امير، فجاء الامام فنقض عليهم أمرهم واقتحم معتصمهم فلم ترض نفوسهم بالانقياد إليه والخضوع لطاعته، ونرى مما يصلنا عنهم إلى عهد ليس بعيداً جداً استمرار النزاع بينهم وبين أئمة الزيدية حتى اختفى اسم بني الحارث ، وملأ البلد اسم يأم .

دخول همدان إلى نجران

عندما فتح نجران لم يذكر فيه شيء عن همدان ، فكان سكانه بنو الحارث بن كعب ـ وقد تقدم نسبها ـ ونجران يقع في قلب بلاد مذحج التي تبدأ من قرب مأرب ـ شرق صنعاء ـ وتصل إلى تثليث ، ولكن الهمداني ـ الذي جاء في أواخر القرن الثالث وأول الرابع ـ يقول : ليأم وطن في نجران ، نصف ما مع همدان[1] ، وظهر من حروب الهادي في آخر القرن الثالث أن يأماً ووادعة وغيرها من بطون همدان ، كانت ذات وزن وكلمة في نجران ، تكاد تساوي وزن بني الحارث ، فكيف دخلت همدان نجران ؟

تقع ديار همدان جنوب نجران غير بعيد ، وتأخذ على شرقي صعدة ـ وصعدة لخولان ـ إلى الجوف ، تلك الأرض الخصبة شرقي صنعاء ، ويبدو أن عاملين ساعدا همدان على التملك في نجران :

١ ـ التمدد الطبيعي : القبائل تتأثر منازلها بالتمدد والانكماش ، وهذا يتأثر بقوة أو ضعف القبائل المتجاورة ،وكانت مذحج بما فيها بنو الحارث قد انتشرت واتسعت ديارها ، فشاخت وبدا عليها الوهن ، ولما كانت ديار همدان غير بعيدة عن نجران ، وكانت قوية فقد بدأ زحفها فيما يبدو عند دخول الاسلام تلك الديار ولا شك أن ذلك كان بطيئاً وأنه لقي مقاومة من بني الحارث ، الا انه ما ان جاء القرن الثالث حتى فرضت همدان وجودها ، ونزلت يأم كلها نجران ، وأصبحت شبه منفصلة دياراً وعصبية عن بقية بطون همدان ، ولا

---

(١) « صفة جزيرة العرب » ص ٢٥١ .

يكاد يعرف غير خاصة الناس أن يأماً بطن من همدان ، وحتى كبار يأم لا يعرفون انها بطن من حاشد ، فهم يقولون : نحن نجتمع ببقية بطون همدان في همدان بن زيد ، كذا يقولون : ابن زيد(؟) وهذا يعني أن يأماً انفصلت من عهد بعيد ، ذلك أن كل همدان تنقسم إلى حاشد ، وبكيل ، ولكل منها صيحة ، معنى قول يأم المتقدم يعني أنها لا تنضم إلى حاشد في صيحتها ، ولذا جزمنا أنها انفصلت ، ثم إن همدان زيدية، ويأم باطنية ، ولعل لهذا الاختلاف المذهبي دوراً في ابتعاد يأم عن جذمها .

٢ ـ عندما جاء الاسلام جعل الناس شركاء في الماء والكلأ ، وهذا يعني أن لمن شاء من همدان ان ينتجع دار مذحج ، والعكس وارد ، وكانت يأم ووادعة بادية فانساحت الى فلاة نجران فأحاطت به كما يظهر من وقائعها مع الهادي ، ومن ثم أخذت تتوطن في نجران .

ويظهر ان يأماً في عهد الهمداني كانت قد توطنت كلها بنجران، إذ يقول : والرابع المنبج : وفروعه من بلد يام القديم[١] .

توالي عهود الزيدية

وتوالت على نجران أحداث ، ظلت تتمثل في مهاجمة كل إمام زيدي نجران ومقاومة أهله مقاومة شديدة ، وقد يسود عهد إمام زيدي مدة من الزمن ، إلا أنه لا يعرف الاستقرار أبداً ، فخلفاء الامام الهادي كانت لهم سيطرة على نجران ، ولكنها ظلت معرضة للفتن وعدم الاستقرار .

نجران في القرن الخامس

ونجد في ذيل (المفيد في أخبار صنعاء وزبيد) ما يأتي[٢] :

---

(١) « صفة جزيرة العرب » ص ١٦٢ .

(٢) ص ١٠٩ تحقيق محمد الأكوع .

وصول قبائل جنب وسنحان ويام ونهد :

توالت انتصارات الملك الصليحي وأسمعت من به صمم . وبلغت حزبه قبائل جنب وسنحان ونهد ويأم المدعوين (بالحجازيين) الذين عاهدوه في مكة فأسرع منهم قرابة أحد عشر مائة حاملين السلاح والمعونة المالية ،وانضاف إليهم منهم خلق كثير متطوعة ممن لا سلاح له ، ولكنهم تاهوا في الطريق لعدم خبرتهم بمسالك الطرقات إلى « مسار »[1] فتخطّفتهم العرب من حولهم ولم يبلغوا « مسار » إلاّ بمشقة وعناء كبير ، وبعد أن خسروا مائة قتيل ومالاً جزيلاً كانوا يراضون به القبائل السالبة، وكان قدومهم مسار في شهر رجب سنة **٤٤٢** هـ فارتفعت معنويّة الصليحي[2] وقويت شوكته . (كذا في التأريخ المجهول مؤلفه) . أ . هـ .

ونجد أحمد بن علي المكرّم الصليحي يغزو نجران بعد وفاة أبيه المتقدم ذكره ، ويعيدها إلى ملكه ، إذ كانت من مملكة أبيه ، مؤسس الدولة الصليحية .

ونجد ـ في هذا العهد ـ رجلا اسمه أحمد بن محمد من ولد الخليفة عثمان، ،يدعى القاضي العثماني ،جاء من العراق فنزل نجران،وبعد مدة من التظاهر بالزهد والعفاف انحاز إلى قوم من نصارى نجران ومن بني عبد المدان ، فصار ينادمهم ويعاقرهم الخمر ويتهتك في شعره، ويسير إلى بيته وهو سكران ، ومن شعره :

وشربت حتى صرت ليس بعارف   من أين جئت ولا إلى أين رجوعي
وظللت أنشد من لقيت بسكرتي   أين الطريق لدرب آل ربيع

(١) مسار : جبل من أعمال حراز في اليمن الشمالي .

(٢) هو علي بن محمد بن علي الصليحي ، مؤسس الدولة الصليحية باليمن ، استولى على اليمن كله عنوة ، كان شافعي المذهب ثم مال إلى الفاطميين ، ومذهبهم اسماعيلي ، ولد سنة **٤٠٣** وقتله سعيد بن نجاح الملقب بالأحول سنة **٤٧٣** هـ .

وآل ربيع من بني عبد المدان .

فلو كانت هناك سلطة منظمة ما تبجح مثل هذا الماجن ، حتى انكر تحريم الخمر في بعض شعره . ولعل من حق القارىء علينا أن نريحه قليلاً لنسمع بعض لطيف شعر هذا القرشي العثماني ، وإن كان في آخره مجون إلاّ أنها محطة استراحة فاسمعه يقول: [1]

إن من يعرف أيّام الصِّبا ... صدَّ إذ أبصر شيبي وصَبَا
والذي تعرف مهري أدهماً ... أنكرته إذ رأته أشهبا
إخوتي هِبّوا فقد هبّت لنا ... نغم الطير وأنفاس الصَّبَا
فاصرفوا الهمّ عن أضيافكم[2] ... وخذوا من عيشنا ما وهبا
ضمّ شمل الود منا مجلس ... ترقص الأركان فيه طربا
كل سمح الكف لو تسأله ... كلما يملك جوداً وهبا
رُبّ شمطاءٍ تركناها وقد ... ركد الليل وأرخى الطُّنبا
قالت: الطارق من؟ قلت: أنا ... وأصَيْحابِي ، فقالت : مرحبا
ثم أومت نحو مصباح لها ... كاد يخبو سَحَراً أو قد خبا
دفعت في صحن دن خِلتُ في ... جَنَبات البيت منها لهبا
فسقوني منه حتى صرت من ... سكرتي أحسب مهري أرنبا
إن من قد عانها من بعدما ... عتقت في دنّها لي حُقبا
يحتسبها عند ريعان الصِّبا ... ويخليهاإذا ما اضطربا
كالتي في رمضان لم تصم ... بلهاً منها وصامت رجبا
قل لعبد القيس يا أكرم من ... مدَّ كفاً بحباءٍ واحتبا
فارس الخيل إذا ما ركبا ... أكرم الناس إذا ما وهبا

---

(١) المفيد في اخبار صنعاء وزبيد ص ٢٧٩ .

(٢) يقول المحقق : إن هذا الموضع كان ممزقاً فوضع كلمة « الهموم » حدساً ليضبط الوزن .

أصبحت نجران لي مرتبعاً والمَدَانِيّون أمّاً وأبا

وله في مدح بني عبد المَدَان الحارثيين[1] :

وأخافني ملكي فلما زرتهم أصبحت أُقْصَد مثلهم وأُزار

نجران في القرن السابع

ويحدثنا ابن المجاور ـ يوسف بن يعقوب ـ في كتابه تأريخ المستبصر ، وهو كتاب كثير الخرافات والجمل الغامضة والتلفيقات التي لا يصدقها عقل ، وإنما نأخذ عنه هنا مشاهداته وننقد ما يدخل عليها من استنتاجه وآرائه ، يقول : [2]

« من صعدة إلى نجران : من صعدة إلى زهران ثلاثة فراسخ ، وهو لابن ملك لآل عبد الله بن حمزة[3] ، لأنه اشترى أراضيها من أربابها بيع وشرى ، وكان لقوم يقال لهم : الأقشور رأس الركب . (كذا) وإلى الحدّ ثلاثة فراسخ . وإلى الركب ثلاث فراسخ ، وادٍ عظيم يجري على صفا ، وإلى الخانق[4] ثلث فرسخ ، نخيل وماءٌ جارٍ أوله يجري من الركب . وإلى كوكبان فرسخين ، ومنه يخرج إلى نجد[5] ووضع هذا الحصن ما بين نجد وجبال اليمن فهو حصن مانع سرير نجران . وإلى الحقّة ربع فرسخ ، مدينة الأصل نجران[6] وعليها المعوّل في البيع والشِرى ، وينقسم أهلها إلى ثلاث ملل : ثلث يهود ، وثلث نصارى ، وثلث مسلمين ، فالمسلمون الذين بها ينقسمون على ثلاثة مذاهب : ثلث

(١) نفس المرجع ص ٢٨٤ .

(٢) « تاريخ المستبصر » ص ٢٠٨ .

(٣) عبدالله بن حمزة بن سليمان بن حمزة ، الإمام المنصور ، من أئمة الزيدية ، وعلمائها ، ولد سنة ٥٦١ وتوفي سنة ٦١٤ بويع سنة ٥٩٣ ، له وقائع ومؤلفات حسنة (الأعلام) .

(٤) هذا حلق وادي نجران .

(٥) هذا نجد اليمن لا نجد الحجاز .

(٦) قاعدة نجران كانت تسمى في عهد الهادي (القرن الثالث) الهَجَر .

شافعية، وثلث زيدية ، وثلث مالكية ،وهي المدينة التي كانت لأصحاب الأخدود (الآية) وإلى قابل ربع فرسخ ، وإلى حبونا أربع فراسخ ، وإلى قَرْقَر أربع فراسخ » انتهى بنصه .

ثم يتحدث ابن المجاور عن قرقر فيخلط بينها وبين قرقر نجد التي كان موقعها قرب الطريق بين ضرما ومراة .

ثم يقول ابن المجاور : « وكان يقوم تحت قرقر سوق تسمّى العَمِدين ، وما عرف هذا السوق بهذا الاسم إلّا أن مشائخ العرب كانت تقيم بهذه السوق عامود ذهب وعامود فضة يعرف السوق بهما ، ورجع الآن سوقاً للعمل بين قفر تزرع به وتحرث ، فراح الجسم وبقي الاسم » .

قلت : هذا كلام ابن المجاور خذ منه ما شئت ودع ما شئت . وانما أوردناه لنأخذ منه الفقرة التالية وهي ذات اهمية ، فهو يقول :

ولاتها ـ لعله يقصد نجران ـ قوم يقال لهم : بنو عبد المَدَان ، وهم قوم شدّاد، اللين القياد ذو الجياد ، وفيه أنشد بعض العرب :

ولولا بنو عبد المَدان وخيلها لحلّك يا نجران بعض القبائل

فابن المجاور لا يعرف ان بني عبد المدان هم ملوك بني الحارث بن كعب وهو أيضاً لا يعلم أنه لا نسب بينهم وبين شداد بن عاد[١]

ثم يورد شعراً آخر لشاعر لم يسمه[٢] :

لإن أَقْتُلكم قتلاً دنيا فلا شيخ يَدبّ على البنان
وإن أُقْتَل فمقدور وليت وفي قومي على سرج الحصان

---

(١) هو شداد بن عاد بن ملطاط بن جشم ، ملك حميري ، كان حازماً مغواراً جاس البلاد حتى بلغ أرمينية، ثم زحف إلى المغرب ، ورجع الى اليمن فمات فدفن في جبل شبام .
(٢) تأريخ المستبصر ص ٢١٠ .

وإن أُقتَلْ فقد قُتِلت قُريشٌ وقد قُتِلْتْ بنو عبد المدان

والقوم لا يطيعون لِمَلِك الغز ولا لسلاطين العرب ،**وآخرمن تولى** من بني عبد المدان أخوانِ يقال لأحدهما القاضي ، وللثاني القاضي (كذا)، وفي عهدهم (كذا) دخلت عليه يد الأمير محمد بن عبد الله بن حمزة معهم حتى صار يصل إليهم نصف دخول البلاد، لأن الأمير محمد بن حمزة وأخاه ولدي عبد الله بن حمزة[1] تزوجا بأخوات القاضي والقاضي (كذا) ابني صُعَيب بن عدنان بن عبد المدان[2] سنة ثلاث وعشرين وستمائة.

ثم يقول : ويسمى اقليم نجران وادي سوحان . والصواب أن سوحان كان حصناً في نجران في عهد الامام الهادي .

وبنو عبد المدان لحقوا بالأسر ذات المجد المؤثل حتى أن ما مدحوا به من شعر لا يكاد يفوقه الا ما مدحت به قريش ، وقد تقدم معنا في هذا الكتاب عدد من أبيات متفرقة ، ومنها هذا البيت الذي يفيض عزة ويتيه فخراً :

تلوث عمامة وتجر رمحاً كأنك من بني عبد المدان

وكما ترى سادت هذه الاسرة مقاطعة نجران منذ القرن الأول قبل الاسلام إلى أواخر القرن السابع ، وقد يكون وجودهم امتد إلى ما بعده ، إلاّ أنّنا لا نجد لهم بقية اليوم . وتوج فخرهم عمر بن الخطاب حين قال : لا تتغالوا في المهور ولو كن من بنات بني عبد المدان .

وهنا نقطة لا نستطيع المرور بها دون إعطائها شيئاً من الملاحظة ، فنقول : من الثابت أن عمر بن الخطاب كان قد أخرج نصارى نجران ، ثم طلبوا من علي كرم الله وجهه أن يعيدهم فرفض ، ولم يصل إلينا أن معاوية أو مروان

---

(١) الذي ترجمنا له آنفاً .

(٢) إذا كان المقصود بعبد المدان الجد الأكبر فإن بينه وبين صُعيب ما لا يقل عن ستة عشر جدا .

أعاداهم ، ولا أحد من بني أمية ، أمّا اليهود فلم يكن لهم ذكر في نجران في فجر الاسلام ، فمن أين أتى هؤلاء الذين رأيناهم أهل مال وفير في أواخر القرن الثالث؟ فأما النصارى فلا يعدو الأمر أحد احتمالين : أحدهما ان بعضهم أسلم تقيّة وظل على دينه حتى هدأت حرارة الدعوة بعد الخلفاء الراشدين فأسفر عن وجهه بماله ورجله ، وهذا احتمال يحمل الضعف في طياته، إنما أتيت به لإمكان حدوث الأمر الضعيف .

وثانيهما ـ أن بني عبد المدان عندما صاهروا بني العباس وآل الأمر إلى أبي العباس الهاشمي استغلوا نفوذهم بارجاع نصارى نجران إليه ، على أن هناك عنصراً لا يمكن إغفاله ، وهو ان الدولة الاسلامية في عهد بني العباس جعلت جميع رعاياها على اختلاف مللهم ونحلهم أحراراً ينتقلون حيث شاءوا وينزلون حيث أرادوا .

أما اليهود فلا تفسير لوجودهم سوى أنهم وجدوا الحرية بأن يختاروا ما يشاءون من البلاد ، عدا الحجاز ، فانتشروا في اليمن بعامة وفي نجران بخاصة ، وذلك لما لنجران من موقع تجاري هام ، فهو يتوسط ديار قبائل كبار وتحيط به مفازات لا مناهل للبيع والشراء فيها ، ثم إن جوه ملائم جداً للسكنى في جميع فصول السنة .

ونرى ان ابن المجاور لم يذكر أحداً من اهل الكتاب في نجران في القرن السابع ، ولكن ابن المجاور ليس بالمؤرخ الذي يعول على تأريخه ، فاليهود ـ على الاقل ـ ظلوا في نجران حتى جاء العهد السعودي فأخرجهم كما أخرجوا من اليمن ، لقوله ، ﷺ : (لا يجتمع في جزيرة العرب دينان) .

وقد عرفت رجلاً وصل إلى مقام متوسط ، وكانت البلادة تظهر عليه ، وكان سلبياً في كل أمر، متهكماً بمن حوله ، فإذا شبان من أهل نجران يقولون : هذا ابن فلان التاجر اليهودي النجراني ، أسلم عندما طرد اليهود فأصبح ابناؤه مسلمين ، وهذا أحدهم .

نجران في القرن الحادي عشر

ورغم أن ما لدي من مراجع عن بلاد اليمن ليس كافياً ، إلا أنني أجد خمول ذكر نجران في أهم أحداث اليمن في القرن الحادي عشر ، فنجد في أخبار الامام القاسم بن محمد ، هذا الخبر[1] : (وقد حاول الامام الارتحال إلى نجران في الشمال أثناء وجوده في (برط) ، بعد أن والاه بعض أهلها ، ولكن عند وصوله إليها حدثت حروب استشهد فيها بعض أصحابه ، لأن أهلها من الباطنية ، فلم يستقر بها ، وعاد إلى جهات برط) .

وخلال أحداث القاسم الدامية مع العثمانيين لم يعد ذكر نجران[2] يرد لا في ولاية ولا موقعة ، ولما عقد الصلح بين الامام القاسم وجعفر باشا بين ١٠١٦ ـ ١٠٢١ هـ لم يرد ذكر نجران ، وعندما استولى المؤيد على اليمن حتى أخرج العثمانيين سنة ١٠٤٥ هـ لم يرد ذكر نجران ولم تدر فيها موقعة واحدة . فهل كانت مستقلة أو كانت تابعة لصعدة ؟ هذا ما لم أستطع التوصل إليه .

في القرن الرابع عشر

ونرى الامام يحيى حميد الدين يرسل ابنه سيف الاسلام عبد الله فيحتل نجران سنة ١٣٤٠ هـ او بعدها بقليل، ثم بنى قلعة بجبل رعوم في نجران، غير أن أهل نجران لم يرضوا بحكم الامام الزيدي، وظل الوضع غير مستقر .

---

(١) العثمانيون والامام القاسم بن محمد في اليمن ، رسالة ماجستير لأميرة المداح ، تحت الطبع ، نقلاً عن اللآلى المضيئة للشرفي ص ١٩٥ .

(٢) من ثنايا المرجع السابق .

العهد السعودي

وفي العشرين من شعبان سنة ١٣٥٠ وصل وفد من يام إلى الأمير عبد العزيز بن عسكر بأبها، وكان يرأس الوفد حسين بن أحمد المكرمي، ومن أعضائه: شيوخ قبائل يأم :سلطان بن منيف، وجابر أبو ساق، وجابر بن نصيب، ومهدي بن قعوان ، وغيرهم، ومن ذلك التأريخ دخلت نجران ضمن الدولة السعودية، وانسحبت قوات الامام يحيى إثر برقية ابرقها إلى الملك عبد العزيز، يقول فيها: سحبنا جيشنا من نجران، يام تحت حكمكم. ونعمت نجران من يومها بالاستقرار والرخاء ولم يحدث ما يعكر صفو الامن خلال الخمسين السنة الماضية، لا من أهل البلاد ولا ضدهم .

الرخاء والتقدم والعلم

لم تشهد نجران خلال عهودها الماضية نهضة ورخاء كالذي شهدته في هذا العهد، فقد انتشر التعليم انتشاراً فاق حتى حلم الحالمين، وتقدمت طرق المواصلات، وساد الأمن وتقدمت الزراعة والتجارة، واتصل أهل نجران بأقاليم المملكة العربية السعودية اتصالاً وثيقاً، فأصبح منهم ضباط وموظفون وتجار في جميع مدن المملكة، مما ساهم في مزج البلدان التي تكونت منها المملكة وأذهب الفوارق، فتقاربت العادات والافكار، واتحدت المصالح، ونشأت وشائج وقرابات زادت هذا التقارب ترابطاً وتلاحماً، فلم يعد أحد غير راض عن هذا الكيان الكبير، بل إن معظم الذين كانوا يجهلونه أصبحوا من أعرف الناس بفضله، وأشدهم نصرة له وتمسكاً به، وإليك موجز لا تفصيل عن المؤسسات

الحكومية في نجران ، لترى مدى ما حظي به من اهتمام وما وصل اليه من تطور ورخاء .

التعليم :

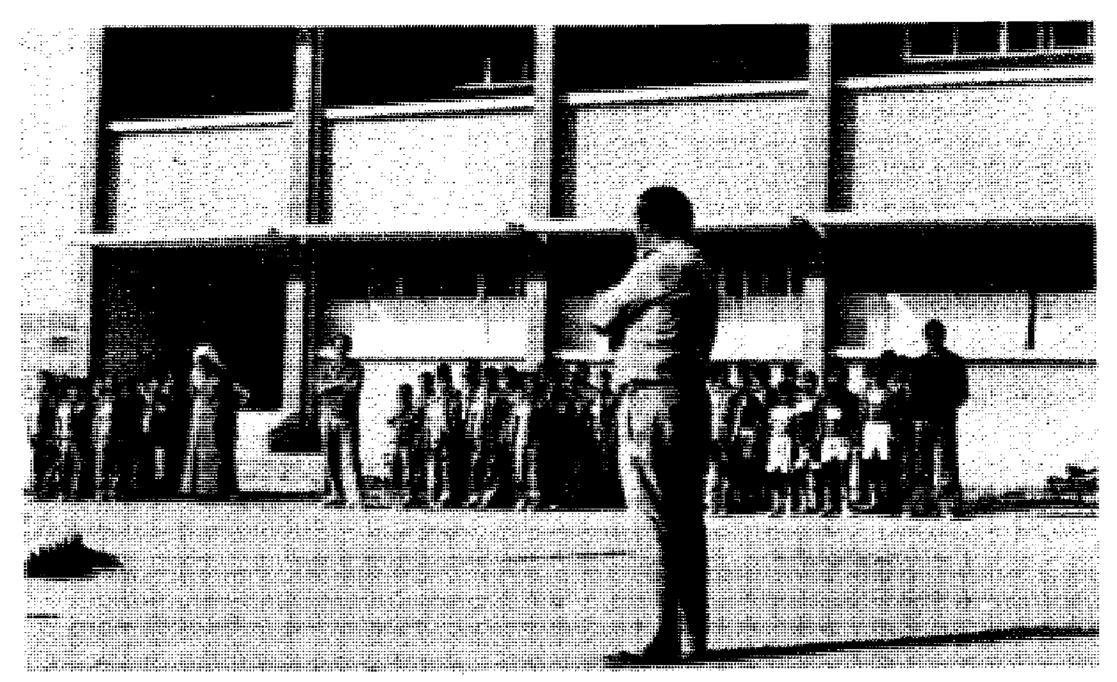
عند دخول نجران في المملكة العربية السعودية لم تكن فيها مدرسة واحدة. وقد بلغت مدارس البنين فيها اليوم : واحداً وسبعين مدرسة ابتدائية الى شعبان (١٣٩٠) هـ ، والنية زيادتها . وست عشرة مدرسة متوسطة احداها في شروري. وست مدارس ثانوية احداها في شروري ايضا، وفيها معهد علمي تابع لجامعة الامام محمد بن سعود . هذا بالنسبة للبنين، ويلاحظ ان ثلاث مدارس ابتدائية مما تقدم هي في شروري وواحدة في الوديعة . أما التعليم النسائي فعلى حداثة عهده في المملكة ، ففي نجران منه: معهد المعلمات، وعدد طالباته ٢٢ طالبة ، وثانوية نجران، وعدد طالباتها ٥٥ طالبة، ومتوسطتان عدد طالباتهما ٤٨٠ طالبة، وثمان وثلاثون مدرسة ابتدائية، منها مدرستان في شروري، ومنها عدد في وادي حبونن وفروعه وقراه، ومدرسة في يدمة .

ومجموع طالبات منطقة نجران في شعبان سنة ١٤٠٠ هـ (٣٦٣٥) طالبة ، يقوم على تعليمهن (٢٧٠) معلمة ، ولها وحدة صحية ، وكذلك لتعليم البنين وحدة صحية .

استقيت هذه المعلومات من الاساتذة الفضلاء: عبد العزيز بن حمد العياضي مدير تعليم منطقة نجران، وهو شاب ولد سنة ١٣٦٠ هـ بجلاجل، ويدير عمله منذ سنة ١٣٨٦ هـ وهو عام تخرجه من جامعة الرياض .

والاستاذ الشريف محمد بن حسن الحازمي، من حوازم اشراف صبيا، وهو مدير معهد نجران العلمي .

وسعادة مدير تعليم البنات في نجران



تجمع لفرق أشبال منطقة نجران التعليمية

القضاء :

في نجران محكمتان، محكمة شرعية عامة ومحكمة مستعجلة ، ورئيس المحكمة المستعجلة هو الشيخ الفاضل محمد بن إبراهيم الحازمي ، من حوازم حرب، وكانت له على هذه الرحلة اليد الطولى ، وكان رئيس المحكمة الشرعية غائباً عند زيارتي للمنطقة، وكان القائم بالعمل صديقنا الشيخ يحيى بن علي بن أحمد بن علي الحكمي ، وهو وزميله الحازمي من القضاة الفضلاء بشهادة أهل نجران لا شهادتي انا ، ولهما تفآن في العمل أوجب احترامهما .

وزارة الداخلية :

وجود فروع لوزارة الداخلية في أي بلد يعني الامن والنظام ، وهما قوام صلاح الامة. وضمان حريتها واستقرارها .

وفي نجران إمارة لها الاثر المحمود والمحبة والسمعة الحسنة، وعند زيارتي كان سعادة الأمير فهد بن خالد السدير غائباً، فكان يقوم بالعمل الأمير سلطان بن خالد وكيل الإمارة وهو شاب نشيط يعج مجلسه بأعيان البلد .

ولنجران شرطة وإداره مرور، وجهاز الوزارة كامل هناك مسيطر، والبلد في حركة تجارية ومرورية دائبة .

الزراعة :

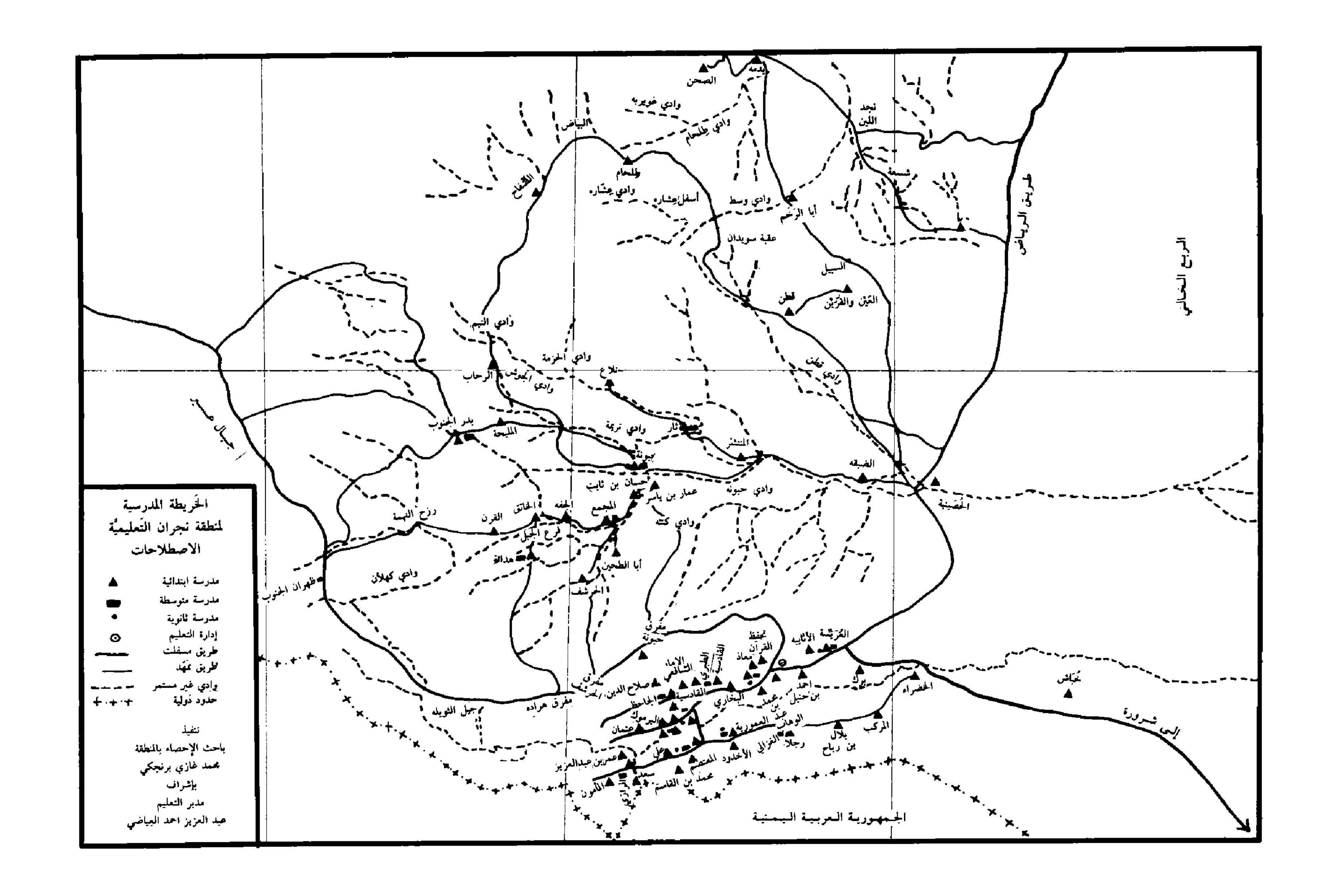
الزراعة من أهم مظاهر وادي نجران، ولا شك انها أقدم سبب لسكن هذا الوادي، فقد جاء في الأخبار القديمة ان وادي نجران كان نهراً جارياً، ولا استبعد هذا القول اذا رأيت ان موقع نزل بني عبد المدان حيث آثار كعبة نجران تبعد عن (ابو السور) مدينة نجران الرئيسية التي كانت تسمى (الهَجَر) أربعين كيلاً، وهي اليوم بعيدة عن الحياة، أما قبل سنوات فهي أبعد، ولو كانت حدود الأرض الزراعية والعمران كحدودها في أول هذه النهضة لما سكن نجراني هناك وما كان أن تسمى من نجران. وترى - في الحديث عن الآثار - ان كعبة نجران كانت على نهر بنجران، وكان ذلك النهر يغل عشرة آلاف دينار .

وقد ذهب النهر ولكن المياه الجوفية متوفرة، وقد قامت وزارة الزراعة بتوزيع الأرض على راغبي الزراعة، فحفرت الآبار وظهر الماء غزيراً عذباً، وجادت التربة بمحصول جيد، وتكاد نجران تستهلك كل إنتاجها ،ذلك لتزايد نمو السكان فيها. ويقول كتيّب وقع في يدي[١] : ان في نجران حوالي (٤٢٠٠) بئر زراعية تعمل بالضخ الآلي. وأنا أجد حرجاً من إيراد مثل هذا، لأن الأرض المرئية لا تتسع لمثل هذا العدد من الآبار .

وعلى كل حال؛ فالزراعة قد تطورت تطوراً لا يمكن مقارنته بالماضي، وقد بذلت وزارة الزراعة جهداً مشكوراً، وأقيم سد وادي نجران الذي لم ينتهِ عمله حين زيارتي له، الا انه الآن سنة ١٤٠١ هـ قد انتهى، ولم استطع الحصول على معلومات عنه لامتناع المسؤولين هناك لسبب لعله أمني .

---

(١) هو « كتاب نجران الحديثة » لمدرس مصري اسمه سيد الماحي .


الخريطة المدرسية
لمنطقة نجران التعليمية
الاصطلاحات
مدرسة ابتدائية
مدرسة متوسطة
مدرسة ثانوية
إدارة التعليم
طريق مسفلت
طريق ممهد
وادي غير مستمر
حدود دولية
تنفيذ
باحث الإحصاء بالمنطقة
محمد غازي برنجكي
بإشراف
مدير التعليم
عبد العزيز احمد العياضي
الربع الخالي
طريق الرياض
الجمهورية العربية اليمنية
إلى شرورة
جبال صبر
ظهران الجنوب
وادي كهلان
بدر الجنوب
وادي النيم
وادي الحزمة
وادي تربة
وادي حبونة
وادي عشاره
وادي وسط
وادي طلحام
وادي غويربه
عقبة سويدان
السبيل
الخضراء
المركب
بلال بن رباح
عبد بن
الوهاب
الغزالي
الأخدود
المعتصم
محمد بن القاسم
المأمون
عمر بن عبد العزيز
عثمان
الجاحظ
القادسية
البخاري
الإمام الشافعي
صلاح الدين
تحفيظ القرآن
معاذ
الفريشة الأثايبة
الخضيبة
الصحن
نجد اللبن
شسعة
أبا الرخم
الحرشف
أبا الطحين
عمار بن ياسر
حسان بن ثابت
المجمع
الجفه
الحائق
القرن
دوح النهمة
بئر الجبل
مدالة
مفرق حبونة
مفرق مراده
جبل التويله
المليحة
الرجاب
المنتشر
الضبله
العيّن والفرين
قطن
طلحام
القفلاح
الباطن
مفرق

وقد نفذت وزارة الزراعة مشروع إحياء الأرض البور ، فوزعت الأرض بلا ثمن وساعدت المزارعين على اعمال الزراعة بالقروض والمعونات، وجدَّت الوحدة الزراعية هناك في مكافحة الآفات، وساهمت في إرشاد المزارعين .

الإعلام :

وزارة الاعلام السعودية من أنشط الوزارات وأحرصها على إيصال خدماتها إلى كل صقع من أصقاع المملكة، ولا غرو، فهي لسان حال الدولة وصوتها وقلمها، وقد وصلت الإذاعة الى نجران في وقت مبكر ، ولكنه اليوم قوي مدوٍ ، ثم وصل البث المرئي ، أما الصحف فإنها توزع عن طريق الدوائر على موظفيها توزيعاً منتظماً، أما التوزيع المكتبي فانه محدود، ولعل هذا يعود الى ان جل المثقفين هم موظفو الدولة، وهؤلاء تصل اليهم الصحف عن طريق وزاراتهم .

البلدية :

هذا اسم اصطلح الناس عليه اختصاراً لمسمّى (إدارة الشؤون البلدية) أي شؤون البلد أو المدينة، وعندما قابلت سعادة رئيس بلدية نجران الاستاذ علي بن محمد الشارخ[1]، قدم لي المعلومات التالية :

تأسست بلدية نجران عام **١٣٧٥** للهجرة .

وكانت خدماتها تقتصر على مدينة نجران القديمة (أبا السعود) وفي عام **١٣٨٥** هـ أختير موقع المدينة الجديدة(الفيصلية) فتم توسع المدينة الجديدة بضم مناطق جديدة على ضوء التوسع العمراني . بحيث أصبحت المنطقة الواقعة على طريق خميس مشيط نجران جزءاً من المخطط العمراني للمدينة .

---

(١) ولد سنة ١٣٦٤هـ بالمدينة المنورة ، وأصله من الرس بالقصيم ، تخرج سنة **١٣٨٥** من كلية التربية بمكة ، عمل بالتدريس والوظائف الإدارية تسع سنوات ، وعين ببلدية نجران سنة ١٣٩٣ هـ .

مشاريع هامة :

هناك مشاريع هامّة وكبيرة تم تنفيذها في مدينة نجران والفيصلية ، منها :

١ ـ نزع ملكيات في مدينة نجران .

٢ ـ شق الشارع العام بالمدينة الفيصلية بعرض اربعين متراً مسفلتة ورصفه وإنارته .

٣ ـ سفلتـة جميع الشوارع في المدينتين .

٤ ـ اعتمد في هذا العام مشروع كبير جداً للمجاري وتصريف السيول ـ وكذلك شبكات مياه قدر له مبلغ / ٥٦٠,٠٠٠,٠٠٠ مليون ريال سينفذ على ثلاث سنوات .

المواصلات :

كان لفظ المواصلات يشمل: البرق والبريد والهاتف، والطرق البرية والنقل، ونحو ذلك، ثم فصل بعضها عن بعض، فصارت للبرق والبريد والهاتف وزارة مستقلة، والبريد من أقدم ما عرفته نجران بعد تكوين المملكة العربية السعودية، ثم عاصره البرق، أما الهاتف فقد تأخر كثيراً، ومنذ مدة وجيزة نفذ مشروع الهاتف الآلي الذي يكاد يدخل كل بيت اليوم ،وأصبح من السهل الاتصال بنجران من أي مكان في العالم .

أما مشروع الطرق والنقل فهو أيضاً أتى متأخراً، ولكنه اليوم في حالة حسنة، فقد اتصلت نجران بطريق يربطها بمكة ماراً بخميس مشيط وأبها والباحة والطائف، وطريق يربطها بالرياض مروراً بطرف الربع الخالي الغربي ثم السليل فالأفلاج، ويخرج منها طريق إلى (شروري) ثم (الوُدَيعة)، وقد عبدت شوارع نجران وشقت فيها طرق جيدة، وإن كانت الشوارع من اختصاص البلدية كما تقدم. وهناك مقص قد يفرق من بئر عسكر أو قربها إلى شط الأسلوم قاعدة

حبونن، وهذا المقص يريح أهل حبونن من مشقات جسام، (وانظر الحديث عن هذه الطريق في رحلتنا إليها)، أما السفر الى يدمة فلا زال فزَّاعة كل راغب في زيارتها ، وكذلك بدر، إلا انها أخف وطأة .

ولدى الناس أمل وطيد بأن وزارة الموصلات لن تتوانى عن تنفيذ مثل هذه المرافق الملحة وذات التأثير في حياة السكان، فقد انتهى الجمل الذي كان يغير عجلاته بالتعويض الجسمي، وجاء دور السيارة التي يخلخلها (البطناج) ، وتكسر متحركاتها المطبات، وتأكل عجلاتها خشونة الأرض !

الآثار في منطقة نجران

إذا ذكرت الآثار في نجران فان اول ما يتبادر إلى الذهن هو ذلك الأخدود، وقصته: إنّ ملك حمير اليهودي ذا نواس قد غزا نجران، وكان أهلها قد اعتنقوا النصرانية، كما بيناه في فصل سابق، فطلب منهم الارتداد عن هذا الدين واعتناق اليهودية، فأبوا وأصروا على إبائهم، فحفر لهم أخدوداً وسط مدينتهم وسعّر فيه النيران وقذف فيه بكل من لم يرتد عن النصرانية، وفي ذلك نزلت الآيات: ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ الأُخدُودِ، النَّارِ ذاتِ الوَقُودِ، إذ هُمْ عَلَيْها قُعُودٌ، وهُمْ عَلَى ما يَفْعَلُون بالمُؤْمِنينَ شُهُودٌ ﴾[1].

ولا زالت للأخدود بقية، ويظهر تحت الأنقاض رماد بعضه متحجر. وسميت تلك المدينة « الأخدود » ويبدو انها اندثرت من تلك الحادثة، وان أهل نجران تحولوا عنها الى (الْهَجَر) وهو ما يسمى اليوم « ابو السور »: لأن تلك المدينة كانت مسورة، فلما كثرت القرى ميزوها بذلك، ثم أطلق عليها حديثاً (أبو السعود) وهو تحريف تيمّنيّ.

تقع مدينة الأخدود على الضفة اليمنى من وادي نجران(دلهام) ، ويشرف عليها من الجنوب جبل رِيْر، وهو أشمخ تلك الجبال، أمغر اللون، أجرد. وهي مجموعة مبان تعرضت للخراب فصارت أكواماً مختلطة، إلا أنك إذا انعمت النظر ميزت بعضاً منها، وجدرها مكونة من حجارة ضخمة ممثلة، ومعبأ داخل تلك الجدر بمعجون من الطين، وهي ذات أعراض ضخمة، وانك

(١) البروج ٤ ـ ٧.

لتحار كيف أوصلت هذه الاحجار الى هذا المكان، ولا شك ان العجلات أو مثلها كانت معروفة لدى القوم ، ويقرب طول المدينة من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي قرابة (١٢٠٠) متر ، وعرضها قريباً من (٤٠٠) متر، ومن أهم الآثار المسماة لديهم :

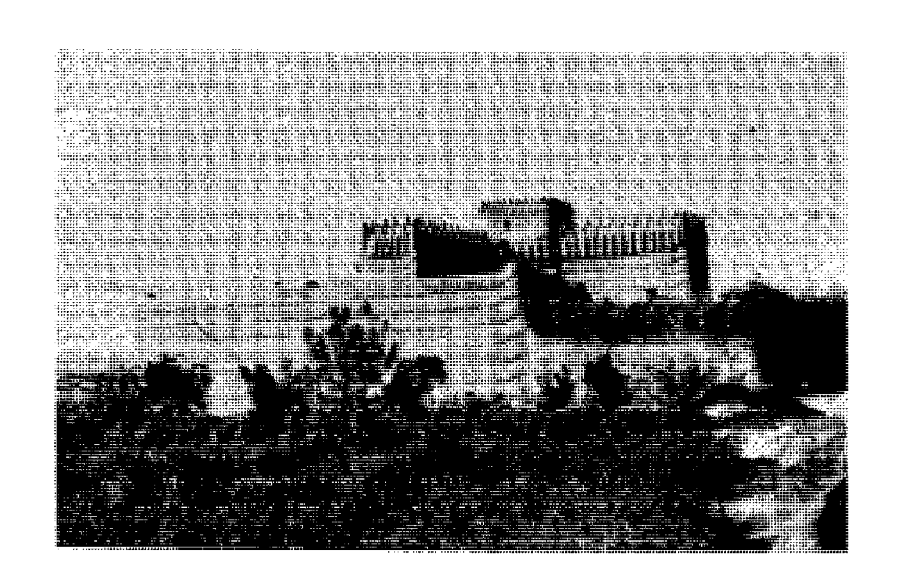
١ ـ قصر ابن الثامر، وهم يقولون: أبو ثامر، وهو معزو الى الشاب عبد الله بن الثامر الذي قدمنا قصته مع العبد الصالح .

٢ ـ رحى كبير لا يمكن أن يدار الا بواسطة حيوان، وأحد شقيه مكسور من النصف وكسرته مفقودة .

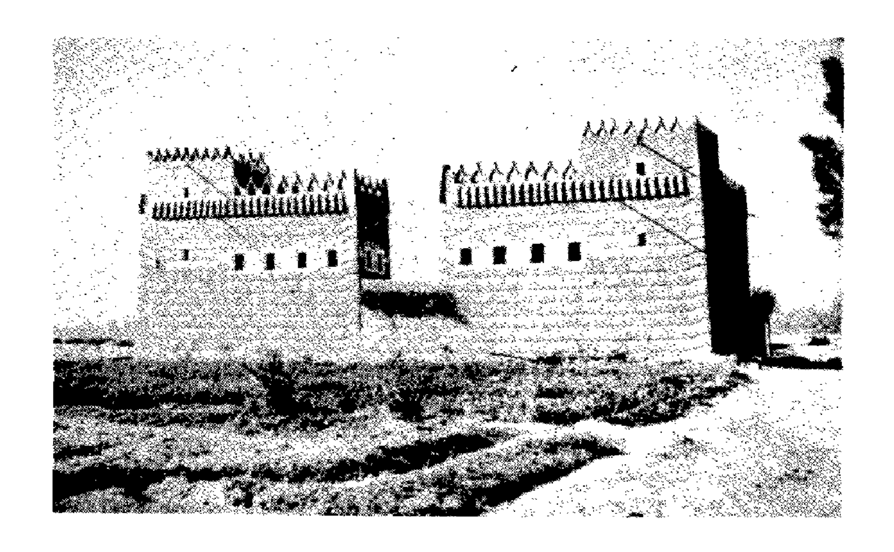
٣ ـ مهراس: من حجر ضخم طوله قرابة(١٨٠) سم وعرضه قرابة (٨٠) سم، وهذا لا يمكن أن يدار باليد، لأن مهواه ضخم أيضاً، ولا بد انه كان يدار برفعه على شكل القَبّان، وهذا يدل على تقدم عريق في هذه المدينة .

٤ ـ توجد كتابة حميرية واضحة في أحد الصخور الواقعة على شق الأخدود الجنوبي، ولم أتمكن من تصويرها، غير اني رأيت لها تصويراً واضحاً في بعض الكتب .

٥ ـ في آخر المدينة من الشمال الشرقي رحى آخر مكسور أحد شقيه أيضاً، وبجواره مقبرة فيها قبر يشاع انه لابن الثامر، ولا أرى ذلك لأن القبر لن يصمد لعوامل التعرية خلال هذه القرون الطويلة .

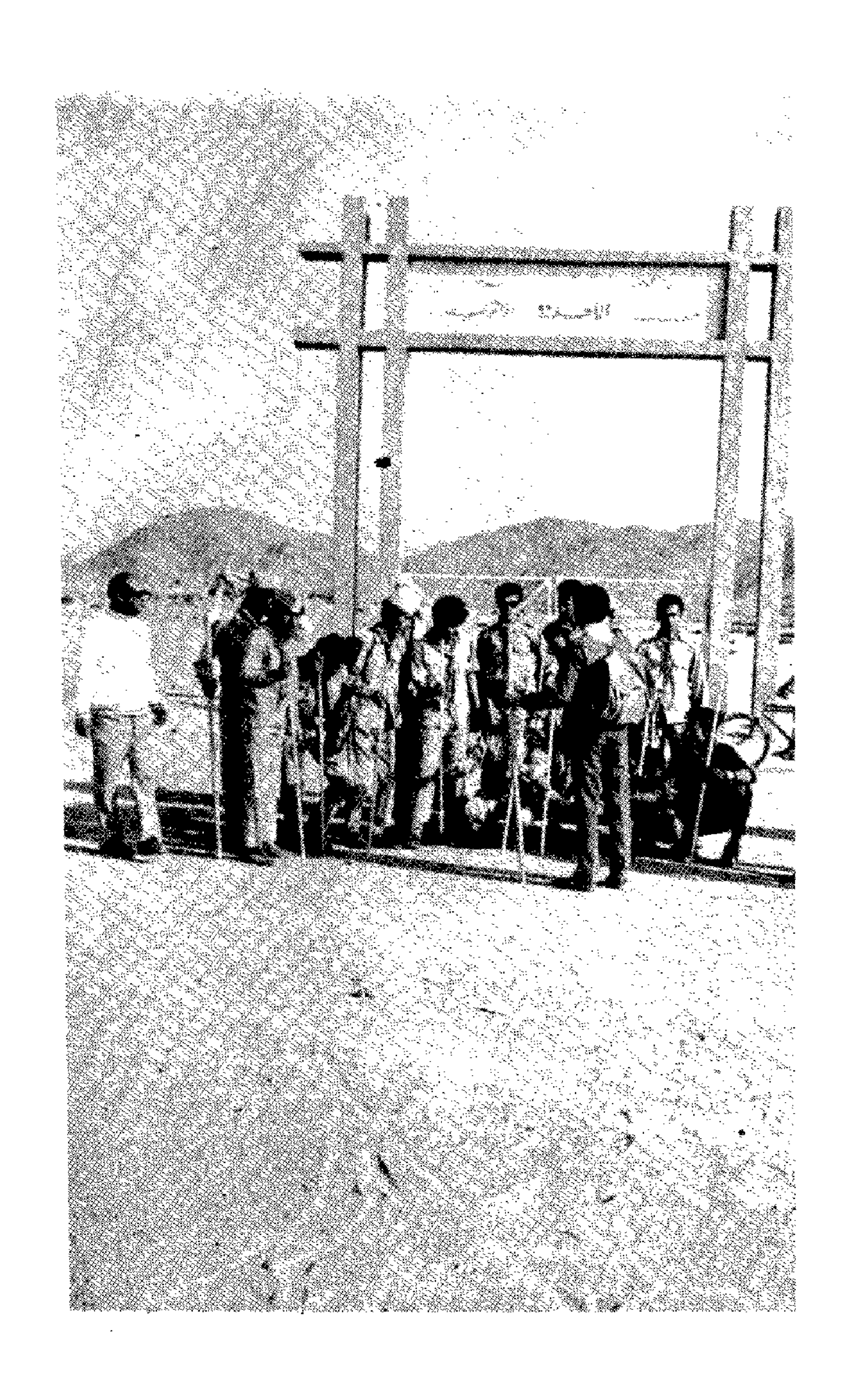






نماذج من البيوت
الطينية في منطقة
نجران

(عن كتاب
نجران الحديثة)



بوابة مدينة الأخدود الأثرية ،
وأمامها فريق من كشافة ثانوية نجران

كعبة نجران

تقول العرب: هي بيعَة بناها بنو عبد المدان ابن الديان الحارثيون ، ليضاهوا بها الكعبة المشرفَة، كان ذلك في الجاهلية الجهلاء، وما لبثت ان اندثرت بظهور الاسلام . ولم تحتفل العرب كثيراً بأخبارها، ولا يكاد الاخباريون يذكرونها ألا أثناء الحديث عن نجران، ويذكر ابن اسحاق وغيره انه كان لها أساقفة معتمون، وهم الذين ارادوا مباهلة النبيﷺ .وعن ابن الكلبي : أنها كانت قبة من أدم من ثلثمائة جلد، كان إذا جاءها الخائف أمن، أو طالب حاجة قُضيت، أو مسترفد أُرفد، وكان لعظمـها عندهم يسمّونها كعبة نجران، وكانت لعبد المسيح بن دارس بن عدي بن معقل، وكان يستغل من نهر نجران عشرة الآف دينار، وكانت القبة تستغرقها، ثم كان أول من سكن نجران من بني الحارث بن كعب بن عمرو بن عُلة بن جَلْد بن مالك بن أُدَد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان[1]، يزيد بن عبد المدان، وذلك أن عبد المسيح زوجه ابنته دُهَيمة فولدت له عبد الله بن يزيد، ومات عبد الله بن يزيد فانتقل ماله الى يزيد ابيه، فكان أول حارثي حلّ نجران .

قلت : ومن هنا ترى أن كعبة نجران ليست لبني عبد المدان، إنما هي لعبد المسيح صهر ابن عبد المدان، وهما متعاصران أدركا الاسلام حين اندثرت تلك البيعة، إنما كانت شهـرة بني عبد المدان قد غلبت على نجران فأصبح لا يذكر إلّا وذكرت بنو عبد المدان .

---

(١) هذا العد في الأنساب العربية لا يصمد لمقارنات التأريخ الحقيقي ، ومع هذا فلا بديل له .

وفي الرواية السابقة شيء من النظر إذ كيف يكون يزيد بن عبد المدان أول من سكن نجران، وهو معاصر وممن ادخل في الاسلام، ونرى ان بني الحارث هم سكان نجران عندما غزاه خالد ؟ فلا يمكن أن تستولي بنو الحارث بهذه السرعة على نجران .

ولأن بناء بيعة نجران كان من الأدم فقد تلفت سريعاً، فنجد الهمداني (القرن الرابع) لم يذكرها إلا عرضاً وهو يعدد أماكن العبادة في الجاهلية .

موقع كعبة نجران وحالتها اليوم :

تقع شرق نجران على مسافة (٤٠) كيلاً من مدينة الأخدود، وفيها عن مدينة الاخدود انحراف الى الشمال، في أسفل وادي نجران حين يتسع حتى يصبح خبتاً أفيح تنداح عنه الجبال وتأخذ في الانخفاض حتى تتلاشى عند المنقطع، فيفضي إلى السهول الواسعة التي كانت تسمى « الغائط » ويبدو ان نهر نجران كان يسقي هذه السهول، وانها هي التي كانت تغل عشرة آلاف دينار .

وآثارها رموس لا تدل على عظمة بناء، وتقع في سفح جبل صخري في جَلَد من الأرض، ويسمى جبلها (تصْلاَل) وهو يشرف عليها من الشمال، وفيه وقور كالقدور لمسك الماء، ويقول الشيخ حسين بن جابر أبو ساق[1] : إن عددها سبعون وقراً .

وهنا تبدر علامة استفهام : فاذا كان النهر يجري في هذه الاماكن فما ضرورة هذه الوقور التي تدل على الحاجة الماسة الى الماء ؟

والى جانب الاثر الذي ظهر كخطوط من الحجارة كأنه ما يدار على إزار

---

(١) ساق الشيخ نسبه فقال : حسين بن جابر بن مانع بن علي بن جابر بن مانع بن زاهر بن شري بن محمد بن حمد بن زيد بن سالم ، ولا تستغرب هذا ، فالعرب يحفظون أنسابهم بهذه الصفة . وهو من شديدي التعصب لمذهبه الإسماعيلي .

الخيمة من أسفله، توجد مقبرة الباقي منها رموس أيضاً، أما قول(فيلبي) أنها كانت على ظهر الجبل، وان المكان بسفح الجبل فهو وهم ظاهر لعدة أسباب :

١ ـ إن فيلبي ضعيف الاستنتاج في كثير من مؤلفاته لأسباب من أهمها بعده عن هذه البيئة .

٢ ـ مطاف المعبد لا يمكن إلا أن يكون ملتصقاً به، كمطاف الكعبة شرّفها الله .

٣ ـ جبل تصلال ليس من الجبال ذات الوهاد كموقع العُزّى مثلاً، إنما هو جبل صغير صخري محدد الرأس، ولو بنيت الكعبة في رأسه لاستلزم الأمر وجود تمهيد لا يقل عن عشرة أمتار في مثلها مثلاً، ثم لا بد من وجود أماكن حولها للخدم والحراس وغير ذلك .

٤ ـ لا بد من وجود طرق مهّد لها وكسّرت الحجارة لها مما لا يمحوه الزمن، وهذا غير موجود بما يتناسب ومكان ـ قيل إن العرب ـ حجته أربعين سنة .

مما تقدم نجزم بأن بناء المعبد كان بسفح الجبل كما حددناه،وغير ذلك لا يقبله العقل، وتوحي به المشاهدة .

آثار اخرى: ذكرت آثار أخرى في المنطقة، ولعل الذين ذكروها وتحدثوا عنها قرأوا ما كتبه فيلبي، وقد ذكر ان قرب يدمة نقوش وحول جبل النظيم، وغيرها. ونلحق هنا أن ورود هذه الكعبة في الشعر العربي قليل جداً، وهذا يجعلنا نجزم ان العرب ما حجّتها، وإن كان هناك من يقول: إن الكتاب الاسلاميين تعمدوا طمس ذكر هذه الأوثان، وقد ورد ذكرها في شعر أعشى قيس[1] إذ قال :

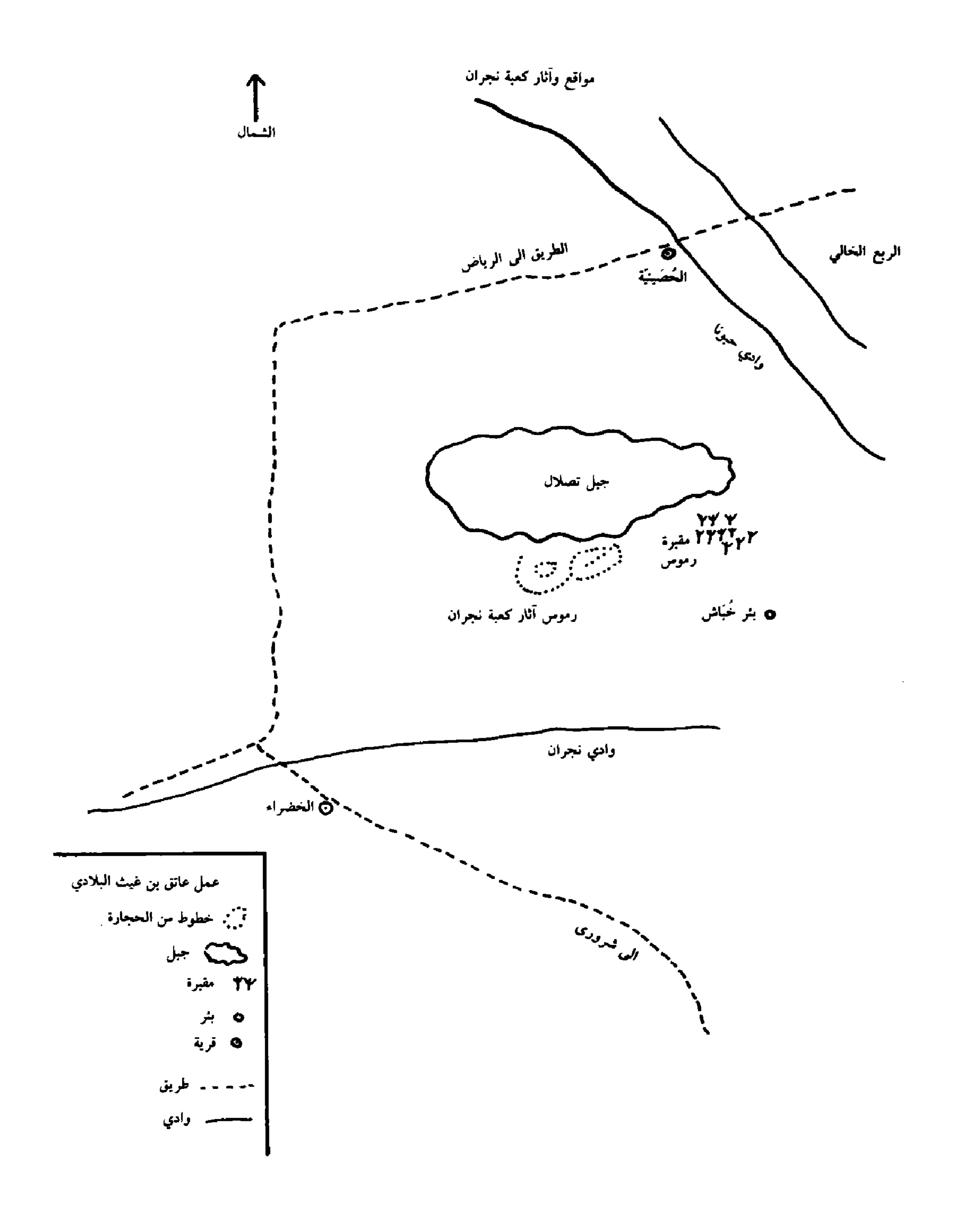
---

(١) هو ميمون بن قيس بن جندل ، يلقب أعشى قيس ، وأعشى بكر بن وائل ، صناجة العرب ، ويكنى أبا بصير ، توفي سنة ٧ للهجرة في بلدة منفوحة بنجد ولم يسلم ، كان من الطبقة الأولى من شعراء الجاهلية ، وأحد اصحاب المعلقات ، كان مداحاً للملوك .

وكعبة نجرانَ حَتْمٌ عليـ ـك حتى تناخي بأبوابها
نزور يزيدَ، وعبدَ المسيح وقيساً، هُمُ خيرُ أربابها

« الختام »

الحمد لله متمم النعم، والموفق إلى كل خير، المتفضل المنّان، الواحد الأحد، لا إله إلاّ هو عليه التوكل وإليه المصير، والصلاة والسلام الدائمين إلى أن يجمع الله الناس لميقات يوم معلوم، على من أدى الأمانة وبلَّغ الرسالة، ونصح لله ولهذه الأمة محمد بن عبد الله النبي الأمي ، وعلى آله الأطهار وأصحابه الأخيار ومن تبعهم بالحسنى، لا تفريق ولا تمييز . (مكة في ٢٥ ربيع الأول سنة ١٤٠١ هـ .)


مواقع وآثار كعبة نجران
الشمال
الطريق الى الرياض
الحُصَيْنَة
الربع الخالي
وادي حبونا
جبل تصلال
مقبرة
رموس
رموس آثار كعبة نجران
بئر خُبَاش
وادي نجران
الخضراء
الى شرورى
عمل عاتق بن غيث البلادي
خطوط من الحجارة
جبل
مقبرة
بئر
قرية
طريق
وادي

دليل الموضوعات العامة

الدليل العام

ب

ت

ح

خ

د

ذ

ز

س

ص

ض

ط

ظ

ع

- غ -

- ف -

ق

ك

ـ ن ـ

- ه -

ي

